الغ وحضارة

من الكنعانية إلى الرعاية الهاشمية







الطبعة الأولى 1433هـ - 2012م

```
المملكة الأردنية الهاشمية
```

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (3592 / 9 / 2011)

956.4

```
الدهيسات، هايل خليفة
القدس تاريخ وحضارة /هايل خليفة الدهيسات ._عمان: دار كنوز المعرفة
للنشر والتوزيع، 2011
( ) ص.
ر.أ: (2011 / 9 / 2011)
```

الواصفات: / تاريخ فلسطين // القدس (فلسطين)

أعدت دائرة المكتبة الويخنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 199 - 0

حقوق النشر محفوظت

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لدار كنوز المعرفة - عمان الأردن، ويحظر غبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملا أو مجزءا أو تسجيله على أشرخة كاسيت أو إدخاله على كمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا



دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن – عمان – وسط البلد – مجمع الفحيص التجاري تلفون: 962 6 4655875 - فاكس: 4655875 20 +962 6 4655875 عمان موبايان 312577 عمان الوقع الإلكتروني: www.darkonoz.com - moz.com معان إيمينان الإلكتروني المحتروني المحتروني المحترفي المحتان المحتان المحترفي الإلكتروني المحتان المحت المحتان ا

تنسيق وإخراج: صفاء نير البصار safa_nimer@hotmail.com

إهداء

وفاءً لهم

المؤلف

(لمقرمة

بما أن هذا الكتاب عن القدس تاريخ وحضارة قد أعد خصيصًا في قسم التاريخ/ جامعة الزرقاء، وكمتطلب جامعي لطلبة الجامعات الأردنية، وكانت المدة الزمنية المخصصة لهذا المساق ثلاثة ساعات معتمدة أسبوعيًا ولفصل دراسي واحد، فقد آثرت على نفسي تأليف هذا الكتاب العلمي، ويتناول مكانة بيت المقدس من أجل مساعدة طلبة الجامعات على الإلمام بتاريخ وحضارة المدينة. وذلك بعد أن تنبهت وزارة التعليم العالي في المملكة الأردنية الهاشمية، للبعد الديني والتاريخي للقدس الشريف.

إن دراسة القدس تاريخ وحضارة، عبر العصور تضعنا أمام نوعين من الصعوبات، لأننا ندرك أن هناك ثغرات مبهمة وشائكة في تاريخ المدينة لا بد من تأطيرها، وهناك تشابك تاريخي ومشكلات متعلقة بالحقائق التاريخية ينبغي توضيحها. والصعوبة الثانية تتعلق بالموضوعية في عرض الأحداث التاريخية المتداخلة ونقدها، وهذه الصعوبة تكمن في حالة مدينة مقدسة حيث إنَّ لها مكانة تتلاقى فيها مطالب أتباع الديانات السماوية الثلاث.

يركز هذا الكتاب على مكانة بيت المقدس ومتابعة الأحداث التاريخية الـتي غيرت في وجه المدينة، وإبراز منجزاتها الحضارية عبر العصور، من الكنعانية العربية، مروراً بالعصور الإسلامية جميعها وحتى الرعاية الهاشمية، تلك الحقب المتعاقبة، والتي كانت ولازالت تعمق الدور الإبداعي للعرب والمسلمين في صناعة الحضارة الإنسانية، وذلك استناداً للمصادر الأولية والمراجع الحديثة، وعلى علم الحفريات ونتائجها، وما جادت به أرض القدس من آثار.

ولتحيق هذه الغاية تنقسم الدراسة إلى مقدمة وثمانية فصول وخاتمة وملاحق بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع. الفصل الأول فيها يتناول مدخل إلى القدس تاريخ وحضارة، و يهدف هذا الفصل إلى إعطاء فكرة، موجزة عن تاريخ القدس والفعل الحضاري فيها منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى صدر الإسلام، كما يسلط هذا الفصل النظر على تطور السيادة على نشأة القدس على يد اليبوسيين، وهم بطن من بطون الكنعانيين العرب الذين هاجروا إلى بلاد الشام من الجزيرة العربية، نحو عام ٣٠٠٠ ق.م.

وخُصِّص الفصل الثاني للنظر في شؤون القدس في صدر الإسلام. وقد بحثت فيه عن المدينة ومكانتها المميزة في العقيدة الإسلامية، لما ورد من آيات في القرآن الكريم، وما حفظته السنة النبوية من أحاديث توضح فيضائل بيت المقيدس من خلال الإسراء والمعراج التي حدثت في ما بين السنة الحادية عشرة إلى السنة الثانية عشرة من نزول الوحي عام ٦١٠ م.

وتناول هذا الفصل أهمية القدس في العهد الراشدي، حيث هزيمة البيرزطيين في معركة اليرموك في رجب سنة ١٥هـ/ ١٢ آب ٢٣٦م، تلك المعركة التي وضعت حداً تاريخياً للهيمنة الرومانية البيزنطية على أرض بلاد الشام لمدة سبعة قرون متتالية. وبعد الانتصارات التي أنجزت في أجنادين والواقوصة واليرموك، بدأ المسلمون بفتح المدن الفلسطينية تباعاً كغزة ويافا ونابلس وغيرها. في حين فتحت مدينة القدس صلحاً سنة ١٦هـ/ ٦٣٢م.

كما يتناول الفصل الثاني مكانة القدس في عهد خلفاء بني أمية. ومع مجيئهم نالت بيت المقدس اهتماماً خاصاً لأسباب سياسية ودينية. وشاد الأمويون في المدينة صروحاً عظيمة، ليؤكدوا في الدرجة الأولى حرمة الحرم وليكسبوا الاحترام والشهرة بين المسلمين. واشتهر عبدالملك ببناء قبة الصخرة في سنة ٦٩–٧٢هـ، وامتازت بتصميمها الفريد كأقدم أثر إسلامي لازال قائماً.

أما عن القدس في العهد العباسي والفحاطمي، فقد تتبعته في الفحل الثالث، وبمجئ العباسيين ازدادت أهمية الاتجاه الإسلامي تقديراً للمدينة المقدسة منـذ أيـام

أبوجعفر المنصور، والرشيد والمهدي، والمأمون مما يدل على أن منزلة القدس، لم تتضاءل بعد نهاية الحكم الأموي. ففي هذا الفصل كانت سياسة الفاطميين نحو نصارى القدس أكثر ودًّا؛ لكنهم قاسوا من الاضطهاد لبعض الوقت على يد الخليفة الحاكم الذي لا يمكن التنبؤ بأعماله. وبلغ هذا أوجه في تدمير كنيسة القيامة، بيد أن الحاكم غير رأيه قبل وفاته، وسمح لهم باعادة بناء كنائسهم. ورمم المستنصر الواجهة الأمامية للمسجد. ويشير العمل المتاز الذي قام به الفاطميون إلى أنهم لم يكونوا أقـل حرصاً من سبقهم على تأكيد حرمة بيت المقدس وأهميتها الإسلامية. ففي سياق الفصل الرابع نلحظ إن العقـد الأخير من القـرن الحادي عشر حكام مصر والشام ذروتها، وكمان وقتـا مناسبا لهجـوم الـصليبيين على الشرق؛ فسقطت القدس بيدهم دون مدد إسلامي، فاصبحت عاصمة الملكة اللاتينية، وبذلك تغير نمط مدينة القدس الحضاري، عما كان عليه في العصور الإسلامية. وبذلك تغير نمط مدينة القدس الحضاري، عما كان عليه في العصور الإسلامية.

المسلمين امتلات نفوسهم حسرة على ضياع القدس، بيد أن حرمة المدينة العظيمة جعلتها رمزاً للجهاد ضد الغزاة، فقد تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من زعزعة الصف الصليبي، ونجح في توحيد الصف العربي؛ استعداداً لمعركة حطين، والحدث الحاسم في تباريخ القدس كمان هزيمة المماليك للجيش المغولي سنة ما ما من في عين جالوت، قرب الناصرة؛ إذ إن هذه المعركة وطرد المغول إلى ما وراء الفرات وهزيمة القوات الصليبية هي التي مكنت المماليك من بسط سيادتهم على فلسطين.

بحث الفصل السادس في الأوضاع العامة لمدينة القـدس في العهـد العثمـاني، ولعل الهدف الأبرز في هذه المرحلة، هو بروز المدينة في القرن التاسع عـشر كمركـز إداري رئيس في بلاد الشام. ومن ثـمَّ النظـر في المـتغيرات الـسياسية الـتي مهـدت للغرب التغلغل في القدس، ولا سيما إنجلترا، ودورها في تعزيـز الوجـود اليهـودي

وقيام دولتهم عام ١٩٤٨م. وعرّج هذا الفصل على سير المقاومة الفلسطينية في القدس منذ بداية الاحتلال البريطاني لها وحتى خروجهم منها.

وتناول الفصل السابع أوضاع القدس في الرعاية الهاشمية، وعرجت فيه على الحديث عن الحرب العربية الإسرائيلية، عام ١٩٤٨م، من خلال إعطاء لمحة عن مهمة الجيش الأردني، فيما يتعلق بمدينة القدس، والتي ارتبطت إدارياً منذ منتصف شهر كانون الأول ١٩٤٩م بوزير الداخلية في العاصمة عمان، وقد أبرزت في هذا الفصل جانباً من تاريخ الهاشميين المتمثل في الدفاع عن القدس ورعايتها من خلال الإعمار الهاشمي لها استناداً للبعد التاريخي والديني.

المؤلف دهايل الدهيسات أستاذ مساعد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ/ جامعة الزرقاء/ الموافق ٢٧ رمضان ٢٠١١

مدخل إلحالقدس تاريخ وحضارة



الفصل الأول

مدخل إلى القدس تاريخ وحضارة

أظهر انسان فلسطين في العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) تخصصاً في صيد أنواع محددة من الحيوانات، وبدأت تظهر إلى الوجود بعض الأدوات المتطورة التي كان يستعملها في حياته الاقتصادية. ويظهر في هذا العصر نوعان من الثقافة في فلسطين، الأولى هي الثقافة الكبارية والثانية هي الثقافة النطوفية⁽¹⁾.

والحضارة الكبارية نسبة إلى مغارة كبارة الواقعة في الطرف الغربي لجبال الكرمل^(٢)، وذلك بدءاً من ١٢ ألف سنة قبل الميلاد حيث وضعت الإنسان الكباري في قلب العصر الحجري الوسيط لتظهر الثقافة الكبارية الهندسية^(٣). حين أعطى التحسن المناخي ثماره الأفضل، فازدادت الحبوب والحيوانات البرية وارتفعت وتيرة استهلاكها من قبل الكباريين الذين تضاعفت أعدادهم واتسعت مناطق انتشارهم حول محيط ميناء العقبة^(٤). فقد وجدت تجمعات بشرية تسكن في معظم هذه المناطق، قرى نصف مستقرة، بيوتها صغيرة دائرية أو بيضوية الشكل، فموادها وتنظيمها تشبه قرية عين جيف في فلسطين^(٥).

ولكن الناس لم يتركوا المغائر بشكل كلي بل كثيراً ما أقاموا في مداخلها وفي المساحات الخارجية المحيطة بها. ففي مغارة الكبارا نفسها بلغت المنطقة المسكونة أمام المغارة حوالي ٥٠٠ متر مربع. ووصلت هذه المساحة ١٠٠٠ متر مربع في مغائر شقبة وهايونيم في فلسطين. واعتمد الإنسان في هذه الفترة على الصيد البري، ومن ثم استئناس الحيوان، وصيد الأسماك ومهدت لنشوء الزراعة والتدجين اللاحق^(٢).

(١) ويبدو أن الكلب والأيل هما الحيوانين الرئيسين، راجع خزعل الماجدي، مثولوجيا الأردن القديم: دراسات في الأساطير الأردنية القديمة، منشورات وزارة السياحة والآثار، الطبعة الأولى، عمان، ١٩٩٧، ص٨٢ و٨٣
 (٢) أحمد هبو، تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية، صنعاء، ١٩٩٩م، ص٠٥
 (٣) سلطان محيسن، عصور ما قبل التاريخ، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٠، ص١٩٩
 (٤) سلطان محيسن، مرجع سابق، ١٩٩٠، ص١٩٩
 (٢) معان ١٩٩٠، ص١٩٩٠، ص٠٥
 (٣) سلطان محيسن، محبور ما قبل التاريخ، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٠، ص١٩٩، ص١٩٩
 (٢) معان معان محيور ما قبل التاريخ، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٠، ص٠٩
 (٢) سلطان محيسن، مرجع سابق، ١٩٩٠، ص١٩٩
 (٢) سلطان محيسن، مرجع سابق، ١٩٩٠، ص١٩٩
 (٢) سلطان محيسن، مرجع سابق، ١٩٩٠، ص١٩٩

وبدأت الظروف المناخية تتغير اعتباراً من الألف العاشر قبل الميلاد. وقد اختفت بالتدريج بعض الحيوانات التي كانت تعيش في شمال فلسطين. وكان الإنسان على ما يبدوا قصير القامة مستدير الرأس، وأخذ يتعرف على بعض النباتات القابلة للطهي مما أفسح الجمال أمام الانسان للعمل على انتاج الغذاء وحفظه في بعض مرتفعات فلسطين كمناطق الجليل^(۱). ويرجح أن الإنسان بدأ يهتدي إلى التفكير في الكون وعلاقته به كما يستدل من وجود طقوس للدفن، وبدأت تظهر إلى جانب الأدوات الحجرية الضرورية للحياة اليومية مواد ذات قيمة فنية كالحفر والتشكيل على العطم والحجر والطين، حيث تمثل هذه التطورات مرحلة انتقالية تعرف باسم العصر الحجري الوسيط^(۱).

ففي الألف التاسع قبل الميلاد ترك النطوفيون المغائر بالكامل، وأقاموا قرى الصيادين الحقيقية الأولى، وسكنت في هذه القرى أعداد أكبر من الناس^(٣). وتـدل المساحة الكـبيرة لبعـضها الـتي وصلت إلى • • • ٣ مـتر مربع في روس هوريـشا بفلسطين، على أن متوسط القرية الواحدة تراوح بين • ١ – • ٢ شخص، وهـذا يعد تجمعا سكانيا كبيرا لم نصادفه قبل هذا التاريخ⁽¹⁾. ويرى فيه الباحثون مرحلة الانتقال من مستوى الجماعة إلى مستوى القبيلة ونشوء علاقـات اقتصادية أكثر تطوراً وتعقيداً^(٥). فسكان فلسطين في الحقبة ما بين الألفين الثامن والسادس، قبل الميلاد كانوا ما يزالون في المرحلة البدائية من الزراعة. ولابد أن الصيد كان ما يزال مهم في اقتصادهم^(١). وهكذا استخدم سكان فلسطين في تلـك الحقبة مناجـل مـن حجـر الـصوان، وهكذا استخدم سكان فلسطين في تلـك الحقبة مناجـل مـن حجـر الصوان، وربحا كـانوا هـم مخترعـي هـذه الأدوات وأخـرى مـن الحجـر البركـاني وعرفـوا وربحا كـانوا ما يذالول للعظم. وتميزت الديانة النطوفية بالاهتمام بـالحيوان وحاصة الاستخدامات العملية الأولى للعظم. وتميزت الديانة النطوفية بالاهتمام بـالحيوان الكلب^(٧).

وتعد أريحا أول مركز مهم من مراكز الاستقرار في فلسطين، يعود ذلك إلى نحو • ٧٨٠ ق.م^(١). وحوالي • ٧٠٠ ق.م كان ذلك الموقع الذي تبلغ مساحته خمسة هكتارات محاطاً بأسوار بارتفاع أربعة أمتار، اكتشف منه برج يرتفع حوالي العشرة أمتار. أما السكان فيمكن تقدير عددهم بحوالي الألفين كانوا يقيمون في بيوت مستديرة بنيت من اللبن على أساس من الحجر، لأن أرضية المسكن كانت في مستوى أدنى من مستوى الأرض خارجه^(٢).

ومع بداية العصر الحجر الحديث النيوليتي ٢٠٠ – ٤٥٠ قبل الميلاد^(٣)، ظهرت الحضارة النطوفية نسبة إلى وادي النطوف شمال غرب القدس، وهي تمثل تطور نوعي للحضارة الكبارية، وتميزت هذه الحضارة باستخدام الأدوات الهندسية المهذبة، واستمر النطوفيون في بناء البيوت والأكواخ مع ظهور بعض القرى في أريحا ومغارة الواد في جبل الكرمل. إلى جانب وجود نماذج لأضرحة نطوفية، وتماثيل حيوانية. ففي هذه المرحلة عرف إنسان الحضارة النطوفية استئناس الحيوان البري⁽³⁾.

وعُرف عن القدس في العصر الحجري الحديث النيوليتي الزراعة المنظمة وتدجين الحيوان، وكذلك صناعة الفخار والطواحين، والمستوطنات الزراعية كزراعة الحبوب، ولكن هذه الآثار لا تدل على أن القدس كانت تتمتع بفعل حضاري في تلك العصور، بينما تعد مدينة أريحا المسورة التي تعود إلى العصر النيوليتي الحديث (٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد) خير شاهد على الاستقرار الحضاري في المنطقة ^(٥).

وفي الحقيقة، فإن الحفريات التي أجريت في أريحا دلتنا على أن حضارة العصر النيوليتي كانت أرقى مما نظن. فلم تكن أريحا التي تعود إلى ذلك العصر مجرد قرية ذات منازل حسنة البناء وأرضيات مصقولة من الملاط، بل كان هنـاك سـور عـالي من الحجر حول البلدة كلها يحيط به خندق من جميع الجوانب^(٢).

(١) محمد فرزات، مرجع سابق، ص٤٧ (٢) المرجع نفسه، ص٦٤ و٤٧ (٣) لانكستر هاردنج، آثار الأردن، تعريب سليمان الموسى، الطبعة الخامسة، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، (٤) إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، الطبعة الثانية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، (٤) إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، الطبعة الثانية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، (٥) لانكستر هاردنج، مرجع سابق، ص٤٢ و (٦) المرجع نفسه، ص٤٣



ويقدر ارتفاع السور حول المساكن في مدينة أريحا، بمترين ونصف المتر الذي يمكن أن يعتبر بمثابة سور لحماية المساكن والمدينة^(۱). إن هذا يدل على درجة عالية من التنظيم الجماعي، وعلى إخضاع المنافع الشخصية للمصلحة العامة. أضف إلى ما تقدم وجود برج مستدير من الحجر تتوسط جوفه قصبة ذات درج متقن الصنعة، مما يدل على رقي واسع في الفن المعماري، وفي هذا كله أمثلة على أن الإنسان النيوليتي الأول المقيم في وادي الأردن كان أكثر رقياً من الإنسان المقيم في الأقطار المجاورة⁽¹⁾.

وتوحي لنا الجماجم النيوليتية في أريحا المعادة التشكيل كإنها صورة شخصية بوترية للسلف المبجل، واستخدم في عملية التشكيل عجينة من كلس وطين وملئت محاجر العيون بأصداف تعطي شكل البؤبؤ، ثم طلي الوجه بلون يماثل لون البشرة الانسانية، وتم حشو الجمجمة من الداخل بالطين المدكوك لأجل تقويمها^(٢).

وهناك رأي في ظهور جماجم من هذا النوع يرى بانها تحمل دليلاً على مـا يمكـن تسميته لعبادة الجماجم التي تجعل من الرأس مقراً للروح أو وعاء للقوة المقدسة^(٤).

العصر البرونزي الأول (٣٢٠٠ – ٣٢٠٠ قبل الميلاد) تعتبر هذه الفترة استكمالاً مباشراً للتطور الذي تم إحرازه خلال العصر النحاسي (٣٠٠ق.م)، وقد أصبح المعدن يستعمل في العصر البرونزي بكميات أكبر، حيث بدأ الإنسان يصنع من النحاس الأحر أدوات مختلفة كالسيوف والخناجر ورؤوس الرماح بالدرجة الأولى، ثم الفخار، وتراجع استعمال الأدوات الحجرية من أدوات شخصية ومتطلبات حياة يومية إلى أدوات فن وعمارة^(٥). علماً أن اسم العصر البرونزي (خليط من النحاس والقصدير) لا يعتبر تسمية صحيحة نوعا ما بالنسبة للفترة الأولى والمتوسطة، لان جيع الأدوات التي تم تحليلها كانت من النحاس وليس من البرونز. فمن بين مواقع العصر البرونزي الأول الذي تم فحصه بصورة علمية في المنطقة هو موقع خربة غزال في وادي الوالا^(٢).

(١) محمد حرب فرزات، مرجع سابق، ص٤٥و٥٥
 (٢) لانكستر هاردنج، مرجع سابق، ص٤٩
 (٣) خزعل الماجدي. مرجع سابق. ص٩٢
 (٣) خزعل الماجدي. مرجع سابق. ص٩٢
 (٤) جاك كوفان، ديانات العصر الحجري في بلاد الشام، ترجمة الدكتور سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٨م، ص٥٧
 (٥) لانكستر، مرجع سابق، ص٤٦-٤
 (٦) المرجع نفسه، ص٤٦



والمنطقة مليئة بمناجم النحاس التي حفرها الناس من العصر الحجري النحاسي وحتى نهاية الفترة البيزنطية (٦٣٦ ميلادية). ومن أهم المواقع نذكر: خربة النحاس ووادي فينان ووادي خالد على الضفة الشرقية للوادي وخربة المنيعة (تمناع) على غربيه^(١). أما في مدينة القدس فقد تعددت النشاطات الأثرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، ونذكر منها ما قامت به مجموعة من المهندسين بإشراف مشر وبداية تقع على المنحدر الشرقي للمدينة القديمة وتم العثور على ثلاثة قبور الدرج، والتي تقع على المنحدر الشرقي للمدينة القديمة وتم العثور على ثلاثة قبور تعود إلى العصور البرونزية المبكرة^(٢).

القدس في العهد الأموري

تشير الدراسات والحفريات الأثرية إلى أن مدينة القدس بنيت مع بداية العصر البرونزي المبكر (قبل مجيء الكنعانيين واليبوسيين)، حيث كانت القدس ذات هوية وطابع أموري، إلا أن تاريخ ظهور القبائل الأمورية في فلسطين غير محدد، فتشير الوثائق السومرية لوجودهم في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد في بلاد العراق وتشير الدلائل إلى استقرار عناصر من الأموريين في شرقي الأردن وفلسطين في وتشير الدلائل إلى استقرار عناصر من الأموريين في شرقي الأردن وفلسطين في مع قدوم المهاجرين في الفترة التي عرفتها فلسطين في البرونز المبكر واجهت عنف مع قدوم المهاجرين في الفترة التي نشير إليها^(٤). وقد حل محل تلك الحضارة ثقافة نصف بدوية يمكن دراستها من خلال آثارها الفخارية والأسلحة والمقابر التي خلفتها. ويرى العلماء أن المتغيرات التي طرأت على الحياة في فلسطين وشرقي الأردن تتفق مع مرحلة جديدة هي عصر البرونز المتوسط، وهي تعزى إلى التوسع الأموري في المنطقة^(٥).

(١) زيدان كفافي، دراسات ومقالات في التراث الثقافي الأثري، المطبعة الوطنية، عمان، ٢٠٠٩، ص٣٥
 (٢) المرجع نفسه، ص٥٠
 (٣) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، الطبعة الأولى، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م،
 (٣) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، الطبعة الأولى، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م،
 (٣) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، الطبعة الأولى، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م،
 (٣) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، الطبعة الأولى، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م،
 (٣) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، الطبعة الأولى، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م،
 (٣) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، الطبعة الأولى، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م،
 (٣) خزعل الماجدي العراق السامي عنهم، العربية السامية العربية لسام
 (٣) نوح - تحت تأثير عوامل طبيعية الجفاف، باتجاه بلاد الشام، واتجه قسم منهم إلى سيناء ومصر، وكانت بدايات بدايات الك الهجرة في الألف الرابع قبل الميلاد، وهي الموجة العربية السامية التي عرفت باسم الأمورية الكنعانية، وتعاظم أمرها في أواسط الألف الثالث ق، م، راجع عزمي عبد محمد ابو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير: عبر العصور القدية والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير، الزرقاء ١٩٩٣م، ص٢١ و٢٢
 (٢) المرجع نفسه، ص١٤٥ (١٤)



الأمر الذي أفسح المجال لاحقاً للقبائل الكنعانية لتأخذ دورها الريادي، لـذلك أعتبر العصر البرونزي المبكر في فلسطين عصراً أمورياً، ظهرت خلاله المدن الفلسطينية الأولى، الأمر الذي يعني لنا أن القدس كانت حصن صغير جـداً على تـل الظهـور (المعروف بتل أوفل) قرب قرية سلوان^(۱).

وتشير النشاطات الأثرية إلى أن مدينة القدس كانت قد سُكنت ابتداء من الألف الرابع ق.م وحتى يومنا هذا. فقد جاءت بقايا نهاية الألف الرابع بمجموعة من الحفر في الصخر الطبيعي، عثر بداخلها على كسر فخارية تعود للعصور البرونزية المبكرة. كما عثر على بقايا منازل مكونة من غرف واسعة ومبينة فوق الصخر الطبيعي. ويحيط بالجدران من الداخل صف من الحجارة يبرز عن الجدران ربما بهدف الجلوس^(٢).

ويرى ديل ميديكو اعتماداً على ألواح الملك الكبير الأوغاريتية أن فلسطين كانت تسمى ميريام-Mrym أو أموريا. وكلمة أموريا تشير إلى آمور أي بلاد الأموريين. وهذه التسمية سابقة للوجود الكنعاني، بدليل وجود جبل موريا الذي يقوم عليه بعض الحرم القدسي، والذي ما يزال يحتفظ باسم فلسطين القديم، ويشير كذلك إلى استيطان آموري مبكر في القدس^(٣).

القدس في العهد الكنعاني اليبوسي

تقع مدينة القدس على أحد جبالها وترتفع ٢٤٠ م عن مستوى سطح البحر، وتبعد حوالي ٤٠ كم إلى الشرق من شاطئ البحر الأبيض المتوسط. واسم المدينة ذو أصل كنعاني يبوسي ويعني الإله سالم^(٤). ويقترح العاملون بالآثار بأنه لابد من وجود بقايا أثرية تعود للعصور البرونزية المتوسطة، أي الفترة ما بين ٢٥٠٠- ٢٠٠٠ ق.م، وذلك في مناطق جبل الزيتون وقرية سلوان على امتداد وادي سلوان. وربما يكون الكهف الواقع تحت قبة الصخرة المشرفة عائداً إلى هذه الفترة^(٥).

التاريخ القديم باسم أرض كنعان هم الكنعانيون الذين سميت البلاد باسمهم، قبل أن

(١) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٠م، ص٢٥٢٢
 (٢) زيدان كفافي، مرجع سابق، ص٥٥
 (٣) ديل ميديكو، اللآلي من النصوص الكنعانية، ترجمة مفيد عرنوق، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٢
 (٤) زيدان كفافي، مرجع سابق، ص٤٩
 (٥) المرجع نفسه، ص٥٥



يطلق عليها اليونان والرومان اسم سوريا ويسميها العرب ببلاد الشام (). وكان قدومهم إلى بلاد المشام من الجزيرة العربية، وأطلق على من سكن في الساحل الـشمالي (منطقـة اللاذقيـة وجبيـل وأوغاريـت) اسـم الفينـيقين، وذلـك لاشـتغالهم باستخراج وتجارة الفينيكس وهو اللون الارجواني. والذين عملوا في التجارة وبناء المدن، واوجدوا حروفاً هجائية اكتشفت في أوغاريت. كما أطلق على الكنعانيين الذين نزلوا في القدس الحالية، اسم اليبوسيين". واليبوسيون هـم أشـراف وزعمـاء الكنعانيين العرب في القدس، ونعرف من ملوك القدس في هذه المرحلة: سالم اليبوسي وأدوبي بازن وملكي صادق^(٣). ويذكر أن أول اسم أطلق على القدس كـان "يبـوس" نسبة إلى اليبوسيين.

نصوص اللعنة" التي عثر عليها في مصر. ففي سنة ١٩٢٥م اشترى شيفر Schaefer في الأقصر ٢٥١ كِسرةً أثرية ظهرت على معظمها كتابة هيرية (٥)، ثم تم شراء كِسرٌ أخرى فيما بعد. ومن الكِسرَ أمكن ترميم ٨٠ طبقاً ومزهرية. وبهـذه الطريقة أصـبحت النصوص مفهومة. وبعد مضي عام واحد نشر ك. زيئة K. Sethe هـذه النـصوص في برلين".

كما وجد K. Sethe كلمة نقلها إلى الأحرف اللاتينية هكذا Awsamm – أوشام، وقرأها هكذا: Urusalim – أوروسالم. وكان لهـذه الترجمـة للنـصوص وقـع في نفـوس العلماء وأعربوا عن اقتناعهم بها. وقـد ارجـع تـاريخ هـذه النـصوص في البدايـة إلى القرون الأخيرة من الألف الثالث قبل الميلاد. ولاحقاً نسبت إلى فترة الأسرة المصرية الثانية عشرة، وبوجه أكثر تحديداً، إلى فترة حكم سيزو ستريس الثالث [Siesostris III 1872-1842) ق.م)، وهذه هي النصوص التي تدعى بنصوص اللعنة والتي ذكرت فيها أسماء البلدان والمدن والحكام الذين لُعنوا بسبب نواياهم أو أفعالهم الشريرة، الحقيقية

- (١) محمد سلامة النحال، فلسطين ارض وتاريخ، دار الجليل، الأردن، عمان، ١٩٨٤، ص٢٨
- (٢) إبراهيم الشريقي، أورشليم وأرض كنعان، مؤسسة الدراسات الدولية، لنـدن، ١٩٨٥م، ص٢٤، محمـد أديب العامري، دور فلسطين في التاريخ، بيروت، ١٩٧٠، ص٢٥، وربما كان قدومهم خلال العصور البرونزيـة المبكـرة ۳۳۰۰ قبل الميلاد،
- (٣) عزمي أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والحديثة، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، عمانَ، ط١، ١٩٩٣، ص٤٥،

(٤) معجم البلدان، دار صادق، بيروت، د، ت (٥) هيرية هي شكل قديم للكتابة المصرية القديمة، أبسط من الهيروغليفية التصويرية التي ظهرت ٣٢٠٠ قبل الميلاد، (6) N Sethe, Die Achtung Feindlicher Furstem, Volker und Dingen auf altagyptischen Tongefabscherben des Mittleren Reiches, Berlin, 1926



أو المحتملة ضد مصر^(۱). وعلى أية حال فان التاريخ الجديد يجعـل هـذه النـصوص في فترة كانت مصر تمارس فيها السلطة في فلسطين.

اسم الإله سالم ويتكرر في كتابات رأس الشمرة أوغاريت (مدينة اللاذقية) من القرن الرابع عشر ق.م، وهو واحد من إلهين Sahar و Salem وهما ذوا حظوة عند أهل البلد ويوصفان بأنهما آلهة الليل والنهار. ولكن بعض الدارسين لا يوافقون على ذلك، وهذا الاشتقاق ظهر لأول مرة في النصوص المصرية "نصوص اللعنة" والمؤرخة في القرن التاسع عشر ق.م^(۲).

وعندما مر سيدنا إبراهيم بمدينة يبوس عام ١٩٠٠ق.م، كما جاء في سفر التكوين أن ملكي صادق اليبوسي دعا إبراهيم عليه السلام قائلاً:" مبارك إبراهيم مالك السموات والأرض". وهذا دليل على أن اليبوسيين قد ارتفعوا عن دور الوثنية الأول، وكان ملكي صادق يدعى كاهن الله العلي^(٣). وذلك قبل زمن طويل من دخول القبائل اليهودية^(٤).

ومن معلومات رسائل تمل العمارنة (١٤٠٠ ق.م)، حول القدس يتشكل الانطباع بأن المدينة في ذلك الوقت كانت غنية بمواردها، وحاولت السيطرة على بعض المدن المجاورة. فقد كشفت الحفريات التي أجراها سلفستر سالر في عام ١٩٥٤م، عن قبر غني بمواده الأثرية في منطقة جبل الزيتون. كما عثر ديمتري برامكي في عام ١٩٣٥م على بئر للماء بداخله موجودات أثرية تعود للفترة الواقعة ما بين (١٥٥٠–١٢٠٠ ق.م)^(٥).

وهكذا عاش الكنعانيون في أول الأمر معيشة بدوية ثم تحضروا تدريجياً وأسسوا المدن الكبرى، ولكنهم لم ينجحوا في تأسيس دولة موحدة، بـل كانـت كـل جماعـة أو قبيلة تؤسس مدينة مستقلة لها في موقع منيع يسهل الدفاع عنه بالقرب من عيون المـاء، وتختار ملكاً لها من بين أشراف القبيلة أو المدينة (كبار ملاكي الأرض)⁽¹⁾.

- (١) وقد ظن في البداية أنه كان يفترض أن يكون لهذه اللعنات قوة السحر ضد جميع أولئك الأعداء الذين لم تكن مصر قادرة على السيطرة عليهم بالقوة العسكرية، A Mallon, Jerusalem et les documents egyptiens, JPOS, vol VIII,1928,1-6
 - (٢) زيدان كفافي، مرجع سابق، ص٤٩ (٣) نجيب الأحمد، تهويد القدس، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، بدون تاريخ، ص٦وما بعدها (٤) إبراهيم الشريقي، مرجع سابق، ص١١ (٥) زيدان كفافي، مرجع سابق، ص٥٥ (٦) نعيم فرح، التاريخ القديم وماقبله، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتاب، دمشق، ١٩٩٠–١٩٩١م، ص٢٠٨



ومن أهم الممالك الكنعانية: مملكة مجدو، مملكة أورشليم، مملكة بيت شان وغيرها. واعتبارا من القرن الرابع عشر ق.م أصبحت الوثائق المصرية تسمي فلسطين باسم با-كنان، وفيما بعد أصبحت المنطقة تسمى باسم بلاد كنعان حسب التوراة والوثائق المصرية أيضاً.⁽¹⁾

في حين لم تُذكر إسرائيل إلا عام ٨٤٢ ق.م عندما حارب الملك المؤابي (ميشع) القبائل اليهودية في مأدبا وقتل منهم ٢٠٠٠ رجل، كما هو مدون في مخطوط الملك ميشع الموجود في متحف اللوفر. وقد عبد اليبوسيون الإله بعل وكان مقر عبادته جبل صهيون، وصهيون اسم كنعاني عرف قبل ظهور اليهود بألف سنة على الأقل، ثم نسبه اليهود إلى أنفسهم^(٢).

ويرى الباحثون أن حفريات كنيون وشيلوح في مدينة القدس قد أثبتت أن المدينة كانت محصنة خلال القرن الثامن عشر ق.م، حيث عثر على سور سمكه ٣م كما تم تدعيم هذا الجدار بدعامات حجرية على شكل أبراج، خاصة في المنطقة المطلة على نبع ماء "أم الدرج"^(٣).

ومن الثابت أن القدس في مرحلتها الأولى ارتبطت ارتباطاً وثيقا بتاريخ الأسرة المصرية الثامنة عشرة (١٥٨٠–١٠٨٥ ق.م)^(٤)، لان مصر أدركت أن حماية حدودها لا يكون إلا بالاستيلاء على فلسطين وهذا مثبت تاريخياً من خلال حفريات موقع تل العمارنة في مصر. ففي عهد الأسرة المصرية التاسعة عشرة (١٣١٤–١٢٠٠ ق.م)^(٥). يظهر لنا أن اليبوسيين كانوا يمثلون الطبقة الارستقراطية التي عاشت في قلعة القدس منعزلة عن عامة سكان البلدة نفسها. وكانوا يشكلون نبلاء الكنعانيين في المدينة^(١). كانت مدينة القدس قد شهدت جفافاً قاسياً، فازدادت عمليات الهجرة العشوائية إلى شرقي الأردن وشمال الجزيرة العربية. وبنيت مدينة القدس مرة ثانية في العصر البرونزي الأوسط (٢٠٠٠–١٥٥ ق.م) "القدس الكنعانية" أو "أور سالم" أي مدينة السلام^(٧). وهناك ثمة ديانة يبوسية كانت قد استقرت في مدينة القدس والتي ظهرت

(١) نعيم فرح، مرجع سابق، ص٢٠٨
 (٢) خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١م، ص١٤٥ وما بعدها
 (٣) زيدان كفافي، مرجع سابق، ص٩٥
 (٤) محمد حرب فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر القديمة وحضارتها، الطبعة الرابعة، جامعة دمشق، ١٩٩١-١٩٩٢م، ص١٤٥
 (٤) محمد حرب فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر القديمة وحضارتها، الطبعة الرابعة، جامعة دمشق، ١٩٩١-١٩٩٢م، ص١٤٥
 (٢) محمد خرب فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر القديمة وحضارتها، الطبعة الرابعة، جامعة دمشق، ١٩٩١-١٩٩٢م، ص١٢٧
 (٥) محمد فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى، مرجع سابق، ٢٠٦
 (٢) محمد فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى، مرجع سابق، ٢٠٦
 (٢) محمد فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى، مرجع سابق، ٢٠٦
 (٢) محمد فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى، مرجع سابق، ٢٠٦
 (٢) محمد فرزات، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى، مرجع سابق، ٢٠٦



في نهاية الألف الثاني ق.م. والآلـة الرئيـسية في فلـسطين والقـدس هـي (إيـل وسـالم وحيبا^(١))، وكان لكل مدينة إله خاص بها، والذي غالباً ما تشتق اسمها منه مثل بيـت شان (بيسان) فهي مدينة الإله شان، (وأريحا) مدينة إله القمر يرح^(٢).

وكانت تسمية القدس قد شاعت باسم "أورشليم"، وهذا الاسم المشتق من التسمية الكنعانية الجنوبية أور سالم ربما له علاقة بتطور مفردات اللغة الآرامية على اعتبار أن القلم العبري أحد لهجات اللغة الآرامية^(٣). واللغة الآرامية المكونة من ٢٢ حرف هي واحدة وأن اختلفت في لهجاتها، وكان اسم القدس قبل ذلك "منورتا" الذي يوحي بأصل أموري، ومعناه الشمعة أو الضوء، وهو المعنى نفسه لكلمة "شالم" أو "سالم" في اللغة الكنعانية التي سرعان ما تطورت إلى آرامية، حيث التسميات اللغوية لها صلة وثيقة باشتقاقات الآرامية التي تشكل الجذر العربي متعدد الخطوط⁽³⁾.

ففي المراحل المبكرة شهدت القدس استيطاناً بشرياً ونشاطاً زراعياً واضحاً، وعرفت طقوس محددة لدفن الموتى في المنازل أو بالقرب منها. و تدل الحفريات الحديثة على أن عمران المدينة كان قد أخذ في التوسع خارج أسوارها، في حين بنيت مساكنهم من الحجارة والطين دائرية الشكل من طابق واحد، كما تميزت أسوار المدينة بشكلها الدائري المسور بالطين والحجر من جهاتها الأربع^(٥). ففي العهد الكنعاني نجد أن الصخرة المقدسة (منتظمة الشكل في جوفها مغارة)، ربما كانت خارج أسوار القدس الكنعانية ولكنها مقدسة عند الكنعانين عامة واليبوسيين خاصة. ويذكر أن ملكي صادق اليبوسي كان يقدم على الصخرة القرابين ويقيم طقوسه الدينية^(٢). لقد أعاد اليبوسيون بناء مدينة القدس أكثر من مرة. وسالم ربما هو يبوس الذي عمل على توسعة حدود القدس خارج أسوارها في تلك الفترة، وقد ورد اسمه في

(١) لقد حفظت أسماء الآله التي تتصل بالقدس اليبوسية اتصالاً أكيداً، وأضاف العلماء أسماء أخرى، ونحن نذكر هنا سالم وإيل وحيبا، وإن القسم الثاني من اسم ملك عصر العمارنة عبدي حيبا، وموجود في اسما أخرى مثل إلى حيبا، (صموثيل الثاني ٢٣:٣٢)،
 حيبا، (صموثيل الثاني ٢٣:٣٢)،
 (٢) خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، مرجع سابق، ١٤٥-١٥٢
 (٣) خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، مرجع سابق، ١٤٥-١٥٢
 (٣) مايل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، مرجع سابق، ١٤٥-١٥٢
 (٣) مايل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، مرجع سابق، ١٤٥-١٥٢
 (٣) هايل الدهيسات، اللغة الآرامية: أهميتها وعلاقتها بالعوبية واللغات الأخرى، مجلة أفكار، وزارة الثقافة الأردنية، العدد ٢٦٠، ٢٠١٠م،
 (٤) عزمي عبد محمد ابو عليان، القدس، مرجع سابق، ص٢١-٢٧
 (٩) سير آلن جاردنر، مصر الفرعونية، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة عبدالمنعم أبو بكر، الطبعة الثانية، الهيئة المحرية الميتية المراجعة عبدالمنعم أبو بكر، الطبعة الثانية، الهيئة (٥) سير آلن جاردنر، مصر الفرعونية، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة عبدالمنعم أبو بكر، الطبعة الثانية، الهيئة المربية المحرية العامة للكتاب، القدس، مرجع سابق، ص٢١٥-٢١



الوثائق المصرية، كما تحدثت عنه نصوص مدينة أوغاريت الفنيقية، أي بمعنى الإلـه سالم ملك القدس. وظلت أورسالم مدينة عربية مستقلة يحكمها سكانها اليبوسيون إلى أن فتحها الملك داود عليه السلام حوالي عام ٩٩٧ قبل الميلاد^(۱).

كانت القدس قد بلغت قمت ازدهارها في القرنين الثامن والسابع ق.م، حيث بني عدد من البيوت الخاصة على تلة صناعية أقيمت على منحدر تحصيني. وقد عثر في نفس المنطقة على عدد من الدمى التي ربما ارتبطت بمجموعة من العقائد الدينية، وربما يشير هذا إلى تحول في المعتقد الديني في ذلك الوقت^(٢). فمن أهم المظاهر المؤرخة للقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد هو النظام المائي حيث تم الكشف عن مجموعة من القنوات التي تجر المياه من عين أم الدرج إلى بركة الملوك. ومن هذه المنشئات أيضاً ما يعرف باسم بتر وارن^(٣). وهكذا بقي حكم الكنعانيين اليبوسيين في فلسطين وعاصمتهم أور سالم لقرون متواصلة إلى أن تم تأسست مملكة بني إسرائيل حوالي سنة وعاصمتهم أور الميراد المرون متواصلة إلى أن تم تأسست مملكة بني إسرائيل حوالي سنة

القدس في الديانة اليهودية

كانت القبائل اليهودية قد خرجت مع سيدنا موسى عليه السلام من مصر باتجاه أرض كنعان، وبعد أن تاهوا في سيناء نحو أربعين عاماً، سار بهم إلى شرقي الأردن^(٥). وبعد وفاة موسى عليه السلام، قاد القبائل اليهودية يشوع بن نون ودخل أريحا نحو ١١٨٦ق.م ودمرها، واحتل عدد من المدن الفلسطينية، وجاء شاؤول من بعده ثم سيدنا داوود ثم ابنه سليمان^(٢).

وظلت القدس مستقلة يحكمها سكانها الكنعانيون، إلى أن نودي بـداود عليه السلام ملكاً على إسرائيل، نحو ٩٩٧ ق.م، حيث عمـل على توسيع حـدود مملكتـه لتشمل فلسطين والأردن، واستولى على مدينـة القـدس وكـان اسمهـا الكنعـاني "أور سالم"، فسُميت في عهده "أورشليم"^(٧).

(١) إبراهيم الشريقي، مرجع سابق، ص١١ و٦٠
 (٢) زيدان كفافي، مرجع سابق، ص٢٥
 (٣) زيدان كفافي، المرجع نفسه، ص٥٥
 (٤) المؤلف
 (٤) المؤلف
 (٥) نجيب الأحمد، مرجع سابق، ص٨٥
 (٦) جيب الأحمد، مرجع سابق، ص٨٥
 (٩) عبدالحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـاهرة، ١٩٧٤م، ص٧٤و٨٤، مكـان (ضريح) وفاة موسى عليه السلام غير معوف
 (٢) محمد علي البار، أباطيل التوراة في العهد القديم، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ص٨٢، ص٢٥



وترى الباحثة كنيون أن الجهة الشرقية لمدينة القدس القديمة تنحدر بشكل كبير، حيث تم بناء مجموعة من المصاطب للاستفادة منها من قبل السكان في وقـتهم. واعتقدت كنيون أن هذه المصاطب ربما تكون هي التي ذكرت في التوراة باسم "ميلو" إذ كان قد بناها الملك داود، وأصلحها سليمان^(١).

وأوردت دائرة المعارف البريطانية أن فترة حكم سليمان عليه السلام امتدت نحو أربعين سنة (٩٦٠–٩٢٢ ق.م)، وهي نفس الفترة التي حكمها أبوه داود عليه السلام، فقد عاشت المملكة الإسرائيلية في الشمال نحو قرنين (٩٢٢–٧٢٢ ق.م)، وملكها يربعام بن ناباط، وعاصمتها شكيم (نابلس)، وكانت نهايتها على يد الأشوريين^(٢).

كانت المملكة اليهودية قد اشتملت على القسم الجنوبي من فلسطين، (مملكة يهوذا) وملكها رحبعام بن سليمان وعاصمتها أورسالم. ودامت نحو ١٣٦ سنة بعد خراب المملكة الشمالية، وهكذا استمر حكم العبرانيين نحو أربعة قرون ^(٣).

وأثبتت نتائج الحفريات الأثرية، كما دلت الوئائق التاريخية المدونة، إلى بقاء مدينة القدس يبوسية كنعانية، وعدم وجود ما يسمى المملكة الموحدة لإسرائيل ويهوذا، وعدم تميز القدس كمدينة خارجة عن السياق الكنعاني اليبوسي كأن تكون عبرية أو

يهودية أو غير ذلك^(٤).

كانت الإمبراطورية الأشورية قد انتهت بسقوط نينوى عام ٢٦٢ق.م. وأخذ نجم بابل يسطع. وخلال حكم نبوخذ نُصر البابلي، قام المؤابيون والعمونيون بغزوات على فلسطين حينما كان "يواكيم" ملكاً على يهوذا، وأعقب هذا محاولة للتحالف بين الأردن وفلسطين وجانب من سوريا ضد نبوخذ نُصر⁽⁰⁾. ففي سنة ٨٦٦ ق.م دخلت مدينة القدس تحت الحكم البابلي عندما احتلها نبوخذ نصر، وقام بتدميرها، وبادر للعمل السريع على ترحيل اليهود الأسرى إلى بابل. (السبي البابلي الثاني الكبير)، على أن الكثير منهم فروا إلى بلاد مؤاب وأدوم طلباً للنجاة⁽¹⁾.

وتحت سلطان بابل كان قد عُين "جدليا" حاكماً على فلسطين، فاستأجر "بـالس" ملك عمون شخصاً ليقتل جدليا هذا، فقام إسماعيل بتنفيذ هـذه المهمـة لـسبب غـير

(١) زيدان كفافي، مرجع سابق ، ص٥٥
 (٢) دائرة المعارف البريطانية، الجزء الثاني، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢، ص٨٧
 (٣) محمد البار، مرجع سابق، ص٥٦ ٩٢
 (٤) زيدان كفافي، مرجع سابق ، ص٥٥
 (٥) لانكستر هاردنج، مرجع سابق، ص٣٦
 (٦) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، بغداد، ١٩٥١، ص٢٠٩



معروف. ولا يعرف الكثير عن تاريخ المنطقة خلال العقود التالية. ففي سنة ٥٨٠ ق.م، بدأ الأنباط يحتلون بلاد أدوم، حيث أرغم الأدوميون على الرحيل إلى جنوبي فلسطين().

كان الشرق الأدنى يعيش في فوضى، فقد كانت الممالك القديمة في مصر وسوريا والعراق في حالة انهيار. وكانت مملكة فارس (٤٩ – ٣٣١ ق.م)، ما تزال في طور النشؤ. ولقد طرد بصورة فعالة من بقي من اليهود في فلسطين وحلت محلهم شعوب أخرى^(٢)، الأمر الذي أتاح الفرصة لظهور ممالك جديدة من السكان المحليين للمنطقة، حيث كان هناك، الأدوميون والعمونيون، والمؤابيون، والأراميون – النبطيون^(٣). بدأ النفوذ الفارسي بتعيين حاكماً عاماً للمناطق العربية التابعة لفارس، والحقوا الأردن وفلسطين بإدارته. وحوالي سنة ٥٠ ق.م، سُمح لليهود بالعودة إلى فلسطين، وشرعوا بإعادة بناء الهيكل في القدس. وكان الأدوميون في هذه الفترة قد استوطنوا جنوبي فلسطين حتى عرفت فيما بعد باسم أدومي^(١). ولم يكن تدمير القدس من قبل بنوخذ متعلقاً بأية مسألة دينية^(٥). وكان عودة السي بتأثير على نبوخذ نصر من زوجته "استير" وهي يهودية الأصل، وكان أهل السي خليطاً من الأقوام، ثم أصبح اليهود

في مدينة القدس تابعين سياسياً للدولة الفارسية(٢).

وكان العمونيون والمؤابيون قد شنوا هجمات على اليهود بقصد منعهم من إعادة بناء الهيكل في القدس، لأن الهيكل كان المظهر الخارجي لعودتهم. ففي هذه الفترة أصبح طوبيا، وهو من أصل يهودي، حاكماً في عمون، وكان على رأس الأسرة التي سيطرت على تلك البلاد لبضعة قرون. وكان طوبيا هذا من الزعماء المعارضين لفكرة إعادة بناء الهيكل^(v).

أما ما يعرف لدى التوراتيين باسم "مدينة داوود" (الجهة الجنوبية الشرقية للتل)، فكانت محاطة بأسوار، بنيت في فترات سابقة، لكنها خضعت لإضافات زمن الملك نحميا (حوالي منتصف القرن الخامس ق.م). وكُشفت هـذه الأسـوار ضـمن



الحفريات التي أجراها كل من ماكلستر ودنكان في النصف الأول من القرن العشرين. ثم أعيد اكتشافها من خلال الحفريات التي أجراها كنيون وشيلوح الذين أرخا هذه الجدران والأبراج إلى القرنين الثاني والأول ق.م^(۱). وهكذا بقيت القدس تحت الحكم الفارسي حتى احتلها الاسكندر المقدوني في سنة ٣٣٣ ق.م.

القدس تحت الحكم اليوناني من المكن أن نطلق اسم الحضارة الهيلنستية على الحضارة التي نشأت عن تفاعل مظاهر الحضارة اليونانية مع مظاهر الحضارات الشرقية التي ظهرت في ربوع بلاد الشام ومصر وبلاد النهرين وآسيا الوسطى. فمن المكن أن نعتبر فترة الفتح المكدوني للشرق بداية العصر الهيلنستي، بينما فترة الفتح الروماني للشرق نهاية له^(۲).

وقد كانت القدس من بين المدن الواقعة ضمن الإمبراطورية اليونانية في بلاد الشام بعد أن تغلب الاسكندر الأكبر على الفرس ودمر دولتهم واحتل مناطق شاسعة من المشرق من بينها فلسطين، وقد عين الاسكندر رئيس الكهنة اليهودي في القدس والياً على المدينة^(٣). وسك اليهود في المدينة على عهده نقوشاً عليها " أورشليم المقدسة خلاص صهيون" "عصا هارون" إناء على شكل كوب بدون مقبض وقد نقش عليها من الخلف باللغة العبرية "شاقل إسرائيل، نصف شاقل، ربع شاقل⁽¹⁾. وقد امتازت القدس في العهد اليوناني بعدم الاستقرار خاصة بعد وفاة الاسكندر البطالمة⁽⁰⁾. والسلوقيين⁽¹⁾ حيث حول كل منهما السيطرة على المدينة⁽¹⁾. وهكذا البطالمة⁽⁰⁾، والسلوقيين⁽¹⁾ حيث حاول كل منهما السيطرة على المدينة⁽¹⁾. وهكذا البطالمة⁽⁰⁾، والسلوقيين⁽¹⁾ حيث حاول كل منهما السيطرة على المدينة⁽¹⁾. وهكذا قرم، تمكن أحد القادة السلوقيين من هزيمة جيش البطالمة وضم فلسطين للحكم

(١) زيدان كفافي، مرجع سابق، ص٥٩
 (٢) نعيم فرح، مرجع سابق، ص٩٢٥
 (٣) ظفر الإسلام خان، مرجع سابق، ص٦٨
 (٣) ظفر الإسلام خان، مرجع سابق، ص٦٨
 (٤) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، ص٣٥
 (٥) نسبة إلى القائد بطليموس الذي أخذ مصر وأسس فيها دولة البطالة
 (٦) نسبة إلى القائد سلوقس الذي أخذ سورية وأسس فيها دولة السلوقيين
 (٢) نعيم فرح، المرجع نفسه، ص٣٢٥



السلوقي، حيث تأثر بعض سكان القدس بالحضارة الهلنستية بشكل كبير، الأمر الـذي أدى إلى نشوء طبقات اجتماعية غير متجانسة^(١).

وفي هذه المرحلة بدأت الهلينة المنظمة لليهود لطبع القدس بالطابع اليوناني، وقامت باستبدال الإله "يهوا" بالإله زيوس أولمبوس اليوناني، وغيرت الأحكام اليهودية، وجرى تفتيش عن نسخ سفر الشريعة وأعدم من يحتفظ بها. وهذا يعني أن الهلينة دفعت بعض اليهود لتخلي عن يهوديتهم، الأمر الذي أدى بالمقابل إلى قيام الثورة المكابية^(٢).

ونتج عنها قيام دولة يهودية (الحشمونية)، اتخذت من القدس عاصمة لها، وأول حاكم لها هو أرسطو بولس الأول، وهو ابن يوحنا الذي حمل اسماً إغريقيا، فبدأ عهده باغتيال أمه وإخوته. وكانت يهوذا تحتوي على عدة مدن كان يشكل أغلبها العرب، الذين لم يعتنقوا اليهودية. ثم جاء يانايوس إسكندر، ثم إسكندرة، ثم ابنها أرسطو بولس الثاني الذي تنازع مع أخيه هيركانوس الثاني الذي استنجد بملك دولة الأنباط (الحارث)، وكانت الدولة السلوقية على حافة الانهيار لتحل مكانها الدولة الرومانية⁽⁷⁾.

وهكذا حكمت الدولة اليهودية الحشمونية خلال المدة الواقعة ما بين ١٤٢ وحتى ٦٣ ق.م، إذ دخلها القائد الروماني بوميي عنوة، وأصبحت يهوذا بعـدها تابعة للدولة الرومانية بما فيها مدينة القدس^(٤).

القدس تحت الحكم الروماني والبيزنطي ففي أواخر الحكم اليوناني استطاع القائد غابينيوس من تشييد عدد من المدن اليونانية في فلسطين مثل السامرة وبيسان وغزة، وعلى الأرجح أن مدينة القدس كانت سنة ٦٤ ق.م عاصمة لليهود^(ه).



ففي سنة ٦٣ق.م استطاع الرومان أن يحتلوا القدس على يـد بـومبي الـذي كـان ينافسه على الحكم يوليوس قيصر، وعندما قتل بومبي سنة ٤٨ق.م أعد قيصر ترتيبات جديـدة، حيث تـرك أنتبـار الأدومـي حاكمـاً إداريـاً على الدولـة اليهوديـة، ومعـه شخصيات الأسرة الحشمونية أمراء فيها، فعين أنتبار حاكماً على القدس و هـيرودس ابنه الآخر على الجليل، ولكن ترتيبات قيصر هذا لم تدم طـويلاً فقـد اغتيـل سـنة ٤٤ ق.م⁽¹⁾.

وعندما قامت مملكة البارثيين في العراق بغزو سوريا وذلك خلال الفوضى التي أعقبت اغتيال قيصر في الإمبراطورية الرومانية، رحبت الأسرة الحشمونية بالبارثيين، فهرب هيرودس إلى البتراء عاصمة الأنباط، لأن أمه سيبروس Cyprus كانت من الأسرة العربية النبطية المالكة، إلا أنه لم يلقى ترحيباً، فذهب إلى كليوباترة في مصر حيث لم يرحب به مرة ثانية^(٢). وأخيراً ذهب إلى روما حيث ظفر بصداقة ماركوس أنطونيوس الروماني الذي أهمل دعم الأسرة المكابية اليهودية ورفع مكانها الأسرة اليهوذية، وذلك بزعامة هيرودس الملك الذي تنشده روما في جهودها لاستعادة السيطرة على فلسطين^(٣).

وهكذا أعلن مجلس الشيوخ في روما هيرودس ملكاً على اليهودية ثم عاد إلى فلسطين ملكاً ليحارب من أجل لقبه الجديد. اهتم هيرودس بمدينة القدس (أورشليم) وجدد بناءها وأولى اهتماماً كبيراً بالعمارة الدينية والمدنية، وكان آخر تكريم روماني حصل عليه هو رئاسته للألعاب الأولمبية، وأضاف هيرودس إلى القدس مسرحاً وميداناً لسباق الخيل^(٤).

شهدت القدس خلال حكم Herodus (٣٧-٤ ق.م)، ازدهارا كـبيراً إذ وصـلت مساحتها إلى ١٨٠ هكتاراً، وبلغ عدد سكانها نحو الثمانين ألفـاً، وقـد عثـر في الزاويـة الشمالية الغربية من الجزء العلوي للمدينة القديمة على بقايا عمائرية يعتقد بأنها جـزء من قصر الملك هيردوس، الذي مات سنة ٤ ق.م^(٥).

إسحاق رباح، مرجع سابق، ص١١٧و١١٩
 فيليب حتي، مرجع سابق، ص٣١١ و٣١٢
 أبلرجع نفسه، ص٣١٢

(4) Flavius Josephus The Anitiquities of the Jews Trans by William Whiston Books XI Pp323-325

۵) علي محافظة وأخرون، مرجع سابق، ٣٤



ففي عام ٧٠ بعد الميلاد أثار اليهود الفوضى في مدينة القدس فبادر القائد الروماني تيطس باحتلالها، ودمر أسوارها والقلاع والهيكل. ففي مدخل المدينة كتب الرومان باللاتينية واليونانية والآرامية:" حُرم على الجنس اليهودي الذي نبذه التاريخ السكن في هذه المدينة ١٤ سبتمبر عام ٧٠م "تيطس". وقد أقام مكان المدينة مستعمرة رومانية أسماها إيلياء^(۱).

وعندما تولى هادريان الحكم شرع بتدمير القـدس القديمة، وأقـام مكانها مدينة رومانية أسماها إيليا كابتولينا، وكان ذلك نحو ١٣٠م، الأمر الذي أدى إلى قيـام ثـورة يهودية على الرومان استمرت منذ عام ١٣٢–١٣٥م، أطلق عليها ثورة "بار-كوخبا" نسبة إلى قائدها. فكانت ثورتهم بمثابة الضربة القاضية للوجود اليهودي في القدس. وتعتبر الفترة الواقعة ما بين ١٣٥و ٢٢٤م مرحلة استقرار في فلـسطين، حيث

نشطت فيها أعمال بناء المدن بما فيها القدس بمعابدها ومسارحها وبناء ساحات سباق الخيل و الجسور لربط المدينة الجديدة مع المدن الأخرى^(٢).

وخلال القرنين الثاني والثالث، أخذت المنطقة تنمو وتزدهر، وارتفع مستوى الحضارة والفن المعماري إلى درجة لم تحرزها البلاد من قبل. على أن التفاصيل التاريخية خلال هذه الفترة لا تزودنا عن أية أحداث ذات تأثير دائم، ولكن يمكن القول أن قوة كبيرة كانت تتغلغل في البلاد ألا وهي المسيحية. ففي عهد الإمبراطورية البيزنطية التي أسسها ثيودوسيوس عام ٣٩٥ بعد الميلاد. تم أنشاء العديد من الكنائس^(٣).

وللقدس أهمية كبرى في مراحل تطور الديانة المسيحية، فعلى أرضها وفي محيط المدينة المباركة ولد السيد المسيح عيسى عليه السلام، وعاش فصول حياته وقيامته ونهايته، لذلك يحتل المكان والزمان أهمية دينية في قلوب المسيحيين في العالم أجمع⁽¹⁾. وتتمتع مدينة القدس بأهمية عظيمة لدى الطائفة المسيحية التي جاءت كديانة سماوية لتصحيح المسار أو الانحراف اليهودي عن الإيمان، حيث ورد ذكر القدس في الإنجيل مرات عديدة، وهو الكتاب المقدس لدى المسيحيين. فمن نصوصه:" يا أورشليم يا

(١) إبراهيم الشريقي، أورشليم وأرض كنعان، مؤسسة الدراسات الدولية، لندن، ١٩٨٥م، ص١٦٣و١٦٤

- (۲) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ۳٤و۳۵ (۳) لانکستر هاردنج، مرجع سابق، ص٦٨و٦٩
- (٤) القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، القدس ١٩٩٥، ص٨١-٨٢



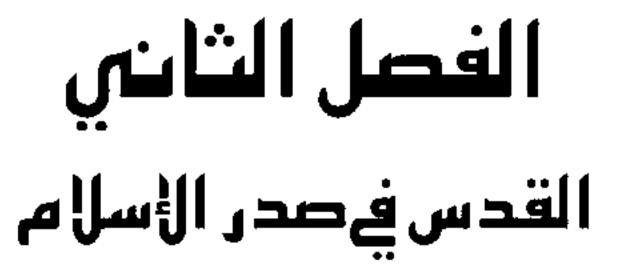
قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجـة فراخها تحت جناحيها"^(١).

ففي سنة ٣١٣م، أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوم ميلان يعترف فيه بالمسيحية كديانة مرخصة في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية. ففي مدينة القدس كان أول بناء للكنائس، حينما توجهت الملكة هيلانة إلى فلسطين سنة ٣٢٤ للميلاد، فشيدت حجر الأساس لكنيسة القيامة وأخرى على جبل الزيتون و كنيسة المهد وغيرها^(٢). فمن أهم المصادر الأثرية التي صورت مدينة القدس هي الخارطة الفسيفسائية التي عثر عليها في الأردن/ مأدبا وتعود بتاريخها للنصف الثاني من القرن السادس الميلادي، حيث تظهر المدينة محاطة بسور يسنده عشرون برجاً. كما ظهر في المدينة محموعة من البيوت والكنائس أهمها كنيسة القيامة.

كما رسمت القـدس على لوحـة فسيفسائية أخـرى عثر عليها في موقـع أم الرصاص في الأردن وتعود بتاريخها إلى سنة ٧١٨م. وظلت تعرف القدس بإيليا أيـضاً في العصر البيزنطي الذي استمر حتى عام ٦٣٦م^(٣). لقد عاشت القدس خلال الحكم البيزنطي فترة سلام حتى هاجمها الفرس واحتلوها عام ٦١٤م لمـدة تزيـد علـي عـشر

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٢٣، ص٣٧ (٢) عادل زيتون، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتاب، دمشق، ١٩٩١م، ص١٤ (٣) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣٦ (٤) المرجع نفسه، ص٣٦







القدس وفضائل معالمها الخاصة، ويمكن إدراك مكانة القـدس عنـد المسلمين مـن خلال الأمور التالية:

الأرض المباركة والمقدسة

وحرمة بيت المقدس في نظر العلماء والمسلمين عامة، تعود إلى أن الإسلام جاء كدين متمم لليهودية والنصرانية، وكذلك يعد وريثاً لمقدساتها، ومشتملاً في رسالته على هذه المقدسات، ومرتبطاً بها ارتباطاً وثيقاً، وبالتالي وَرَث الإسلام مدينة القدس التي يعتبرها مدينة مباركة مقدسة، وهكذا فان الأرض المباركة بإجماع علماء الدين والمفسرين هي: الشام وفلسطين والقدس.

فالأرض التي نزلها إبراهيم عليه السلام هي الشام ومن ثم فلسطين، وهي كـثيرة الأنهار والأشجار. وريح سليمان العاصفة سخرها الله عز وجـل لتجـري إلى الـشام. ففي سورة سبأ (وجعلنا بينهم) أي بين سبأ، وهم باليمن، وبين القرى التي باركنا فيها

(١) سورة آل عمران ٩٦-٩٧، محمد بـن أحمـد الأنـصاري القـرطبي، الجـامع لأحكـام القـرآن، ج٤، مـصر، ١٩٥٧، ص١٣٧ وما بعدها، نقلاً عن القدس في الخطاب المعاصر: بحـوث المـوتمر الأول لكليـة الآداب بجامعـة الزرقـاء، ١٩٩٨م، ص١٥



بالماء والشجر، وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة (قرى ظاهرة) أي متواصلة من اليمن إلى الشام^(۱).

فالقدس الشريف، هي إحدى المدن الثلاث ذوات القدر المنيف، جاء في القرآن الكريم: قال تعالى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون)^(٢).

والمقدسة أي المطهرة، فالتقـديس يعـني الـتطهير، وروح القـدس ، جبريـل عليـه السلام، لان روحه مطهرة، ونقدس لك أي نطهر وننزهك عما لا يليق بـك، وسمـي البيت المقدس، لأنه يتطهر به من الذنوب، قال تعالى: (وادخلوا الباب سجداً وقولـوا حطة نغفر لكم وسنزيد المحسنين)^(٣).

أرض الإسراء والمعراج ففي المنظور الإسلامي العام "يقرر القرآن الكريم في بعض آياته أن الله تعالى هـو خالق هذا الكون والحياة والإنسان وأنه رب العلمين والمدبر لشؤون الناس كافة، ومن

ثم فإن من واجب الناس جميعاً أن يدينوا له بالشكر والطاعة وأن يتوجهوا له بالعبادة وأن يسلموا أمورهم له وحده^(٤). لذا، فإن جميع الأنبياء والرسل قد اتجهوا نحو دعوة أقوامهم إلى الإسلام، أي إسلام وجوههم لله تعالى والخضوع لأوامره ونواهيه وحده. وهكذا فقد عد القرآن الكريم الأنبياء كافة من آدم عليه السلام ومروراً بنوح وسليمان وعيسى وموسى وانتهاءً بمحمد صلى الله عليه وسلم "مسلمين"^(٥)، وأن جوهر الأديان التي كانوا يبشرون بها، ويدعون الناس إلى الإيمان بها هي "الإسلام". لذا فإن المسلمين يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل، ولا يقصرون إيمانهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو سلسلة مباركة من الأنبياء والرسل "خاتم الأنبياء".

(١) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٤٣و٤٤
 (٢) سورة المائدة، أية ٢١ و٢٢
 (٣) سورة المائدة، أية ٢١ و٢٢
 (٣) سورة البقرة، آية٥٥
 (٣) سورة البقرة، آية٥٥
 (٩) القرآن الكريم، سورة النحل: (٦١ – ٦٥، سورة الأنعام: ٢٠٢ – ٢٠١، سورة النساء: ٢٢٥، سورة آل عمران: ٩٩،
 (٩) القرآن الكريم، نقلاً عن القدس في الخطاب المعاصر: محوث المؤتمر الأول لكلية الآداب بجامعة الزرقاء، ١٩٩٨م، ص١٤
 (٩) سورة البقرة: ٢٢ – ٢١، سورة آل عمران: ٢٢ – ٢٢، ٣٤
 (٩) سورة البقرة: ٢٢ – ١٤١، سورة آل عمران: ٢٢ – ٢٨، ٣٨
 (٩) سورة البقرة: ٢٢ – ١٤١، سورة آل عمران: ٢٢ – ٢٨، ٣٨
 (٩) سورة البقرة: ٢٢ – ٢١، سورة آل عمران: ٢٢ – ٢٨، ٣٨



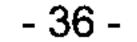
برسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى⁽¹⁾. والإسراء والمعراج حادثة جرت في منتصف فترة الرسالة الإسلامية ما بين السنة الحادية عشر إلى السنة الثانية عشر منذ أعلن النبي محمد أن الله قد أرسل جبريل يكلفه برسالة الإسلام ليبلغها إلى البشرية وأنها تتمة وخاتمة للرسالات السماوية السابقة.

وحسب التاريخ الإسلامي للفترة هذه والمصطلح على تسميته السيرة النبوية، تعد حادثة الإسراء والمعراج تلك الرحلة التي قام بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم على البراق مع جبريل ليلاً من مكة إلى القدس، ثم انتقل رسول الله برحلة سماوية بصحبة جبريل عليه السلام أو حسب التعبير الإسلامي عرج به إلى الملأ الأعلى عند سدرة المنتهى، أي إلى أقصى مكان يمكن الوصول إليه في السماء وعاد في نفس الليلة. والمسجد الأقصى هو الاسم الإسلامي الذي أشار القرآن الكريم إليه في بداية سورة الإسراء بقوله: {سُبْحَانَ الَـذِي أَسُرَى يعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ أَلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنّه هُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ^{؟ (٢)}. وتَشير المصادر التراثية إلى أن الله تعالى قد فرض في حادثة الإسراء والمعراج الصلوات المصادر التراثية إلى أن الله تعالى قد فرض في حادثة الإسراء والمعراج الصلوات المسادر التراثية إلى أن الله تعالى قد فرض في حادثة الإسراء والمعراج الصلوات المسادر التراثية إلى أن الله تعالى قد فرض في حادثة الإسراء والمعراج الصلوات المسادر التراثية إلى أن الله تعالى قد فرض في حادثة الإسراء والمعراج الصلوات المسادر التراثية إلى أن الله تعالى قد فرض في الله عليه وسلم بعد عودته إلى مكة يستقبل المسادر التراثية إلى أن الله تعالى قد ألم الله عليه وسلم بعد عودته إلى ماد المحبة إلى الماد المسجد الحرام في صلواته، وقد استمر على ذلك حتى أمره الله تعالى بتغيير قبلته إلى المسجد الحرام في مكه^(٢).

أولى القبلتين

القبلة هي الاتجاه الذي يأخذه المصلي في صلاته في أي مكان كانت صلاته. كما أن أرض الشام كان فيها القبلة الأولى للمسلمين، وهي بيت المقدس، وقد صلى الـنبي عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس وهو بالمدينة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، فهي القبلة الأولى لنبينا عليه الصلاة والسلام، وكان النبي يحب أن تتحول القبلة إلى مكة، حتى أنزل الله تبارك وتعالى الأمر بواسطة الوحي بتحويل القبلة إلى البيت الحرام في مكة.

(١) سورة البقرة: ١٤٤، الكنجي، محمد بن حسين، كتاب فضائل بيت المقدس، منشور في كتاب، فضائل بيت المقدس،
 محمد إبراهيم، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٨٨، نقلاً عن القدس في الخطاب المعاصر، ص١٥
 (٢) سورة الإسراء، آية ١
 (٣) القدس في الخطاب المعاصر، ص٢٠٦، نقلاً عن القرطي، الجامع لأحكام القرآن، ج٠١، ص٢٠٢-٢١٢
 (٣) القدس في الخطاب المعاصر، ص٢١ نقلاً عن القرطي، الجامع لأحكام القرآن، ج٠١، ص٢٠٢-٢١٢
 (٣) القدس في الخطاب المعاصر، ص٢٠٦ نقلاً عن القرطي، الجامع لأحكام القرآن، ج٠١، ص٢٠٢-٢١٢
 (٣) القدس في الخطاب المعاصر، ص٢٠٦ نقلاً عن القرطي، الجامع لأحكام القرآن، ج٠١، ص٢٠٢-٢١٢
 (٣) القدم في الخطاب المعاصر، ص٢٠٦ نقلاً عن القرطي، الجامع لأحكام القرآن، ج٠١، ص٢٠٢-٢١٢



وكان ما كان من المشركين الذين استهزءوا بالنبي عليه الصلاة والسلام من باب السفه، كما في قول الله تعالى: "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها"⁽⁽⁾ أي: ما الذي جعلهم يتحولون عنها إلا لأنهم رجعوا عما كانوا عليه من إيمان! وليس الأمر كذلك، بل هذا من باب الفتنة والابتلاء؛ لينظر الله تبارك وتعالى من آمن ومن انقلب على عقبيه وخسر الدنيا والآخرة. وشد الرحال إلى بيت المقدس هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، قال عليه الصلاة والسلام: "لا يشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد هي: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا؛ مسجد المدينة"^(٢)، والهدف من زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام، هي غرض تابع وليس أصيلاً، وإنما الغرض الأصيل من زيارة بلد نبينا عليه الصلاة والسلام هو بداء وصلاة وسلام عليه عليه وسلم وعلى مائر النبي عليه الصلاة والسلام بي مدا؛ مسجد المدينة"^(٢)، والهدف من زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام، هي غرض تابع وليس أصيلاً، وإنما الغرض الأصيل من زيارة بلد نبينا عليه الصلاة والسلام هو بدعاء وصلاة وسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الصحابة.

غزوة مؤتة في شهر جمادي الآخرة من السنة الثامنة للهجرة شرع رسول الله صـلى الله عليـه المنابعة المارية المنابعة المنابعة المارية المارية المارية المارية المارية المارية المارية المارية المارية الم

وسلم في التمهيد لتطهير بيت المقدس، وتأمين ظهر ديار الإسلام، فبعث الرسول الكريم الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى البيزنطي يدعوه للدخول في الإسلام. فلما وصل رسول رسول الله إلى مؤتة في الكرك، كان قد قابله شرحبيل بن عمرو الغساني حليف الدولة البيزنطية الذي بادر بقتل الحارث، ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء^(٣). ففي سنة ٨ه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز للقتال، فاستجابوا للأمر النبوي، فحشدوا إذ بلغ عدد المقاتلين ثلاثة آلاف مقاتل وأختار الذي عليه السلام ثلاثة أمراء على التوالي: زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة⁽³⁾.

فقد روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب. قال: أمر رسول الله في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله: غـن قتـل زيـد فجعفـر، وإن

(١) سورة البقرة، آية ١٤٢
 (٢) المقدسي، المشرف المرجي، فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام، منشور في كتاب: فـضائل بيت المقـدس،
 محمد إبراهيم، ص ٢٣٠، وأنظر أحاديث فضائل بيت المقدس، ص ٥٠
 محمد إبراهيم، ص ٢٣٠، وأنظر أحاديث فضائل بيت المقدس، ص ٥٠
 (٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، تحقيق محمد ابو الفـضل إبـراهيم، دار سـويدان، بـيروت
 (٣) عد عبالقادر أبو فارس، الصراع مع الصليبيين، دار البشير، طنطنا، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ٢٠



قتل جعفر فعبد الله بن رواحه^(۱). لما تجهز الجيش الإسلامي، وأتم استعداده توجه رسول الله والمسلمون يودعون الجيش ويرفعون أكف الضراعة لله عز وجل أن ينصرهم، لقد ودعوهم بهذا الدعاء: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين^(۲). ولما وصل الجيش الإسلامي إلى معان (جنوب الأردن) بلغه أن الروم البيزنطيين من عرب وعجم قد حشدوا لقتالهم، إذ حشدت القبائل العربية مائة ألف من لخم وجذام وبهراء وبلى، وعينت لهم قائد هو مالك بن رافلة، وحشد هرقل مائة ألف من الروم فبلغ جيشهم مائتي ألف مقاتل، مزودين بالسلاح يرفلون في الديباج^(۳). سار زيد بن حارثة على رأس الجيش الإسلامي إلى منطقة مؤتة في محافظة الكرك حيث آثر الاصطدام بالروم هناك، فكانت ملحمة سجل فيها القادة الثلاث بطولة عظيمة باستشهادهم^(٤). فقد استبسل زيد وتوغل في صفوف الأعداء وهو يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم^(٥). ثم أخذ الراية جعفر وتصدى لجموع الروم، فكثفوا حملاتهم عليه، وأحاطوا به، فلم تكن له قناة، ولم تهن له عزيمة، بل استمر في القتال، وزيادة في الإقدام، ومانية الواية وع

لقد أخذ جعفر اللواء بيده اليمنى فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه وانحنى عليه حتى استشهد وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة^(٧). ثم تسلم عبدالله بن رواحة الأنصاري وامتطى جواده، وتقدم يقاتل العدو حتى استشهد وكان ذلك في آخر النهار^(٨)، فسقطت الراية من يده فالتقطها ثابت بن أقرم بن ثعلبة بـن عـدي بـن



العجلان البلوي الأنصاري وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد^(١).

برع خالد بن الوليد في إنقاذ ما تبقى من جيش المسلمين فقرر الانسحاب عائداً إلى المدينة المنورة بأقل الخسائر، فقوة العدو كانت قد بلغت ٦٦ ضعفاً لقوة المسلمين، فلم يبق أمام هؤلاء إلا الانسحاب المنظم من خلال تضليل الروم بإيهامهم أن مدداً قد ورد إلى جيش المسلمين، فغير مراكز المقاتلين في جيشه فاستبدل الميمنة بالميسرة، ومقدمة القلب بالمؤخرة ^(٢).

وعلى ضوء ما تقدم نستنتج أهم أهداف ونتائج غزوة مؤتة التي وقعت السنة الثامنة للهجرة في النقاط التالية: جاءت الغزوة رداً للاعتبار على مقتل الحارث بن عمير الأزدي
 جاءت الغزوة رداً للاعتبار على مقتل الحارث بن عمير الأزدي
 كان هدف المسلمين التعرف على بلاد الشام واستكشافها.
 كان هدف المسلمين التعرف على بلاد الشام واستكشافها.
 تأديب القبائل العربية كالغسانيين المتحالفين مع الروم.
 كانت مؤشراً على تطلع المسلمين إلى نشر الإسلام خارج شبه جزيرة العرب.
 كانت مؤشراً على تعليم الله أن مؤتة نجحت في إشعارهم بهيبة الدولة.

- الإسلامية.
- ٦. مهدت السبيل لعمليات الفتح، التي جرت في العهد الراشدي ٦٣٢ ٦٦٦م^(٣).

غزوة تبوك

خرج رسول الله لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري، بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر. واشتهرت هذه الغزوة باسم غزوة تبوك، نسبة إلى مكان يقع شمال الحجاز، يبعد عن المدينة ٧٧٨ ميلاً حسب الطريق المعبد في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاعة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك. وهو عين تبوك التي انتهى إليها الجيش الإسلامي، وأصل هـذه التـسمية جـاء في

صحيح مسلم، فقد روى بسنده إلى معاذ أن رسول الله قال: ستأتون غـداً إن شـاء الله

- (١) ابن هشام، المصدر السابق، الجزء الرابع، ص٢٧
- (٢) ابن كثير، البداية والنهاية، توثيق عبدالرحمن اللاذقاني، ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، لبنان الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م (٣) المؤلف



عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي^(۱).

أن سبب الغزوة هو استجابة لفريضة الجهاد ولذلك عزم الرسول عليه السلام على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين"^(٢). ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين، أن يكون هذا حافزاً للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان واردا^(٣).

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حشد ثلاثين ألف مقاتل من المهاجرين والأنصار وأهل مكة والقبائل العربية ، وقد أعلن على غير عادته في غزواته هدفه ووجهته في القتال، إذ أعلن صراحة أنه يريد قتال بني الأصفر (الروم)، علماً بأن هديه في معظم غزواته أن يوري فيها. ولا يصرح بهدفه ووجهته وقصده حفاظاً على سرية الحركة ومباغتة العدو^(٤).

وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطى اللواء الأعظم إلى أبي بكر الصديق، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام، ودفع راية الأوس إلى أسد بن حضير، وراية الخزرج إلى أبي دجانة، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواء^(ه).

توجه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله إلى تبوك ولم يجد أثراً للحشود الرومانية، ولا القبائل العربية، وبالرغم من ان الجيش مكث عشرين ليلة في تبوك، فلم تفكر القيادة الرومانية في قتال المسلمين بما فيها القبائل العربية المتحالفة معهم. أما حكام المدن في أطراف الشام فقد آثروا الصلح ودفع الجزية، فقد أرسل ملك أيله للنبي هدية وهي بغلة بيضاء وبُرد، فصالحه على الجزية.

واستطاع خالد بن الوليد أن يأسر ملك دومة الجندل؛ أكيدر بن عبدالملك

(١) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيرون، ١٩٧٢م، (٢) سورة التوبة، آية ١٢٣ (٣) المؤلف (٤) الصراع مع الصليبيين، مرجع سابق، ص٩٧ (٥) محمد بن سعد الزهري، طبقات ابـن سـعد الكـبرى، الجـزء الثـاني، دار صـادر، ودار بـيروت للطباعـة والنـشر، (٩) الممام، ص١٦٦



الكندي، ⁽¹⁾ فصالحه النبي على الجزية^(٢). وكتب رسول الله معاهدات لكل من أهل جرباء وأذرح، يؤدي بموجبها هؤلاء الناس من نصارى العرب الجزية كل عام، وتخضع لسلطان المسلمين. وانفرد رسول الله بالإمارات الواقعة في شمال الجزيرة وعقد معها معاهدات، وبذلك أمن حدود الدولة الإسلامية الشمالية. ^(٣).

حققت غزوة تبوك نجاحاً مهماً على المصعيد الديني والسياسي، ففصلت بين المسلمين وبين الروم بإمارات تدين لرسول الله بالطاعة، وبالتالي توسعت رقعة حدود الدولة الإسلامية باتجاه الحدود الشامية. وهكذا كانت بلاد الشام بما فيها القدس تتمتع بمكانة كبيرة في عهد النبوة (٦١٠ - ٦٣٢م)، حيث عززتها الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة إلى جانب غزوة مؤتة وتبوك، التي سهلت مهمة الفتح الإسلامي في زمن الخلفاء الراشدين لفتح بيت المقدس^(٤).

فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وهو يحكم شبه جزيرة العرب ويرهبه الملوك، ويفديه الصحابة بنفوسهم وأولادهم واموالهم، وما تـرك عنـد وفاتـه ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة، إلا بغلة بيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلـها لابـن السبيل صدقة^(ه)، وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير⁽¹⁾، وكان

ذلك يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة(٧)، وله ثلاث وستون سنة(٨).

القدس في العهد الراشدي

ظهور منصب الخلافة

الخلافة هي المنهج الذي إختارته الأمة الإسلامية، وأجمعت عليه اسلوباً للحكم تنظم من خلاله مصالحها، وقد ارتبط منصب الخلافة بجاجة الأمة لـه، حيث أسرع المسلمين في اختيار خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.



والخلافة اصطلاحاً كما عرفها الماوردي: هي رئاسة عامة لأمور الدنيا والدين(). أو كما عرفها العلامة ابن خلدون: هي حمل الكافة على مقتضى أحكام النظر الشرعي لمصالحهم في الآخرة وفي الدنيا؛ فهي خلافة عن صاحب المشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا، والخليفة هو السلطان الأعظم للمسلمين الذي تولى أمرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢).

لما علم الصحابة بوفاة رسول الله اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليـوم نفسه وهو يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول مـن الـسنة الحاديـة عـشر للـهجرة، وتداولوا الأمر فيما بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده (").

والتف الأنصار حول تنصيب زعيم الخزرج سعد بن عبادة، ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين، سارع نحوهم ثلاثة من المهاجرين وهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة عامر بن الجراح ().

فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى خشيت مـن الاخـتلاف فقلت (عمر بن الخطاب): أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون

ثم بايعه الأنصار (٥).

ففي رواية أحمد:... فتكلم أبو بكر الصديق فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: " لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار"، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعدٌ:" قريش ولاة هـذا الأمر فـبرُ النـاس تبـعٌ لـبرهم، وفـاجر النـاس تبـعٌ لفاجرهم"، قال: فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء (٦).

كان اختيار أبو بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاعتبارات منها أنـه الصديق والصاحب في الهجرة، ولكبر سنة وفضله وورعه وتقواه، وإمامتـه في الـصلاة أثناء مرض النبي عليه السلام، فجاء اختياره تأكيداً لمبدأ الشورى. فبويع البيعة الخاصة

(١)الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠ ص٥ (۲) ابن خلدون، المقدمة، ص۱۹۱ (٣) الطبري، ج٣، ص٢٠١-٢٠٣ (٤) أكسرم ضمياء العمسري، عسصر الخلافسة الراشسدة، مكتبسة العلسوم والحكسم، المدينسة المنسورة، الطبعسة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٤٠ (٥) البخاري، كتاب الحدود، رقم ٦٨٣٠ (٦) مسند أحمد، ١/٥، البهنساوي، الخلافة والخلفاء، ص٠٥



في السقيفة ثم بويع في اليوم التالي البيعة العامة في المسجد حيث ألقى خطبته المشهورة القائمة على العدل والحق تجاه الرعية، قال فيها: "أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم، القـوى فـيكم ضـعيف عنـدي حتى آخـذ الحـق منـه، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى آخذ الحق له"⁽¹⁾.

كان الموقف قد حُسم بمبايعة أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله، وهذا ما يعبر عنه ابن خلدون بالقول:"أن نصب الإمام واجب قد عـرف وجوبـه في الـشرع بإجمـاع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنـد وفاتـه بـادروا إلى بيعة أبي بكر- رضي الله عنه- وتسليم النظر إليه في أمورهم"^(٢).

الفتوحات الإسلامية في عهد أبو بكر الصديق

بعد أن تمت بيعة المسلمين العامة، عزم الصديق على تسيير الجيوش لبلاد الشام، فدعا الناس إلى الجهاد، وعقد الألوية لأربعة جيوش أرسلها لفتح بلاد الشام، وهي:

جيش يزيد بن أبي سفيان:

وهو أول الجيوش التي تقدمت إلى بلاد الشام وكانت مهمته الوصول إلى دمشق وفتحها، ومساعدة الجيوش الأربعة عند الضرورة، وكان جيش يزيد أول الأمر ثلاثة آلاف ثم عززه الخليفة بالإمدادات حتى صار معه نحو السبعة آلاف رجل. وقبل رحيل جيش يزيد أوصاه الخليفة بمايلي:

إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وأن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد، فإياك وعبية الجاهلية (التعصب)... وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير وعدهم إياه... واصلح نفسك يصلح لك الناس... وإذا قدم عليكم رسل عدوك فأكرمهم... وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء... واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقواماً

(١) أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى، ج٢، تحقيق علي شيري، دار إحياء الـتراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هــ/ ١٩٨٩م، ص٢٢٤-٢٢٥، ابسن كـثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٣٠٥-٣٠٦،
 ص٣٠٥-٣٠٦،
 (٢) ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص١٧٩

حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له. قال ابن الأثير: وهذه مـن أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لولاة الأمر"⁽¹⁾.

جيش بقيادة شرحبيل بن حسنة:

حدد أبو بكر لمسير شرحبيل ثلاثة أيام بعد مسير يزيد بن أبي سفيان، فلما مضى اليوم الثالث ودع الصديق شرحبيل وقال له: يا شرحبيل ألم تسمع وصيتي ليزيـد بـن أبي سفيان؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك بمثلها، وأوصيك بخصال أغفلـت ذكـرهن ليزيد، أوصيك بالصلاة في وقتها، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر، أو تُقتـل، وبعيـادة المرضى وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيراً على كل حال، فقال شـرحبيل: الله المستعان وما شاء الله أن يكون كان^(٢).

وكان جيش شرحبيل ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، وأمره أن يسير إلى تبوك والبلقاء ثم بصرى وهي لآخر مرحلة، وتقدم شرحبيل نحو البلقاء، حيث لم يلقى مقاومة تذكر، وكان يسير على الجناح الأيسر لجيش أبي عبيدة والجناح الأيمـن لجـيش عمرو بن العاص في فلسطين في البلقاء حتى بلغ بصرى فأخذ يحاصرها فلـم يوفـق في فتحها؛ لأنها كانت من المراكز الحصينة^(٣).

جيش بقيادة أبي عبيدة بن الجراح: كان جيشه يتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف مقاتل، وهدف ذلك الجيش حص، سار أبو عبيدة ماراً بوادي القرى ثم اطلع إلى الحجر (مدن صالح) ثم إلى ذات منار ثم إلى زيزيا ومنها إلى مؤاب فالتقى بقوة للعدو فقاتلهم ثم صالحوه فكان أول صلح عقد في الشام ثم واصل تقدمه نحو الجابية^(٤). وكان هذا الجيش الجناح الأيسر للجيش الأول، والجناح الأيمن للجيش الثاني^(٥).

وجه أبو بكر الصديق عمر بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكمان المصديق قمد

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، مصدر سابق، ص٢٤و٦٥
 (٢) الواقدي، محمد بن عمر، فتوح الشام، دار ابن خلدون، د، ت
 (٣) نزار الحديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار الماديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار الماديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار الماديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار الماديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار الماديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار الماديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار الماديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر الصديق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الأولى،
 (٣) نزار المام، ص١٦
 (٣) ابن الأثير، الكامل، ج٢، مصدر سابق، ص٦٦
 (٩) نهاد عباس، العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، دار الحرية، بغداد، العراق، د، ت، ص١٤١

خيره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، وبـين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذي هو فيه أحب إليـه، فكتـب إليه عمر بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها، فارم به^(۱).

فلما قدم المدينة أمره أبو بكر أن يخرج من المدينة وان يعسكر حتى يندب معه الناس، وقد خرج معه عدد من أشراف قريش، منهم الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، فلما أراد المسير خرج معه أبو بكر يودعه وقال: يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك ورجال من أتقياء المسلمين وأنت قادم على إخوانك فىلا تألهم نصيحة، ولا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور، فقال عمر بن العاص: ما أخلقني أن أصدق ظنك، وأن لا أفيل رأيك^(٢).

خرج عمرو بقواته، وكان تعدادها يتراوح ما بين ستة إلى سبعة آلاف مقاتل وهدفها فلسطين، وسلكت طريقاً لساحل البحر الأحمر حتى وادي عربة في البحر الميت، ونظم عمرو قوة استطلاع مؤلفة من ألف مقاتل ودفعها باتجاه محور تقدم الروم، ووضع على قيادتها عبدالله بن عمر بن الخطاب، وواجهت هذه القوة قوات الروم، وانتزعت النصر ودمروا قوة العدو، وأرغموهم على ترك ميدان المعركة، وانتهت المعركة بسقوط آلاف القتلى من الروم^(٣).

كانت الجيوش المكلفة بفتح بلاد الشام تواجه مصاعب في تنفيـذ مهماتهـا، فقـد واجهت الجيوش الرومانية التي تمتاز بكثرة عددها، وقـد بنـت الحـصون للـدفاع عـن مراكز المدن في فلسطين وأنطاكية. ومن إيلياء كان هرقل يشرف على مسرح العمليات الحربية بنفسه، حيث أصدر الأوامر إلى قواته بالتوجه لتدمير الجيوش الإسلامية^(٤).

فكتب أبو عبيدة إلى الخليفة أبي بكر يخبره بما بلغه مما جمع هرقل ملك الروم من الجموع، وعن خطة هرقل لتدمير الجيوش الإسلامية كل على انفراد. وشرع الـصديق في إمداد الجيوش الإسلامية ببلاد الشام، بالرجال، والسلاح، والخيـول، ودعـا هاشـم بن عتبة بن أبي وقاص وقال له: يا هاشم، إن من سعادة جـدُك، ووفـاء حظـك أنـك

(١) محمد الخضري، إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٦٦م، ص٥٥
 (٣) فتوح الشام، مرجع سابق، ص٤٨ وما بعدها
 (٣) العمليات التعرضيه الدفاعية عند المسلمين، مرجع سابق، ص١٤٣
 (٣) ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩م، ص٧٧و٨٧

أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين، وممن يشق الوالي بنصيحته ووفائه وبأسه، وقد بعث إلي المسلمون على عدوهم من الكفار، فسر إليهم فيمن تبعك، فإني نادب الناس معك، فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد، قال: لا، بل على أبي عبيدة، قال: فأقدم على أبي عبيدة... ثم خرج من عند أبي بكر فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه، فتباشر بمقدمه المسلمون، وسروا به^(۱).

معركة أجنادين

أجنادين، موقع بين الرملة وبيت جبرين، يبعد حوالي ٢٥ كم من القدس، وربما أنها كانت قرب ما يعرف اليوم باسم وادي السمط. وكان الروم قد جمعوا قوات كبيرة يقودها Al-Qubuglar Cubicularius أي الحاجب الـذي استخلفه هرقـل على أمراء الشام حين سار إلى القسطنطينية. وتعتبر أجنادين أول معركة كبيرة حـدثت في بـلاد الشام بين المسلمين والروم البيزنطيين^(٢).

كانت قيادة الجيوش الإسلامية بالشام تتابع تطور حركة الجيوش الرومانية وشعر القادة بخطورة الموقف، فعقدوا اجتماعاً بالجولان، وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة يشرح له الأمر، وفي الوقت نفسه قرروا الانسحاب من جميع الأراضي التي تم فتحها، وتجمعوا في مكان واحد ليتمكنوا من إحباط خطة الرومان، وإجبارهم على خوض معركة فاصلة تخوضها كل الجيوش الإسلامية، وكان عمرو بن العاص قد أشار على القادة أن يكون التجمع باليرموك^(٣).

فاتفق القادة على أن يتم الانسحاب مع تجنب الاشتباك مع الروم، فانسحب أبوعبيدة من حمص، وشرحبيل من الأردن، ويزيد من دمشق، وبدأ عمرو بن العاص بالانسحاب تدريجياً من جبهة فلسطين^(٤)، ولم يتمكن من ذلك، فظل يناور في بتر السبع نظراً لمتابعة الروم له.

كان قد وقع اختيار الخليفة الصديق على خالد بن الوليد، فكتب إليه بالعراق، ووصل بجيشه إلى بلاد الشام، فأصبح جيش المسلمين نحو ثلاثين ألف مقاتل، فما أن اصطدمت قوات عمرو بن العاص بالروم على جبهة فلسطين حتى هاجم خالد بجيشه،

فتوح الشام، ص٣٣ وما بعدها
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٧٩ و٧١
 (٣) العمليات التعرضيه الدفاعية عند المسلمين، مرجع سابق، ص١٤٣
 (٤) المرجع نفسه، ص١٤٨

فحدثت معركة أجنادين في سنة ١٣هـ، فتم توجيه قوة عسكرية اقتحمت صفوف الروم فوصلت إلى قائدهم (القبقلار) Al-Qubuglar فقُتل، وبالتالي انهارت مقاومة الروم^(۱). فلما وصل خبر الهزيمة إلى هرقل وهو في حمص شعر بحجم الكارثة^(٢). ويرجح أن أجنادين وقعت في الأشـهر الأخـيرة مـن حيـاة أبي بكر الـصديق، ويبـدوا أن أخبارها، وصلت إليه وهو على فراش الموت^(٣) في شهر جمادي الآخـرة مـن العـام الثالث للهجرة النبوية^(٤).

معركة اليرموك وفتح بيت المقدس

لقد أثار فتح دمشق في جيوش بيزنطة روح المقاومة، وحملها على الإعداد لرد عنيف ضد المسلمين. فتولى قيادة القوات الرومية الضفلار بن مخراق، والقائد باهان (مسيحي فارسي) الذي انظم إلى القوات الرومية. وأما القيادة العامة للقوات الرومية فتولاها ثيودورس، أخو هرقل. وتولى قيادة الميمنة ابن قناطر، وعلى الميسرة الدرنجار ومعه جرجير في جند أرمينية، وجبلة بن الأيهم الغساني على العرب الموالين للروم^(٥).

تهيأ الجيش الإسلامي للقتال، واستحدث خالد بن الوليد أسلوب لم يستخدمه العرب من قبل. فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين، ورتب الجيش إلى: فرقاً: وفيها من عشرة إلى عشرين كردوساً ولها قائد وأمير. أما الكراديس: ففيها ألف مقاتل وله قائد وأمير. وكان خالد قد قسم الجيش إلى أربعين كردوساً: فرقة القلب، وهي مؤلفة من ثمانية عشر كردوساً بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، ومعه عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو. وفرقة الميمنة، مؤلفة من عشرة كراديس بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن حسنة^(٧).

أما فرقة الميسرة، فهي مؤلفة من عشرة كراديس بقيادة يزيد بن أبي سفيان. وفرقة المقدمة من الخيالة والمخافر الأمامية، ومهمتها المراقبة، واستطلاع العدو. وفرقة المؤخرة، فهي مؤلفة من خمسة كراديس (خمسة آلاف مقاتل) بقيادة سعيد بن زيـد، ومهمتهـا قيـادة

الأمور الإدارية. وكان القاضي أبو الدرداء. وعبدالله بن مسعود ومهمته تأمين الأمور الإدارية والإعاشة، وجمع الغنائم. والمقداد بن الأسود، كان يدور على الناس ويقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد لرفع المعنويات، وخطيب الجيش أبو سفيان بن حرب^(۱). ففي الوسط القائد العام للجيش خالد بن الوليد، وحوله كبار الصحابه^(۲).

عسكر الجيش الإسلامي على الضفة الشمالية لنهر اليرموك في حركة التفاف، صار فيها الروم بين المسلمين من الشرق والشمال وبين نهر اليرموك جنوباً. فقد جمعوا القوات البيزنطية بين نهر اليرموك ووادي الرقاد (الواقوصة). واتجه الجيش الإسلامي نحو الروم من الغرب، فقطعت على الروم منافذ الهروب^(٣). وزاد ضغط المسلمين عليهم حتى هُزمت القوات الرومية. فلم يبق بعد معركة اليرموك في يد الروم من فلسطين سوى بيت المقدس. فكانت هزيمتهم في رجب سنة ١٥هـ/ ١٢ آب ٢٣٦م بقيادة خالد بن الوليد^(٤). فكانت اليرموك معركة الحسم التي وضع فيها حداً تاريخياً فاصلاً للهيمنة الرومانية البيزنطية على أرض بلاد الشام لمدة سبعة قرون متتالية (من

فتح القدس ١٦هـ

كان فتح بيت المقدس من أهم أهداف الدولة الإسلامية في المرحلة الأخيرة مـن مراحل فتحها لبلاد الشام. كان لعمر بن العاص الفضل في فتح معظم مـدن فلـسطين كغزة ونابلس واللد وعمواس وغيرها.

ولكن حصار القدس وقع بعد وصول عساكر أبي عبيدة حول مدينة القدس في أعقاب انتصاراتها في شمال سوريا حول قنسرين. وشاركت في الحصار قوات يقودها كل من يزيد بن أبي سفيان، ومعاذ بن جبل، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وغيرهم وكان ابو عبيدة قد بعث الرسل إلى أهل إيلياء (القدس)، وهو في طريقة من الأردن⁽¹⁾. دام حصار القدس طويلاً، حيث اجتمع المسلمون، بقيادة عمرو بن العاص حول المدينة، وضرب عمرو على المدينة حصاراً شديداً. فكانت أسوار القدس محصنة

بالمجانيق والطوارق والسيوف والجواشن والزرد، ويذكر أن القتال بدأ بعد ثلاثة أيام من الحصار، حيث تقدم المسلمون نحو أسوار المدينة فأمطرتهم حاميتها بوابسل من السهام والنبال التي كان المسلمون يتلقونها، وكان القتال يمتد من الصباح إلى غروب الشمس حتى كان اليوم الحادي عشر إذ أقبل أبو عبيدة على المسلمين ومعه خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن أبي بكر، ومعهم فرسان المسلمين⁽¹⁾.

واستمر الحصار أربعة أشهر، ما من يوم إلا وجرى فيه قتال عنيف، إلا أن يئس الروم من مقاومة حصار المسلمين لمدينتهم، فقرر البطريق صفرونيوس القيام بمحاولة أخيرة، وكتب إلى عمرو بن العاص، قائد جيش المسلمين، رسالة يغريه فيهما بفك الحصار نظراً لاستحالة احتلال المدينة^(٢).

كتب أرطبون الروم إلى عمرو بن العاص يقول له: إنك صديقي ونظيري، أنـت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شـيئاً بعـد أجنـادين، فـارجع ولا تُغره فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة^(٣).

فكتب إليه عمرو كتاباً يقول فيه إنه صاحب فتح هذه البلاد، وأرسل الكتاب مع رسول وأمره أن ينقل إليه رد الأرطبون، فلما قرأ الأرطبون كتاب عمرو وضحك مما جاء فيه وقال إن صاحب فتح بيت المقدس هو رجل اسمه عمر، ونقل الرسول إلى عمرو ما سمعه من الأرطبون، فعرف عمرو أن الرجل الذي يعنيه الأرطبون هو الخليفة عمر⁽³⁾.

فكتب إلى الخليفة يخبره بما جاء على لسان الأرطبون أنه لا يفتح القدس إلا هـو، ويستمده، ويستشيره قائلاً: إني أعـالج حرباً كـؤوداً صـدوماً وبـلاداً أدُخـرت لـك، فرأيك، فخرج الخليفة عمر إلى الشام في مدد من الجند، وذلك بعد أن استخلف على المدينة علي بن أبي طالب، ونزل الجابية، فجاءه أهل إيلياء، فصالحوه على دفع الجزية، وفتحوها له^(ه).

وهكذا لبى عمر رضي الله عنه النداء قادماً مـن المدينـة المنـورة، فـدخل القـدس للمرة الأولى، وكتب لهم وثيقة أمان عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية:

ياسين سويد، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، دار الملتقى، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٨
 حروب القدس، المرجع نفسه، ٣٨
 حروب القدس، المرجع نفسه، ٣٨
 تاريخ الطبري، ج٤، مصدر سابق، ص٣٣
 تاريخ الطبري، ج٤، مصدر سابق، ص٣٣

نص المعاهدة

بسرائدال جن الرحير هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، ومقيمها () وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم (٢)، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد مـن اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ("). وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصُلُبهم فإنهم آمنوا على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم؟). ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان؛ فمن شاء منهم قعد، وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع^(ه) الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنـه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتـاب عهـد الله وذمـة

رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو^(٢) بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبـي سـفيان وكتبه وحُضر سنة خمس عشرة^(٧).

تعليق على نص المعاهدة

يشهد كتاب الصلح الذي وقعه الخليفة عمر على أن الإسلام ديـن تـسامح ولـيس دين إكراه. وقد آثر المسلمون أن يعطوا الناس حرية العبادة، ويؤمنـوهم على كـل ثمـين لديهم على أن يعيشوا في كنف المسلمين. ويؤدوا الجزية مقابل حمايتهم والذود عنهم^(٨).

(١) في الأصل سقيمها وهو تحريف ولا معنى له هنا والصواب كما هو في الأنس الجليل، الجزء الأول، ص٢٥٣
 (٢) في الأصل صليبها، والصواب كما هو مثبت في النص، الأنس الجليل، الجزء الأول، ص٢٥٣
 (٣) المصدر نفسه،
 (٤) المصدر نفسه،
 (٥) في الأصل معهم، وهو خطأ في النقل
 (٦) في الأصل عمر وهو خطأ في النقل
 (٦) في الأصل عمر وهو خطأ في النقل
 (٦) في الأصل معهم، وهو خطأ في النقل
 (٦) في الأصل معهم، وهو خطأ في النقل
 (٦) في الأصل معهم، وهو خطأ في النقل
 (٦) في الأصل عمر وهو خطأ في النقل
 (٦) في الأصل عمر وهو خطأ في الرسم
 (٦) في الأصل عمر وهو خطأ في الرسم
 (٨) عمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، دار المجتمع، الطبعة الخامسة، ١٤٦١هـ/ ١٩٩٩م، ص٠٢٤

هذا واختلفت الروايات حول تاريخ فتح بيت المقدس فكان بين سنة ١٥هـ^(١)، ١٧هـ^(٢)، وتجعل معظم الروايات المبكرة تاريخ الفتح في سنة ١٦هـ/ ١٣٣م^(٣). ويبدو أن هذا أكثر احتمالاً.

وتظهر أهمية القدس ومكانتها في الإسلام في أنها المدينة الوحيدة التي زارها الخليفة عمر بن الخطاب من بين المدن العديدة التي فتحت في عهده، وهكذا بعـد أن أنجـز جـيش الخليفة فتح فلسطين، وبعد أن منح وثيقة الصلح والأمان لنصارى المدينة، كان رضي الله عنه قد أقر جملة من التدابير الإدارية في المدينة من المكن أن نوجزها بمايلي^(٤):

أسكن الجند في القدس، وأمر بتعيين يزيد بن أبي سفيان عاملاً على إدارة المدينة تحت إمرة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وسلامة بن قيصر الحضرمي إماماً للصلاة في بيت المقدس، وعلقمة بن مجزز المدلجي مشرفاً على الشؤون العسكرية، كما عين عبادة بن الصامت قاضياً ومعلماً فيها، ثم أمر الخليفة ببناء المسجد الذي عرف بمسجد القدس (المسجد العمري)⁽⁰⁾، الذي كان قد وصفه الرسول عليه السلام وأقام فيه الصلاة ليلة الإسراء والمعراج⁽¹⁾.

وما أن دخلت المدينة تحت راية الإسلام حتى أقدم المسلمون عليها بين ساكن وزائر، ثم وفد إليها القادة والفقهاء والعلماء والرحالة والقراء كخالد بن الوليد وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبو ذر الغفاري وأبو هريرة وأبو عبيدة عامر بن الجراح. ولم ينقطع عن القدس عامة المسلمين من زهاد وعباد وتابعين بهدف الزيارة والتبرك. وحين توفي يزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة عامر بن الجراح في طاعون عمواس سنة ١٧ أو ١٨

(١) عن سالم بن عبدالله، الطبري، ج١، ص٢٤٣ و٢٤٠٣
 (٢) روايتان في البلاذري، فتوح، ص١٣٨ و٢٣٩، احاهما في عن الاوزاعي، انظر ابن اسحق في الطبري، ج١، ص١٢٢ سنعان في البلاذري، فتوح، ص١٣٨ و٢٣٩، احاهما في عن الاوزاعي، انظر ابن اسحق في الطبري، ج١، ص١٢٢ م٢٥٢
 (٣) الواقدي في البلاذري، أنساب (مخطوط) ج٢، ص٩٥٥ ابن الكلي في تاريخ خليفة، ج١، ص٢٢٤ ابن مسعد، (٣) الواقدي في البلاذري، أنساب (مخطوط) ج٢، ص٩٥٥ ابن الكلي في تاريخ خليفة، ج١، ص٢٢٤ ابن مسعد، (٣) الواقدي في البلاذري، أنساب (مخطوط) ج٢، ص٩٥٤ ابن الكلي في تاريخ خليفة، ج١، ص٢٢٤ ابن مسعد، (٣) الواقدي في البلاذري، أنساب (مخطوط) ج٢، ص٩٤٥ ابن الكلي في تاريخ خليفة، ج١، ص٢٢٤ ابن مسعد، إلى ج١، ص٢٢٤ ابن مسعد، إلى معلم في إلى زرعة، ج١، ص٢٢٢ و٢٢٤
 ٢٠ مص٢٢٢ معر في الطبري، ج١، ص٢٤٢ الوليد بن مسلم في إلى زرعة، ج١، ص٢٢٢ و٢٧٢ بالمعربي العدس في اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٢ - ٢٤١ ابن عساكر، تاريخ، ج١، ص٣٥٥ و٢٥٥، أنظر عبدالعزيز الدوري، القدس في المعقوبي، ج٢، ص٢٢٢ - ٢٤١٤ ابن عساكر، تاريخ، ج١، ص٣٥٩ و٢٥٥٥، أنظر عبدالعزيز الدوري، القدس في الفترة الإسلامية الأولى من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، ضمن كامل العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٢٩ - ١٤٦
 ٢٥ من الفرة السابع حتى القرن الحادي عشر، ضمن كامل العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٢ - ٢٢٤
 ٢٥ من الفرة السابع حتى القرن الحادي عشر، ضمن كامل العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٢ - ٢٢٥
 ٢٥ من الفرة الولى من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، ضمن كامل العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٢ - ٢٢٥
 ٢٥ من ١٢ - ٢٤١
 ٢٥ من ٢٥ من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، ضمن كامل العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٢ - ٢٢٥
 ٢٥ من ٢٢ من ٢٢٢ - ٢٢
 ٢٢ من ٢٢ من ٢٥ من ٢٥ من ٢٥ من كامل العسلي، القدس في من ٢٢٠
 ٢٥ من ٢٥ من ٢٥ من ٢٥ من ٢٢ من ٢٥ من ٢٢ من ٢٢ من ٢٢ من ٢٢ من ٢٢
 ٢٢ من ٢٢ من ٢٥ من ٢٥ من ٢٢ من ٢٢

للهجرة، عين عمر بن الخطاب، معاوية بن أبي سفيان عاملاً على بـلاد الـشام بـدلاً مـن أخيه يزيد^(١).

القدس في عهد الدولة الأموية

أدى مقتل الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب على يـد عبـدالرحمن بـن مُلجـم الخارجي إلى إزالة عقبة كبيرة من أمام معاوية بن أبي سفيان لتولي الحكم. حيث بويع له بالخلافة في بيت المقدس من قبل أهل الشام، ودُعي بأمير المؤمنين^(٢).

ثم دخل معاوية الكوفة، وبايعه الحسن والحسين، واجتمع عليه النـاس، وسمي ذلك العام (٤١هـ) (عام الجماعة)، وذلك لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحـد^(٣)، وبالتالي انفرد معاوية بخلافة المسلمين دون منافس يذكر، تلـك الخلافة، الـتي عرفت بالخلافة الأموية وعاصمتها دمشق، والـتي اسـتمرت زهـاء ٨٨ سـنة (٤٠–١٣٢هـ/ 2011-200م)، تولى الخلافة خلالها أربعة عشر خليفة^(٤).

وتأكيداً على ذلك تخبرنا مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام" في باب ذكر بناء عبدالملك بن مروان قبة الصخرة، ومتى كان ذلك البيان ما نصه:"... بعدما بويع معاوية بالخلافة حتى قدموا إيلياء، فصلوا من السحر ما قُدر لهم، والقصة في ذلك مشهورة. قال الليث: بويع معاوية إيلياء (القدس)، في رمضان، بيعة الجماعة، ودخل الكوفة سنة أربعين. قال الخطيب: هذه البيعة كانت بيعة أهل الشام لمعاوية عند قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك سنة أربعين (للهجرة). فأما دخوله الكوفة، ومبايعة علي له، فإنما كان ذلك في سنة إحدى وأربعين (للهجرة) على الصحيح عند بعضهم^(ه).

(١) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٨٩
 (٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٦٣، الطبري، ج٥، ص١٦١
 (٣) الطبري، المصدر نفسه، اليعقوبي، ج٢، ص١٢٢
 (٣) الطبري، المصدر نفسه، اليعقوبي، ج٢، ص١٢٢
 (٤) معاوية بن أبي سفيان ٢٦١- ٢٨٠، يزيد بن معاوية ٢٨- ٦٨٣ ، معاوية بن يزيد ٢٨٣- ٢٨٤، مروان بـن الحكم
 (٤) معاوية بن أبي سفيان ٢٦١- ٢٨٠، يزيد بن معاوية ٢٨٠ - ٢٨٣ ، معاوية بن يزيد ٣٨٣- ٢٨٤، مروان بـن الحكم
 (٤) معاوية بن أبي سفيان ٢٦١- ٢٨٠، يزيد بن معاوية ٢٨٠ - ٢٨٣ ، معاوية بن يزيد ٣٨٣- ٢٨٤، مروان بـن الحكم
 (٤) معاوية بن أبي سفيان ٢٦١- ٢٨٠، يزيد بن معاوية ٢٨٠ - ٢٨٣ ، معاوية بن يزيد ٣٨٣- ٢٨٤، مروان ٢٨٠ - ٢٨٩
 (٤) معادية بن أبي معر بن عبد الملك ٢٥٠ - ٢٨٩ الوليد بن عبد الملك ٢٥٠ - ٢٨٢ ، سليمان بن عبد الملك ٢٥٢- ٢٥٤
 (٢) معر بن عبد الملك بن مروان ٢٨٥ - ٢٠٩ الوليد بن عبد الملك ٢٥٢ - ٢٢٩ ، سليمان بن عبد الملك ٢٥٤ - ٢٥٤
 (٢) معر بن عبد العزيز ٢١٧ - ٢٢٠ ، يزيد بن عبد الملك ٢٠٠ - ٢٢٢ ، هشام بـن عبد الملك ٢٥٤ - ٢٤٩ ، ٢٥٤
 (٢) معر بن يبد العزيز ٢١٥ - ٢٢٠ ، يزيد بن عبد الملك ٢٥٠ - ٢٢٩ ، هشام بـن عبد الملك ٢٥٤ - ٢٤٩ ، ٢٥٤
 (٥) شهاب الدين أبي معمود أحد بن معد المقدسي الشافعي، مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، باب ذكر (٥) شهاب الدين أبي معمود أحد بن معمد المقدسي الشافعي، مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، باب ذكر (٥) شهاب الدين أبي معرود أحد بن معد المقدسي الشافعي، مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، باب ذكر و١٥ شهاب الدين أبي معرود أحد بن معد المقدسي الشافعي، محموطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، باب ذكر المان عبدالملك بن مروان قبة الصخرة، ومتى كان ذلك البيان، ضمن فضائل بيت المقدس، في مخطوطات عربية قديمة (دراسات تعليلية ونصوص مختارة معققة)، محمود إبـراهيم، الناشـر وزارة الثقافة الأردنية، مطبعـة الـسفير، عمان، ٢٠٠٢م، ص٢٩٥

عبد الملك بن مروان والجهود العلمية للدولة الأموية في القدس هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بـن أمية، أبـو الوليـد أمـير المؤمنين. ولد في المدينة عام (٢٦هـ/ ٦٤٧م) في خلافة عثمان بن عفان، وأمـة عائـشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية^(١).

ولما ذهب والده (مروان بن الحكم) إلى مصر بعد معركة مـرج راهـط، تركـه في دمشق يحكمها كنائب عنه، وبويع له بالخلافة في اليوم نفسه الذي توفي فيه والـده مـن شهر رمضان عام ٦٥هـ/ نيسان ٦٨٥م^(٢).

ومما يجدر ذكره، أن خلفاء الدولة الأموية كانوا مشغولين بالفتوحات الإسلامية، وذلك لنشر الإسلام وتثبيت دعائم حكمه في كافة البلدان واهتموا بـذلك وانـصرفوا عن كل ما عداه، بينما تلقى الخليفة عبد الملك بن مروان البيعة بالخلافة أيضاً في بيت المقدس سنة ٦٨٥م^(٣).

ففي العهد الأموي كانت العناية كبيرة بالحركة العلمية فقد شملت القرآن الكريم والحديث الذي دون في عهد عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ)، والفقه والوعظ والعبادة، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في استحداث طريقة في تحفيظ القرآن الشريف، سميت بـ الدراسة تقوم على أسلوب التكرار لكل آية، فتطورت الطريقة في هذا العهد ليأخذ القارئ بشرح معنى الآية وأسباب نزولها وما فيها من عبر، فكان أول من أسس طريقة الدراسة على هذا النحو بفلسطين الوليد بن عبدالرحمن الجرشي⁽³⁾. والفقهاء. ودُرست في المسجد الأقصى علوم القرآن من قراءات وتفسير وأسباب النزول والوعظ وكان منهم رجاء بن حيوة أبو عمران القاضي والعالم، والقارىء والفقهاء. ودُرست في المسجد الأقصى علوم القرآن من قراءات وتفسير وأسباب والفقهاء لي منهم رجاء بن حيوة أبو عمران القاضي والعالم، والقارىء والمنهان بن عبدالله الأنصاري الفلسطيني، والمفسر مقاتل بن سليمان، والمعاني وائلة بن الأسقع الهوازني، الذي كان قد خدم الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين.^(ه)

أن الانجاز الحقيقي الذي نفذه الخليفة عبدالملك بن مروان يكمن في حقل الإصلاح الإداري الذي أسفر عن تعريب الإدارة، ومعها النقد، فجاء قرار تعريب النقد (توحيد النظام النقدي في سائر أنحاء الدولة الإسلامية) موازياً مع تعريب الإدارة⁽¹⁾، حيث أمر عمال الأقاليم في العراق ومصر مهمة تعريب الدواوين في حين تولى بنفسه الإشراف على تنفيذ المهمة في بلاد الشام. وبعد سنوات أضحت اللغة العربية، لغة الإدارة الرسمية، فنشأت طبقة من الكتاب العرب تولت أعباء ما قرام به أسلافهم من غير العرب⁽¹⁾.

ففي القدس كان خالد بن يزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز يحاضرون في صحن بيت المقدس. فمن المعروف أن خالد هذا كان على درجة فائقة بعلم الصنعة الشريفة (الكيمياء)، وله بصمات علمية تطبيقية مهمة في تحلية مياه البحر، وكذلك في تركيب الأحماض والماء الثقيل^(٣). وهكذا عادت اللغة العربية في العهد الأموي إلى مدينة القدس فحلت محل اللغة اليونانية التي كانت سائدة فيها^(٤).

وفي ظل الدولة الأموية كانت المرأة تشكل الركن الأساسي في الأسرة ومسؤوليتها في تربية النشيء وتستند على ما تحمله من قيم وعادات وتقاليد راسخة، وما تتلقاه من علوم وآداب ومعارف ومبادئ الدين الإسلامي ورسالته الخالدة. فقد عين الخليفة عبدالملك مولى خاصاً لأم الدرداء أخيرة بنت أبي حدرد: زوجة أبي الدرداء، وهي عالمة في الحديث، يعمل على راحتها أثناء سفرها ما بين دمشق وبيت المقدس، على أن ذروة ما وصلت إليه الفقيهة أم الدرداء في علم الحديث خلال الفترات الزمنية التي كانت تقضيها في بيت المقدس، يتجلى أن الخليفة عبدالملك بن مروان أثناء تواجده في القدس كان يذهب لإحضارها من قبة الصخرة، ويرافقها إلى المسجد الأقصى⁽⁰⁾.

(1) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، ١٩٨٩م، ص٤١
 (٢) المرجع نفسه، ص٣٤
 (٣) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٥
 (٣) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٥
 (٤) عزمي عيد أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير
 (٤) عزمي عيد أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير
 (٤) عزمي عيد أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير
 (٤) عزمي عيد أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير
 (٤) عزمي عيد أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير (٥٩

عبدالملك. وقامت أمُ الدرداء تتوكأ على عبدالملك بن مروان، حتى يدخل بها المسجد. فإذا دخلت وجلست مع النساء، مضى عبدالملك إلى المقام، فصلى بالناس^(۱).

إن الصور العلمية المتكررة في بيت المقدس لم تنحصر على رعاية علماء المسلمين والعناية بالعلوم الإسلامية في العهد الأموي فحسب، وإنما ألقت بظلالها على علماء الديانات السماوية الأخرى في القدس، الأمر الذي دفع بعض علماء النصرانية للتأليف. وتعد مؤلفات يوحنا الدمشقي من أنجح المحاولات لشرح عقيدته، وإبراز ما في الفلسفة اليونانية من وصف للبدع التي مرت بمراحل تطور الكنيسة. ففي ظل هذه الأجواء الثقافية المنفتحة والمتسامحة في القدس في عهد بني أمية، ترجم اليهود التوراة إلى العربية^(٢).

بناء قبة الصخرة

ففي العهد الأموي بنى الخليفة عبدالملك بن مروان قبة المحخرة فوق صخرة المعراج^(٣). قال سبط ابن الجوزي في كتاب "مرآة الزمان": بنيانه (مسجد بيت المقدس) سنة تسع وستين، وفُرغ من سنة اثنتين وسبعين من الهجرة^(٤). وتعد أقدم أثر إسلامي لازال قائماً حتى يومنا هذا، ومحتفظاً بطابعه المعماري الأموي، حيث جمال الهندسة المعمارية الإسلامية متأثراً بأسلوب البيزنطيين في فن العمارة^(٥).

وقد ساهم في بناء قبة الصخرى كوكبة من علماء الإسلام مثل رجاء بـن حيـوة الكندي، ويزيد بن سلام من أهل القدس. ففي مخطوطة "فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام" تأليف الشيخ العلامة المشرف بن المرجي بن إبراهيم المقدسي، نعرض مايلي:

باب بناء عبدالملك بن مروان الصخرة

... عن رجاء بن حيوة، ويزيد بن سلام مولى عبدالملك بن مروان من أهـل بيت

(١) المشرف بن المرجي بن إبراهيم المقدسي، مخطوطة "فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام" باب ذكر من زار بيت المقدس من الأئمة والصالحين ومن كان فيها من المتعبدين والإبدال، ضمن فضائل بيت المقدس، في مخطوطات عربية قديمة (دراسات تحليلية ونصوص مختارة محققة)، محمود إبراهيم، الناشر وزارة الثقافة الأردنية، مطبعة السفير، عمان، ٩ ٢٠٠م، ص٣٦
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٨
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٩
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٨
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٨
 (٣) فيليب حتي، تاريخ العرب، ج١٠ ص٥٨
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٨
 (٣) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٨
 (٣) فيليب حتي، تاريخ العرب، ج١٠ ص٥٨
 (٣) فيليب حتي، عاريخ العرب، ج١٠ ص٥٨
 (٣) معلوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، المصدر السابق، ص٣٥

المقدس... أن عبدالملك، حين هم ببناء صخرة بيت المقدس والمسجد، قدم من دمشق إلى بيت المقدس، وكتب الكتب إلى جميع الأمصار، أن عبدالملك أراد أن يبني قبة على صخرة بيت المقدس تُكن^(۱) المسلمين من الحر والبرد، والمسجد، فكره أن يعمل ذلك دون رأي رعيته^(۲).

فلتكتب الرعية إليه برأيهم وما هُم عليه: يرى أمير المؤمنين رأيـه موفقـاً رشـيداً، نسأل الله أن يُتم له ما تولى من بناء صخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة ولمن مضى من سلفه. فجمع الصناع من جميع عمله كلـه، وأمـرهم أن يـصفوا صفة القبة وسمتها من قبل أن يبنيها، فكرست له صخرة في المسجد، وأمر ببنـاء بيت المال في شرقي الصخرة، وهو الذي فوق حرف الصخرة^(٣).

فأشحن بالأموال، ووكل على ذلك رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام: على النفقة عليها والقيام بأمرها، وأمرهما أن يفرغا عليها المال إفراغاً دون أن ينفقا إنفاقاً فأخذوا في البناء والعمارة حتى أحكم وفرغ من البناء، ولم يبق لمتكلم فيه كلام وكتبا إليه بدمشق: " قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء صخرته والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم فيه كلام، وقد تبقى مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة، بعد أن فُرغ من البناء وأحكم، مائة ألف دينار، فيصرفها أمير المؤمنين جائزة لكما، لما وليتما من عمارة ذلك فكتب إليهما:" قد أمر بها أمير المؤمنين جائزة لكما، لما وليتما من عمارة ذلك فكتب إليهما:" قد أمر بها أمير المؤمنين جائزة لكما، لما وليتما من عمارة ذلك البيت المبارك". فكتب إليها:" نحن أولى نزيد من حلى نسائنا فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك. فكتب إليهما:" تسبك وتفرغ على القبة، ففعلا ذلك. فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب. وهي لها جلال " من لبود، وجلال من أدم من فوقه، فإذا كان الشتاء، ألبسته ليكفها من الأمطار والرياح والثلوج. وكان رجاء بن مين فوقه، فإذا كان الشتاء، ألبسته ليكفها من الأمطار والرياح والثلوج. وكان رجاء بن مرخاةً بين العمد...⁽¹⁾

- (١) الكن: ما يود الحر والبر من الأبنية والمساكن، أنظر لسان العرب، مادة كنن،
 (٢) المشرف بن المرجي بن إبراهيم المقدسي ، مخطوطة "فضائل بيت المقدس والخليل عليه المصلاة والسلام"، ضمن فضائل بيت المقدس، في مخطوطات عربية قديمة (دراسات تحليلية ونصوص مختارة محققة)، محمود إبراهيم، الناشر وزارة الثقافة الأردنية، مطبعة السفير، عمان، ٢٠٩٩، ص٢٢٩، ص٢٢٩
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤ السفير، عمان، ٢٠٠٩م، ص٢٢٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤ والله عمان، ٢٠٠٩م، ص٢٤٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤ والسلام"، صـ٢٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤ والله عمان، ٢٠٠٩م، ص٢٤٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤ والله عمان، ٢٠٠٩م، ص٢٤٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤ والله عليه المالي والناه والمالية والسلام"، ضـمن وزارة الثقافة الأردنية، مطبعة السفير، عمان، ٢٠٠٩م، ص٢٤٤
 (٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤ و١٢٢
 (٩) المصدر نفسه، ص٢٢٤ و١٢٤
 (٢) المصدر نفسه، ص٢٢٤ و١٢٤
 (٢) المصدر نفسه، ص٢٢٤ و١٢٤
 - (٦) مخطوطة "فضائل بيت المقدس، المصدر السابق، ص٢٢٤و ٢٢٥

وكان فيه (بيت المقدس) في ذلك الوقت من الخشب المسقف ستة آلاف خشبة، وفيه من الأبواب خمسون باباً، ومن العَمَد ستمائة عمود رخامي، وفيه من المحاريب سبعة، ومن السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة: ثمانون سلسلة في المسجد، والباقي في قبة الصخرة. وذرع السلاسل أربعون ألف ذراع، ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل بالشامي. وفيه من القناديل، خمسة آلاف قنديل^(۱).

وكان يسرج فيه مع القناديل ألفا شمعة في ليالي الخير وفي نصف رجب شعبان، وفي ليلتي العيدين. وفيه من القباب خمس عشرة قبة سوى قبة الصخرة. وعلى سطح المسجد مُلبس من شقاق الرصاص: سبعة آلاف شقة وسبعمائة شقة، ووزن الشقة سبعون رطلاً بالدمشقي، غير الذي على قبة الصخرة. كل ذلك عمل في أيام عبدالملك بن مروان، ورُئبت له من الخدم القُوام ثلاثمائة خادم... وفيه من الصهاريج للماء، أربعة وعشرون صهريجاً كبار^(٢).

وفيه من المنابر: ثلاثة منها في صف واحد غربي المسجد، وواحد على باب الأسباط. وكان له من خدم اليهود، لا يؤخذ منهم جزية، عشرة رجال. وتوالدوا فصاروا عشرين رجلاً... وله من الخدم النصارى عشرة أهل بيت، يتوارثون خدمة البيت لعمل الحُصُر، وكنس حُصُر المسجد، وكنس القني التي تجري إلى صهاريج الماء وكنس الصهاريج أيضا. وغير ذلك من الخدم اليهود، جماعة يعملون الزجاج للقناديل، والأقداح، وغير فلك، لا يؤخذ منهم جزية... وطول المسجد، سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعاً بذراع الملك، وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وستون ذراعاً بذراع الملك أيضاً...^(Y) وتتجلى الروعة في بناء قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، بما وصل إلينا من وصف. فالصخرة نفسها تقع تحت قبة المسجد مباشرة، وطولا من الشمال إلى الجنوب الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة الصخرة أقدم أثر إسلامي لازال قائماً الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة الصخرة أقدم أثر إسلامي لازال قائماً الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة الصخرة العرب من عن المندام إلى الجنوب الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة المحرة أقدم أثر إسلامي لازال قائماً الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة المحرة أقدم أثر إسلامي لازال قائماً الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة المحرة أقدم أثر إلى المندسة المارية المارية الماري المارية الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة المحرة أورام أسرام أثر إلى المن المارية المارية الماري الأرض يتراوح بين متر ومترين⁽¹⁾. وتعد قبة المحرة أقدم أثر إسلامي لازال قائماً الأرض يرام مارية من المارية.

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٨
 (٢) المصدر نفسه، ص٢٢٨
 (٣) بلصدر نفسه، ص٢٢٨
 (٣) مخطوطة فضائل بيت المقدس، المصدر نفسه، ص٢٢٨
 (٣) محطوطة فضائل بيت المقدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤، أنظر كتاب الأردن، حقائق ومعلومات،
 (٤) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤، أنظر كتاب الأردن، حقائق ومعلومات،
 (٤) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤
 (٢) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤
 (٤) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤
 (٤) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤
 (٤) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤
 (٢) إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٦٤

وقد أقيم هذا البناء على طراز كاتدرائية بصرى، اما أبوابه البرونزية بصفائح فضية مزخرفة، فهي من أقدم ما بقي من الزخارف، وهو الفن الذي أتقنه الفنانون البيزنطيون. كما أسرف الفنانون في تزيينه بالفسيفساء والرسوم الكاشانية عند بنائة في الأصل، وعند ترميمه، ويشتمل الطراز الكاشاني على الرصيف بقطع البلاط المربعة أو المسدسة الصقلية، وربما رسمت فيها صور نباتية أو أشكال هندسية⁽¹⁾.

وتذكر الأخبار أنه في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان عُلق في السلسلة الـتي في وسط القبة على الصخرة، درة ثمينة، وقرنا كبش إبراهيم، وتاج كسرى، ففي عـصور لاحقة تم نقل تلك المقتنيات إلى الكعبة المشرفة^(٢).

وينسب إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان إعادة عمران بيت المقدس بعد عمر بن الخطاب، فيذكر المطهر بن طاهر صاحب كتاب البدء والتاريخ قائلاً :" فلم يـزل بيـت المقدس خراباً إلى أن قام الإسلام، وعمره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثـم معاوية بن أبي سفيان".

ونظراً لعدم وجود نصوص على جدران أو بلاطات المسجد الأقصى، الأمر الـذي أثار جدلاً حول تاريخ بناء المسجد والخليفة الذي شيده. فيرى البعض أن بناء المسجد كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. ففي هذا السياق وصف الرحالة أركوف هذا المسجد سنة ٢٠٣٠م/ ٥٠ه أثناء زيارته لبيت المقدس، حيث يعد أقدم وصف يقول فيه:" بناء مربع من الخشب، مقام على دعائم خشبية، وأن المسجد أقيم في بقايا خربة، وأن هذا البناء يتسع لثلاثة آلاف مصلي في وقت واحد". فقد ذكر الواقدي أن عمر بن الخطاب خط محراباً بالمدينة من جهة الشرق وهو موضع مسجده^(٣). من الثابت أن المسجد الأقصى أعيد بناءه في العصر الأموي، وتولى بناءه الخليفة عبد الملك بن مروان. واحتاج البناء لاستكمال بعض عناصره فأكملها الخليفة الوليد بن عبدالملك، يؤيد ذلك الرسالة المكتوبة على ورق البردي والتي أرسلها الوليد هذا بيت المقدس^(٤).

> (۱) المرجع نفسه، ص۱۳۰ (۲) فيليب حتي، تاريخ سورية، مرجع سابق، ج۲، ص۲۷۵ (۳) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص۹۲ (٤) المرجع نفسه، ص۹۳

عبدالملك: بنى مسجد بيت المقدس... وعمّر في بيت المقدس صخرةً. وقـال: سمعت إبراهيم بن أبي عبلة يقول: رحم الله الوليد، وأين مثلُ الوليد؟ افتتح الهند والأندلس. رحم الله الوليد، وأين مثلُ الوليد؟ هدم كنيسة دمشق، وبنى مسجد دمشق. رحم الله الوليد، واين مثلُ الوليد، كان يعطي قصاع الفضة أقسّمُها على قـراء بيت المقـدس. توفي سنة ست وتسعين بدمشق، رحمه الله^(۱).

ولما ولي سليمان بن عبدالملك الخلافة بعد أخيه في سنة ست وتسعين من الهجرة، أتى بيت المقدس، وأتته الوفود بالبيعة، فلم يروا وفادة كانت أهنأ من الوفادة عليه. كان يجلس في قبّةٍ في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة قد بُسطت البُسُط بين يدي قبته، عليها النمارق والكراسي والوسائد، وإلى جانبه الأموال والكُسى وآنية الذهب والفضة، وكتّاب الدواوين، فيدخل وفدُ الجند، ويتقدم صاحبهم، فيتكلم عنهم وعن من قَدِموا من عنده. وكان سليمانُ قد قد همّ بالإقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلاً، وجمع الأموال والناس بها^(٢).

تعليق على ما تقدم في عهد سليمان بن عبد الملك نجد أن عبارة مؤلف مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام" عن بناء الوليد بن عبدالملك لمسجد بيت المقدس، أي المسجد الأقصى، وتعميره قبة الصخرة، هو تصور للحقيقة التاريخية بالنسبة إلى هذا الموضوع. فقد أظهرت أوراق البرديّ، كما بين ذلك عبدالعزيز الدوري، بصورة لا تترك مجالاً للشك، أن الوليد هو الذي بنى المسجد الأقصى، في حين أن والده الخليفة عبدالملك هو الذي بنى مسجد قبة الصخرة".

واليوم يقع المسجد الأقصى داخل أسوار البلدة القديمة بالقدس في المنطقة المحاطة بالسور المستطيل الواقعة في جنوب شرق مدينة القدس المسورة والـتي تعـرف بالبلـدة القديمة. وتبلغ مساحته المسجد نحو ١٤٤ دونماً ويشمل قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ومعالم أخرى يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم.

ويقع المسجد الأقصى فوق هضبة صغيرة تسمى هـضبة موريـا وتعتـبر الـصخرة هي أعلى نقطة في المسجد وتقع في موقع القلب بالنسبة للمسجد. وتبلغ قياساته: مـن الجنوب ٢٨١م ومن الشمال ٣١٠م ومن الشرق ٢٦٢م ومن الغرب ٤٩١م. وتـشكل

(١) مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، المصدر السابق، ص٣٨٥ (٢) المصدر نفسه، ص٣٨٥ (٣) محمود إبراهيم، مرجع سابق، نقلاً عن البحث الذي قدمه الدكتور عبدالعزيز الـدوري إلى المـوتمر الثالـث لتـاريخ بلاد الشام، الذي عقد في عمان،

هذه المساحة سدس مساحة البلدة القديمة، وهذه الحدود لم تتغير منذ أن وضع المسجد أول مرة كمكان للصلاة بخلاف المسجد الحرام والمسجد النبـوي اللـذان تم توسـعيهما عدة مرات^(۱).

وحتى القرن الثامن الهجري كان يطلق على قبة الصخرى، والمسجد القبلي الذي فيه المحراب اسم "المسجد الأقصى". كما جاء في القرآن الكريم في سورة الإسراء، ولم يطلق على المسجد اسماً منفصلاً إلا في أواخر العهد الأموي، عندما تمت تسميته: مسجد بيت المقدس، وأطلق عليه الرحالة ناصر خسرو أيضاً : مسجد بيت المقدس^(٢). ويعد ابن فضل الله العمري أول من أستعمل لفظ الحرم القدسي الشريف ليضم: "قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، والمنشآت الدينية الأخرى الكائنة في ساحاته". وذلك تيمناً بالحرم المكي الشريف والحرم النبوي الشريف.

آثار أموية لا زالت قائمة في القدس

فمن الآثار التي لا زالت قائمة في مدينة القدس، ويعود بناءها إلى الفترة الأموية: القصور الأموية أو ما كان يعرف "بدار الأمارة" التي تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من الحرم الشريف لتكون مقرأ للخليفة عبدالملك وحاشيته أثناء زيارته للمدينة. ففي عام • ١٩٧٠م تم اكتشاف ثلاثة قصور أموية، تتطابق من حيث الهندسة المعمارية مع قصور بني أمية القائمة في الأردن، وتقع هذه القصور تحت مدينة البنات التي كانت قد هدمت في حي المغاربة وهي من بناء الخليفة الوليد بن عبد الملك. ومن بين الآثار الأموية التي ربما أعيد بناءها ولا زالت شاهدة: الباب الذهبي (باب الرحة وباب التوبة)، فيرجح أن هذا الباب كان قد أسس في عهد هيرودوس. فمن بين المباني الرسمية، يذكر أن الخليفة معاوية أنشأ في المدينة قصراً للخلافة (حصن مستدير)، في نفس مكان قصر هيرودوس الكبير، وذلك في الجهة الغربية من مدينة القدس^(٣).

فمن بين المقابر التي اتخذها سكان مدينة القدس في الفترة الأموية: مقبرة التميمي اليمني، ومقبرة باب الساهرة، الواقعة على مسافة أمتار خارج سور المسجد بالقرب من باب الساهرة على جبل يعرف باسم جبل الساهرة... ففيها دُفن عـدد مـن أعيـان المسلمين. أما مقبرة باب الرحمة فقد دفن سكان المدينة موتاهم فيها خارج سور المسجد

> (١) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٩٣ (٢) المرجع نفسه (٣) المرجع نفسه، ص٩٣–٩٥

الأقصى الشرقي. ففيها قبور لعدد من الصحابة نذكر منهم: شداد بن أوس وعبادة بن الصامت⁽¹⁾.

وينقل Goitein عن جولد زيهر المجري، دون أن يُقرهُ على ما كتبه أن الخليفة عبدالملك بن مروان أراد ببنائه قبة الصخرة، أن يحول الحج إلى القدس بدلاً من مكة، زمن ثورة عبدالله بن الزبير، وذلك استناداً إلى على حديث رواه الزُهري عن قدسية مكة والمدينة والقدس^(٢). وينقل كذلك Goitein من أن الأحاديث الخاصة بقداسة القدس لم تكن إلا أسلحة في الحرب التي كانت عالقة بين عبدالملك وابن الزبير، ومن أن استدارة مسجد الصخرة إنما قُصد بها أن يكون المسجد ملائماً للطواف به^(٣)

والرواية التي استند عليها المستشرق جول دزيهر، تعتمد على ما أورده اليعقوبي المتوفى بعد ٢٩٢هـ:" ومنع عبدالملك أهل الشام من الحج وذلك أن عبدالله بن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة، فلما رأى الخليفة عبدالملك بن مروان ذلك، منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض علينا! فقال لهم هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال:" لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس" ثم قال عبد الملك: وهو، أي بيت المقدس، يقوم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يُروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية"⁽¹⁾. أما عن القول بان الخليفة عبدالملك بن مروان الأموي، أراد أن يُضفي على يتحول الناس في حجهم من مكة إلى القدس، فقول مرفوض في إطار العقيدة الإسلامية، والنصوص الصحيحة المنقولة. فهو إنما أراد أن يُضفي على

(١) المرجع نفسه، ص٩٦

(2) Journal of the Americantal Oriental Society, Vol LXX 1950: The History back ground of the erection of the dome of the rock, P104

(3) Ibid, P104

(٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب، المعروف بابن واضح الأخباري، نـشر النجـف ١٣٥٨هـ. ج٣، ص٨٢٧

واستشار رعيته في ذلك قبل أن يبدأ البناء. فالبناء الـذي أقامـه، أكتـسب قداسـته مـن الموقع الذي بُني عليه، وليس العكس^(۱).

والرجل الذي اعتمد عليه عبد الملك في بناء مسحد الصخرة، هو رجاء بن حيوة، كان من علماء المسلمين، وصديقاً لعمر بن عبدالعزيز، الرجل الصالح، ولم يكن هـذا ليشارك في بناء يقصد به خديعة المسلمين، بأن يتحولوا إلى الحج إليه بدلاً من مكة^(٢) .

أما رواية منع عبدالملك بن مروان الناس من الحج إلى مكة إبان ثورة ابن الزبير، فهي رواية منقوضة، حتى في رواية اليعقوبي التي تقول إنه منع الناس من الحج إلى مكة خشية أن يأخذهم عبدالله بن الزبير بالبيعة، وأنه أقام بذلك أيام بني أمية^(٣). ولكن اليعقوبي هذا يقول إنه في سنة ٦٨هـ، وقفت أربعة ألوية بعرفات: محمد بن الحنفية في أصحابه، وابـن الزبير في أصحابه، ونجدة بن أبي عامر الحروري، ولواء بني أمية. ثم ينقل عن المساور بـن هند بن قيس قوله: وتشعبوا شُعباً، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين، وعروف أن حكم عبدالله بن الزبير في مكة امتد من عام ٦٦ إلى عام ٣٧هـ، وهو عام مقتله. بل أن اليعقوبي يـورد بعد ذلك أن عبدالملك بن مروان نفسه كان قد حج سنة ٥٧هـ الأمر الذي يخالف روايته الأولى عن منع حكام الأمويين الناس من الحج أيام بني أمية^(٢).

(١) محمود إبراهيم، فضائل بيت المقدس، ص٥٥ نقلاً عن المشرف المقدسي، "فيضائل بيت المقيدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام"، مصدر سابق، ، مخطوطة توبنجن ص٥٥ (2) الفال 1050

> (٣) تاريخ اليعقوبي، ج٣، مصدر سابق، ص٧و٨ (٤) المصدر نفسه، ص١٠، حول الموضوع راجع محمود إبراهيم، فضائل بيت المقدس، ص٣٩-٥٧



الفصل الثالث

القدس في العهد العباسي والفاطمي

قيام الخلافة العباسية

كانت الدعوة العباسية قد برزت على المشهد السياسي في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ولما انكشفت دعوتهم المناهضة لـبني أمية، أمر الخليفة مروان بالقبض على إمامها إبراهيم بن محمد بن علي العباسي فسجنه وقتله، وكان إبراهيم هذا قد أوصى بالإمامة لأخيه أبي العباس، فكانت الحُميمة في جنوب الأردن مقرأ لدعوتهم يصدر منها التوجيهات، في حين كانت خراسان مركزاً لها⁽¹⁾.

وتمكنت الدعوة العباسية من مواجهة الدولة الأموية وتقويض أركانها بعد أن هزمتهم في معركة الزاب (شمال الموصل)، وبذلك تولى أبو العباس السفاح الخلافة العباسية التي حكمت العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون، من سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، إلى أن زالت من عاصمتها بغداد على أيدي التتار سنة ٢٥٦هـ^(٢)، وفي ذلك يقول صاحب الفخري في الآداب السلطانية: "وأعلم أن هذه الدولة من كبار الدول، ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك، فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تديناً، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة..."^(٢)

وفي موضع آخر يقول صاحب الفخري عن الدولة العباسية: إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافعة، وشعائر الدين فيها معظمة، والخيرات فيها دارة، والدنيا عامرة، والحرمات مرعية، والثغور محصنة، وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها، فانتشر الجبر، واضطرب الأمر وانتقلت الدولة.."^(٤).

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٤-٤٢٢، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م، ص، ٢٧٠
 (٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، مصدر سابق، ص٢٢-٣٢٣، المسعودي، المصدر نفسه، ص٢٧٧-٢٧٨
 (٣) عمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة، ١٩٢٣م، (٤) المصدر نفسه، ص١٩٢٣

بقيت بلاد الشام موضع شك في نظر العباسيين مما جعلهم يتشددون في إدارتها، الأمر الذي ألحق الضرر بمظاهر الحضارة فيها، إلا أن معظم الإجراءات الأكثر تشدداً كانت في عهد أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م)، على يد واليه عبدالله بن علي، الذي لُقب بسفاح بلاد الشام، في حين غلب لقب السفاح على الخليفة نفسه. ولم تكن القدس مركزاً سياسياً أو إدارياً مع بداية الدولة العباسية، بل كانت تتبع لمدينة الرملة، وتندر المعلومات عن القدس في المصادر التاريخية في تلك الحقبة الي تسهب في الحديث عن المراكز الرئيسة للدولة العباسية، ال

مكانة القدس في عهد ابو جعفر المنصور

وعلى الرغم من تشدد الدولة العباسية تجاه بلاد الشام، إلا أن الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور الذي تولى السلطة في الحقبة الزمنية الممتدة ما بين (١٣٦هـ / ٥٤ م _ ١٥٨هـ / ٢٧٥٥م)، كان قد أولى القدس اهتماماً دون غيرها مـن مـدن بـلاد الشام. فيذكر المسعودي المتوفى سنة ٩٤٦م في كتابه "مروج الذهب ومعـادن الجـوهر" عن زيارة أبو جعفر لبيت المقدس. يورد ما نصه:" أنه في سنة إحدى وأربعـين ومائـة، شخص المنصور إلى بيت المقدس، فصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف" (٢). ففي مخطوطة " فضائل بيت المقدس..."، يحدثنا أبـو المعـالي، عـن زيـارة الخليفـة لمدينة القدس، فيقول:" فلما قدم أبو جعفر، وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقعا فُرُفع إليه: يا أمير المؤمنين، قد وقع شرقي المسجد وغربيُهُ، وكانت الرجفةُ (الزلزلـة) سنة ثلاثين ومائة في شهر رمضان فقالوا له: لو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته فقـال: مـا عندي شيء من المال، فأمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبـواب، فضربت دنانير ودراهم، وأنفق عليه"("). علماً إن أبواب المسجد الأقصى كانت قد لُبست بصفائح من الذهب والفضة في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، وما يثبت ذلك ما جاء عن عبدالرحمن بن محمد بـن منصور بن ثابت، قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده، أن الأبواب كانـت مُلبِسةً ذهباً وفضة، وصفائح الأبواب كلها، في خلافة عبدالملك..(٤).

فمعنى ذلك أن الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي، الذي زار مدينة القدس بعد أن تولى الخلافة بسنوات قليلة، لم يمتنع عن ترميم ما ألحقه الزلزال من ضرر، بل أمر به، وإلا لكان بإمكانه أن يضرب صفائح الذهب والفضة التي على أبواب المسجد دنانير ودراهم ليودعها في خزانة الخلافة. فلنتذكر أن زيارة أبو جعفر للقدس، حدثت في بداية حكم خلفاء بغداد من بني العباس، الذين تولولوا الحكم سنة أبي العباس سنة ١٣٦هـ(⁽⁾.

كل ما تقدم يفسر أن الدولة العباسية كانت في أوائل سني حكمها، والأموال الأزمـة للبناء والترميم في المسجد الأقصى قد لا تكون متوفرة في خزانة الخلافـة في تلـك الحقبـة الزمنية من حكم أبو جعفر المنصور الخليفة الثاني في ترتيب خلفاء بني العباس^(٢).

ولم يكن المنصور العباسي الخليفة الوحيد الـذي زار القـدس، أو اهـتم بـشؤونها وبشأن المسجد الأقصى على وجه الخصوص. فالخليفة العباسي الثالـث أبـو عبـد الله محمد المهدي ، ابن المنصور، الذي تولى الخلافة في الفترة (١٥٨هـ / ٧٧٥م ـ ١٦٩هـ/ ٥٨٧م)، كان قد زار القدس كذلك.

دلالات وعبر ومعاني في أقوال الخليفة المهدي وتقديره لبيت المقـدس، والمسجد الأقصى، ترويها لنا مخطوطة " مشير الغـرام إلى زيـارة القـدس والـشام"، وخلاصة الرواية أنه لما وصل المهدي إلى بلاد الشام يريد القدس، كان قد دخل مسجد دمشق، وبصحبته أبو عبدالله الأشعري، فقال المهدي:" يا أبا عبدالله، سبقنا بني أمية بـثلاث، فقال: ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال هذا البيت (مسجد دمشق)، ولا أعلم على ظهر الأرض مثله، وبنيل الموالي، فإن لهم موالي ليس لنـا مثلـهم، وبعمر بـن عبـدالعزيز فقال: يا أبا عبدالله، لا يكون فينا والله مثله أبدا. ثم أتى بيت المقـدس. فقال: يا أبا عبدالله، وهذه رابعة".^(۳)

ولما كانت الزلزلة الثانية، في مدينة بيت المقدس وقع البناء الذي بناه والده الخليفة المنصور، كما تسبب هذا الزلزال في انقطاع المصلين عن ارتياد المسجد للصلاة فيه لمدة

(١) عماد الدين ابو الفداء إسماعبل بن عمر بن كثير القرشي ابن الدمشقي، البداية والنهاية، ج١، دار الفكر العربي، طبعة القاهرة، ١٩٣٣، ص٥٧ (٢) محمود إبراهيم، فضائل بيت المقدس، مرجع سابق، ص٩٥ (٣) مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام"، ضمن محمود إبراهيم، فضائل بيت المقدس، ص٩٩



طويلة، فلما رفع ذلك إلى الخليفة المهدي لدى زيارته المدينة، فأمر بإعـادة بنائـه، فـتم البناء في خلافته سنة ١٦٣هـ / ٧٨٠م^(١).

القدس في عهد الخليفة الرشيد

وما زاد من مكانة القدس في نظر العالم الإسلامي والمسيحي، تلك العلاقات الدبلوماسية التي قامت بين الخليفة هارون الرشيد (٧٨٧ – ٩،٨٩) وشارلمان ملك الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوربي، وكذلك موقف البابا الروحي للعالم المسيحي في تلك الحقبة الزمنية، وعلاقته الروحية مع نصارى مدينة القدس. كل هذا يظهر مدى احترام وتقدير الخليفة هارون الرشيد عندما وصل إلى الخلافة، حيث بدا شديد التسامح، فوافق للإمبراطور شارلمان على ترميم كنائس بيت المقدس، وكنيسة القيامة وتعهد بحماية الحجيج النصارى إلى هذا المكان المقدس.

ولكن العلاقات بين الطرفين كانت في الغالب تجارية وليست سياسية، كما تطرقت بعض المصادر في تفسير العلاقات بين الرشيد وشارلمان إلى درجة موافقة الرشيد على أن يتمتع شارلمان بحق حماية المسيحيين والحجاج في الأراضي المقدسة^(٣). ولكن يتضح لنا أيضاً مدى العلاقات الروحية الطيبة والتعاون بين العالمين الإسلامي والمسيحي في ذلك الوقت تجاه مدينة القدس بشكل خاص^(٤). وفي عهد الخليفة هارون الرشيد تولى أمر فلسطين بما فيها القدس: الوالي روح بن حاتم بن قبيصة بدءاً من سنة ١٧١هـ / ١٧٧م، ففي سنوات ولايته تعرضت فلسطين لأزمات اقتصادية بسبب انتشار الطاعون، كما تولى أمر ولاية القدس عبدالرحمن بن عبدالملك بن صالح الهاشمي، والوالي هرثمة بن أعين^(٥).

- **الـقـدس في عـهـد الخليـفـة المأمـون** وتوالى اهتمام بني العباس بالمسجد الأقصى بعد المهدي، مما يـدل علـى أن منزلـة
- (١) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل، ج١، ص٢٨٣، انظر مخطوطة "فضائل بيت المقدس والخليل عليه الـصلاة والسلام وفضائل الشام، ضمن فضائل بيت المقدس لمحمود ابراهيم، باب بناء عبدالملك بن مـروان الـصخرة، ص٢٣٠

(2) See, Bucker Harun al-Rashid and Charles the Great Massa-Chusettes, 1931, P170

(٣) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١١٣ (٤) إسحاق رباح، مرجع سابق، ص١٦٩و١٧٠ (٥) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١١٣



القدس لم تتضاءل بعد حكم بني أمية. ففي عهد المأمون^(۱) بن المهدي أصاب قبة الصخرة شيء من الخراب، فلما زار المأمون بيت المقدس سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م، أمر بإصلاحات في القبة، بإشراف أخيه أبي إسحاق – الخليفة المعتصم فيما بعد- الذي كان نائبه على بلاد الشام وعلى يد عامله صالح بن يحيى وقد بلغت الترميمات التي أجراها الخليفة المأمون من الضخامة حدا بعض أتباعه إلى أن يعزو البناء كله للمأمون سنة ٢١٦هـ^(٢).

لكن الصُناع استبدلوا اسم عبد الملك بن مروان وهو الباني الحقيقي للقبة، عام ٧٢ للهجرة، بكتابة اسم المأمون العباسي على الفسيفساء الموجود على القبة، ولكنهم غفلوا عن تغيير سنة ٢١٦هـ التي حدث فيها ترميم المأمون. ولتوضيح التزوير الذي لم يكن متقناً ننقل نص النقش قبل التزوير وبعده. فالنقش الأصلي كان نصه:" بنى هذه القبة عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين، تقبل الله منه ورضي عنه". أما النقش المزور: " بنى هذه القبة عبدالله عبد (الله الإمام المأمون)، أمير المؤمنين في سنة اثنين وسبعين، تقبل الله منه ورضي عنه آمين". وكان الباحث De Vohue أول من اكتشف هذا التزوير^(٣).

وفي مطلع القرن الرابع الهجري، أصلحت أم الخليفة المقتدر بالله العباسي جانباً من سقف الصخرة، وأمرت بوضع أبواب للمسجد الأقصى، وقد ذكر ذلك صاحب كتاب" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"^(٤). ومما زاد من قدسية القدس في حكم خلفاء بغداد من بني العباس، رعاية الأحاديث حول شد الرحال من قبل التابعين، ثم زادت من هذه الأهمية المؤلفات الجغرافية من القرن الرابع للهجرة والتي تعظم مكانة بيت المقدس وفضائلها وفضل مدينة القدس وبلاد الشام وحرمة الأماكن المقدسة، وكذلك فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه^(٥).

- تولى المأمون الخلافة في الفترة (١٩٨هـ / ١٨٣م ٢١٨هـ / ٨٣٣م)
 ٢) اترب المرب المحالين من المادان مترة من النام من المرب من ١٨
- (٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق وستنفيلد، ج٤، طبعة طهران، ١٩٦٥م، ص٥ And see A, L, Tibawi: Jerusalem: It's Place in Islam and Arab History, Beirut, 1969, P10
- (٣) فيليب حتي، تاريخ العرب، ج١، ص٢٨٧، إسحاق رباح، مرجع سابق، ص١٧٠، علي محافظة وآخـرون، مرجـع سابق، ص١١٥

And see De Vohue, le Temple de Jerusalem, Paris, 1861, Pp 6-85 (٤) محمود إبراهيم، مرجع سابق، نقلاً عن "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" لشمس الدين أبيي عبـدالله محمـد بـن أحمد بن أبي بكر المقدسي البشاري، ط٢، ليدن، ١٩٦٧، ص١٦٩، أيضاً معجم البلـدان، تحقيـق وسـتنفيلد، ج٤، مصدر سابق، ص٩٧٥ (٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص٩٤، ابن الاثير، ج١٠، ص٥٧

ففي بداية عهد السلاجقة أصبحت القـدس المدينـة الأولى في فلـسطين، وزارهـا الرحالة المسلمون وأصبحت صورة حية للثقافة الإسلامية مـن خـلال ملتقـى علمـاء المسلمين، لتتأصل فيها مدارس في أصول الفقه وفروع العلوم الأخرى^(۱).

إلا أن العهد العباسي كان قد شهد انقسامات سياسية، منها النزاع المرير بين أقطاب الدولة العباسية وهما: الأمين والمأمون (من سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م إلى سنة ١٩٨هـ/ ١٨٣م)، ولقد جرأ هذا الحدث العديد من أطراف الدولية على التفكير في الانفصال. فقد غض الطرف أبو جعفر عن قيام دولة أموية بالأندلس منفصلة عن الدولة العباسية.

ثم أقدم الرشيد على إعطاء الفرصة لقيام دويلة صغيرة في المغرب وهي دولة الأغالبة (١٨٤–٢٩٦هـ/ ٨٠٠–٩٩٩م)، التي سقطت مع تأسيس الخلافة الفاطمية في إفريقية (تونس اليوم) عام ٢٩٧هـ/ ٩١٠م ومن ثم في مصر والشام، وكان كل ذلك على حساب حكم خلفاء بغداد من بني العباس، بينما بدأ الغرب كوحدة واحدة يفكر باجتياح المشرق العربي حتى وقعت أجزاء من بلاد الإسلام تحت سيطرة النفوذ الصليبي، بما فيها القدس سنة ١٠٩٩م^(٢).

القدس فى العصر الفاطمى

قبل الحديث عن تبعية القدس للدولة الفاطمية، لابد من الإشارة إلى أن تاريخ فلسطين ومدينتها القدس يقع في دائرة التأثر بما يقع في مصر وبلاد الشام من أحداث سياسية، وعلى ذلك فإن الحديث عن سيطرة الفاطميين على القـدس يُلزمنا بدراسة موجزة عن الخلافة الفاطمية في المنطقة.

ويتفق الشيعة الإمامية عموماً على أن الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم. هم: علي بن أبي طالب، ثم أبنه الحسن، ثم الحسين بن علي، ثم علي بـن الحسين-زين العابدين- ثم محمد بن علي الذي عرف بالباقر، ثم أبنـه جعفـر بـن محمـد الـذي عرف بالصادق^(٣).

(١) إسحاق رباح، مرجع سابق، ص١٧١
 (٢) المؤلف
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨١، الحمادي، أبي عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل،
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨٩، الحمادي، أبي عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل،
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨٩، الحمادي، أبي عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل،
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨٩، الحمادي، أبي عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل،
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨٩، الحمادي، أبي عبدالله عمد بن مالك بن أبي القبائل،
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨٩، الحمادي، أبي عبدالله عمد بن مالك بن أبي القبائل،
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨٩، الحمادي، أبي عبدالله عمد بن مالك بن أبي القبائل،
 (٣) النوبختي وسعد القمي، فرق الشيعة، مصدر سابق، ص٨٩، الحمادي، أبي عبدالله عمد بن مالك بن أبي القبائل،

تعد الإسماعيلية حركة سياسية اجتماعية قامت على نظرية دينية فلسفية. وهي تنسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر المصادق^(١). فبعد موت جعفر المصادق عمام ١٤٨هـ/ ٢٦٥م وهو الأمام السادس لدى طائفة الإمامية التي انقسمت إلى طائفتين: الاثناعشرية، وهي ليست موضوع بحثنا هنا.

أما الإمامية الإسماعيلية فقد نادى أنصارها بإمامة إسماعيل بعد أبية جعفر الصادق نصاً عليه باعتباره أكبر أبنائه، واختلفوا في وفاته في حياة أبيه، فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من الخلفاء العباسيين، بينما قال فريق آخر أن الموت صحيح، ولكن النص لا يرجع القهقرى، وأن الفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم^(٢).

ومع نهاية القرن التاسع للميلاد، كان قد تم للحركة الإسماعيلية السيطرة على مسارات التفكير الإسلامي، وضمت في صفوفها الطبقات المناهضة للخلافة العباسية من عرب وفرس وبربر، ونجحت في دفعهم للمعارضة وطرحت أمامهم مهمة إسقاط الخلافة العباسية، حينما بدت قبل ذلك كتنظيم سري يعتمد على الدعاة الذين انتشروا في العالم الإسلامي، وخاصة أطرافه البعيدة كاليمن وبلاد المغرب العربي وكان لقرار توجه الإمام الإسماعيلي الفاطمي^(٣). الكبير، مبشرين بالمذهب الإسماعيلي الفاطمي^(٣). وكان لقرار توجه الإمام الإسماعيلي (المهدي) من السلمية في حمص إلى بلاد "فيروز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهمي السفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل مقرار المهم مهمة السفر نورز" الذي ذهب إلى اليمن. ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل مقرار المهدي بالسفر نورز عليم من من السيطرة على القروان عاصمة دولة الأغالبة التي كانت تتبع للدولة العباسية ^(٤).

(١) هايل الدهيسات، الحركة الإسماعيلية والقرمطية في اليمن، رسالة ماجستير، ٢٠٠١م، ص٤٠ (٢) الحسن بن موسى النوبختي و سعد القمـي، فـرق الـشيعة، حققـه الـدكتور عبـد المـنعم الحفـني، ط١، دار الرشـاد ١٩٩٢م، ص٧٨

Bernard Lewis, The Origins of Isma'ilism (A study of the historical background of the Fatimid Caliphate), W, Heffer & Sons Ltd, , Cambridge, England, 1940, P, 40

۳) سهيل زكار، الجامع في أخبار القرامطة، ج١، ط٣، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م، ص٧٥-٦٦ (4) De Lacy O'Leary, D, D, A Short History of the Fatimid Caliphate, Kegan Paul, Trench, Trubner & Co, , Litd, New York: E, P, Dutton & Co, London, 1923 Pp, 62-68

ليتخذ منه مقراً لحكمه، مما أدى إلى انتهاء دور "الأئمة المستورين" في المذهب الإسماعيلي، وبدء ظهور دور الكشف، دور تأسيس دولة جديدة على حساب ممتلكات الخلافة العباسية في بلاد المغرب ثم في مصر وبلاد الشام. وسُميت دولتهم بالخلافة الفاطمية (نسبة إلى فاطمة الزهراء)⁽¹⁾.

ففي عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م زحفت القوات الفاطمية إلى مصر فاحتلتها، ثم دان لها القسم الأكبر من بلاد الشام. ففي مصر شيدت الدولة الفاطمية القاهرة كعاصمة، ودار دعوة على المذهب الإسماعيلي هي الأزهر (جامع وجامعة)^(٢)، واستمر الحكم الفاطمي في القاهرة حتى سقوطها على يـد صـلاح الـدين الأيـوبي عـام ٣٥هـ/ ١١٧١م لتعود مصر إلى حاضرة الدولة العباسية^(٣).

الصراع على بلاد الشام

كان ما وقع من أحداث في بلاد الشام في تلك الفترة نتيجة للوضع السياسي المتدهور والناجم عن ضعف الحكم الإخشيدي – العباسي في الشام ومصر والحكم الحمداني في حلب في أواسط القرن العاشر الميلادي، ثم انهيارهما بعد فترة وجيزة أعقبهما فراغ سياسي في بلاد الشام، الأمر الذي شجع القوى المختلفة المحيطة به والطامعة فيه من عباسية وفاطمية وقرمطية وفرنجة وغيرهم، على أن تتنافس عليه كمنطقة حيوية ومجال نفوذ وتوسع^(٤).

فدعت المضرورات العسكرية والسياسية، والموارد الاقتصادية والأهداف العقائدية الفاطميين للتوجه إلى بلاد الشام بما فيها القدس، وضمها إلى خلافتهم في القاهرة الهادفة إلى القضاء على الخلافة العباسية، ومن ثم حماية حدود دولتهم من الخطر البيزنطي والأطماع القرمطية⁽⁰⁾.

وبدأ التوجه الفاطمي لـبلاد الـشام بعـد الاسـتيلاء علـى مـصر مباشـرة بحملـة عسكرية قادها جعفر بن فلاح في أواخـر عـام ٣٥٩هــ/ ٩٦٩م، وفي أول لقـاء تمكـن جعفر بن فلاح من السيطرة على مدينة الرملة ثم المدن الفلسطينية بما فيها القدس بعد

- (1) Asghar Ali Engineer The Bohras, Central Board of Dowoodi Bohra Community, Mumbai- 400 055, Revised Edition, 1993, P, 66-68
- (2) Op, Cit, A Short history of the Fatimimid Caliphate, Pp, 101-102
- (3) Bernard Lewis The Assassins (A Radical Sect in Islam), Cox &Wyman Ltd, London, 1967, P35.

أن هزم الحسين الإخشيدي في الرملة ثم اتجه إلى دمشق، وسيطر عليهـا بعـد مقاومـة شديدة من جيش الدولة الحمدانية^(۱).

وفي المحرم من ٣٥٩هـ قطعت من دمشق الخطبة للعباسيين، وقد تخوف أهل دمشق وبخاصة التجار والملاكين الذين أحرقت متاجرهم وأملاكهم، فظهرت قوة شعبية استغلت التعسف الفاطمي وحملت لواء المعارضة ضد حكام القاهرة^(٢). وعندما تدخل الشريف العقيقي وغيره في الصلح، تلقاهم جعفر بن فلاح الفاطمي بالتهديد مجرق دمشق وفرض عليهم جباية أموال ضخمة كانت سبب في فقر المنطقة لفترة طويلة^(٣). ومن المكن أن نرصد بعضاً من عوامل عدم الاستقرار في بلاد الشام في ذلك الوقت:

- ١. كانت فلسطين ساحة للصراع بين الفاطميين والقوى المناهضة لهم، ذلك أن موقع فلسطين يشكل خط دفاع للدولة الفاطمية لا يمكنهم التخلي عنه لما في ذلك من تهديد مباشر لوجودهم في القاهرة. في حين كانت القوى المناهضة للفاطمين ترى في فلسطين الجسر المؤدي إلى مصر، وهكذا دفعت فلسطين ثمناً باهظاً لصراع القوى⁽³⁾.
 ٢. ظهور قوى محلية بدوية نشطت من خلال تحرك القبائل العربية في شمال بلاد الشام وجنوبه، سُميت بر (الأحداث)، وهي مليشيات شعبية وقفت موقفاً عدائياً من من القوى المتاهوى المعادي الشام وجنوبه، سُميت بر (الأحداث)، وهي مليشيات شعبية وقفت موقفاً عدائياً من القوى المعتدية والطامعة في المنطقة لاسيما في وجه الفاطمين⁽⁰⁾.
 ٣. تمت السيطرة على بلاد الشام بالقوة وبطريقة عنيفة من قبل قوات جعفر بن من الخرى وسوء إدارة الحكام الفاطمين وما لاقته مدن الشام من الظلم وقسوة الحكام الفاطمين وما لاقته مدن الشام من الظلم وقسوة الحكام الفاطمين من المناطق العادية للشيعة تاريخيا⁽¹⁾.
- (١) تنتسب الدولة الحمدانية في حلب إل سيف الدولة الحمداني الذي سيطر عليها سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م، وبدأ حكمه بإقامة الخطبة للمستكفي العباسي ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه، وفي حلب اقدم سيف على عزل قاضيها "أحد بن ماثل" وولى أبا الحصين " علي بن عبدالله بن بدر بن الهيئم الرقي" واشتهر هذا الأخير بالظلم فإذا مات أحد من الناس كان يأخذ تركته ويعطيها لسيف الدولة ويقول: " كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك، وعلى أبي حصين الدرك، وعلى أبي عن عبدالله بن بدر بن الهيئم الرقي" واشتهر هذا الأخير بالظلم فإذا مات أحد من الناس كان يأخذ تركته ويعطيها لسيف الدولة ويقول: " كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك، وعلى أبي حصين الدرك"، طمع سيف في دمشق ودخلها في رمضان من العام نفسه، انظر محمد احد الزيود، دول بلاد الشام ومصر في الدرك"، طمع سيف في دمشق ودخلها في رمضان من العام نفسه، انظر محمد احد الزيود، دول بلاد الشام ومصر في الدرك"، طمع سيف إلى منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤م، ص٥٥–٦٩ و٩٢
- (٢) شاكر مصطفى، آلحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفاطمي: مقال مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العددان الثالث والرابع، حزيران عام ١٩٧٣م،
- (٣) المقريزي، تقي الدين احمد بن علّي، اتعاظ الحنفًا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف، ج١، نـشر الـشيال، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١٢٥
 - (٤) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٢٨
 - ٥) المقريزي، المصدر نفسه، ص١٢٥ ، ابن الأثير، ج٨، مصدر سابق، ص، ٥٩٢، ابن القلانسي، مصدر سابق، ص٨و٩ ٦) محمد أحمد زيود، مرجع سابق، ص٩٣-٩٩

٤. كان ظهور قوة الأحداث في الشام ضد الحكم الفاطمي بزعامة الشريف ابـن أبـي يعلي الذي بادر بقطع الخطبة للخليفة المعز الفاطمي وأعلنها للخليفة المطيع لله العباسي، الأمر الذي دفع بالقائد جعفر بن فلاح إلى التصدي لهم وشتت قواهم (``.

علاقة القرامطة بالإسماعيلية والصراع على فلسطين

ومما يزيد من صعوبة تحديد الإطار التاريخي لفرقة القرامطة هو اختلاط تاريخهما بتاريخ الحركة الإسماعيلية، وذهاب بعض المؤرخين إلى اعتبار الفرقتين حركة ذات نشأة واحدة. وهناك من حاول إثبات أن القرامطة فرع من الإسماعيلية، وهنـاك مـن ينفي هذه العلاقة. وراح آخرون يبحثون عن منشأ هذه الكلمة وأتـوا بـالرأي والـرأي الآخر لتفسير هذا اللقب^(٢).

ومن المرجح أن الفرقة كانت قد سميت بهذا الاسم نسبة إلى لقب حمدان بن الأشعت (قرمط)، داعي دعاة المذهب الإسماعيلي في العراق، الذي مهد الطريق وأرسل الدعاة إلى البحرين ليتم تأسيس دولة القرامطة في البحرين عام ٢٨٦هـ على يد أبي سعيد الجنابي، وذلك في مرحلة مبكرة من نشر الدعوة الإسماعيلية في العالم الإسلامي". ولم يتفق رأي المؤرخين القدماء والمحدثون على تحديد معنى كلمة القرامطة. فلـدى العودة إلى المصادر الإسماعيلية، نجدها تنظر إلى القرامطة نظرة فئة تمردت على قياداتهما في حين تزودنا مصادر الفرق بمعلومات واضحة، بالرغم من كونها ضئيلة وليست كافية لرسم صورة كاملة لعلاقة القرامطة بالإسماعيلية، تلك العلاقة المهمة في التاريخ السياسي والعقائدي في الإسلام. فالنوبختي (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) وسعد

الإسماعيلية، وهذا ما نجده في كتاب "سيرة الحاجب جعفر" و "استتار الإمام" وكذلك في الرسالة التي وجهها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى الحسن الأعصم زعيم القرامطة (٢). القُمي (ت٢٠١هـ/ ٩١٣م)، وهما من أقدم من كتب في الفرق والعقائد متفقان على

- (١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، مصدر سابق، ص٢٦٦، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنـشر، القـاهرة، د، ت ج٤، ص٢٢ (٢) هايل الدهيسات، رسالة ماجستير، مرجع سابق، المقدمة (٣) الجامع في أخبار القرامطة، ج١، مرجع سابق، ص١٠٩–١٥٧، حول تاريخ تاسيس دولة قرامطة البحرين، راجع ميكالٌ يان دي خويه ، القرآمطة، نشأتَهم، دولتهم، وعلاقاتهم بالفاطميين، ط١، ترجمة وتحقيق حسني زينة، دار ابو خلدون، بیروت ۱۹۷۸م، ص٤٢ (٤) الجامع في أخبار القرامطة، ج١، المرجع نفسه، ص١٠٩

أن القرامطة فرقة تشعبت عن الإسماعيلية ونادت بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد الملقب بالصادق(⁽⁾.

وقد حظي التأريخ للحركة القرمطية ولعلاقاتها بمؤسسي المذهب الإسماعيلي والخلافة الفاطمية بعناية المستشرقين المبكرة. فبدأوا دراساتهم منذ أواسط القرن التاسع عشر للميلاد. وأول دراسة دقيقة تمت على يد المستشرق الهولندي (ميكال يان دي خويه) Michael Jan De Goeje عندما نشر في عام ١٨٦٢م رسالة عن قرامطة البحرين الذي حاول أثبات كون القرامطة والفاطميين فرقة واحدة^(٢).

ولازال ظهور القرامطة ومدى علاقتهم بالمدعوة الإسماعيلية مشار للجدل. فالمؤرخون المسلمون في العصور الوسطى لا يقفون موقف واضح من هذا الموضوع كمحمد بن جريرالطبري^(٣). ومعظم الباحثين في العصر الحديث يقرروا أن القرامطة جزء من الإسماعيلية وتربطهم علاقات عقائدية. في حين أشار قلة منهم إلى ان القرامطة تنظيم قائم ومستقل عنها^(١).

فمن بين مراكز القوى التي رأت في السيطرة الفاطمية على بلاد الشام تهديداً لها، هي قوة القرامطة، فقد حرمتهم السيطرة الفاطمية من الأموال التي كانت تدفع لهم من قبل الإخشيديين (ثلاثمائة ألف دينار)⁽⁰⁾.

ولهذ فقد تطلع الدمشقيون للخلاص واتجهوا إلى القرامطة الـذين لبـوا نـداءهم مدفوعين وراء مصالحهم الشخصية، وجرت معركة بين الطرفين كانـت نتيجتهـا قتـل القائد الفـاطمي جعفـر بـن فـلاح على يـد الحـسن بـن أحمـد القرمطـي (الأعـصم) وتعرضت دمشق للأذى الكبير حيث قطعت الطرقات، وأغلقـت الأسـواق واحترق بعضها، وقطع الماء عن المدينة، ومات كثير من الناس جوعاً وعطشاً⁽¹⁾.

كانت روح العصر في ذلك الوقت قد سيطرت على الاتجاه العام لسياسة الدول وكان القانون الأساسي الذي تحكم في القوى السياسية الشيعية كالبويهيين والقرامطة،

(١) النوبختي وسعد القمي، مصدر سابق، ص٧٨.
 (٢) أنظر ميكال يان دي خويه ، القرامطة، مرجع سابق
 (٣) برنارد لويس، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، راجعه خليل أحمد خليل، ط١، دار الحداثة، دمشق
 (٣) برنارد لويس، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، راجعه خليل أحمد خليل، ط١، دار الحداثة، دمشق
 (٤) الجامع في أخبار القرامطة، ج١، مرجع سابق، ص١٩٩
 (٩) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٩
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٩
 (٣) بابن القلانسي، مصدر سابق، ص١٩٩
 (٩) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٩

وغلبة هذا الاتجاه السياسي على الولاء المذهبي وفرضه بصورة واقعية على العلاقات يين القوى().

وكانت المصالح الخاصة وراء مواقفها وعلاقاتها بعضها ببعض ولهذا لا نستغرب الموقف العدائي ضد الفاطميين. فرأى زعيم القرامطة في الـشام أن الدولـة الفاطمية تتدخل في شؤونهم، وتسعى لأن تكون دولتهم تابعة للخلافة الفاطمية في القاهرة، الأمر الذي دفع الحسن الأعصم يتناسى الخلافات المذهبية مع بني العبـاس في بغـداد، وسعى للتحالف معهم ضد الفـاطميين الـذين يجمعهـم مـذهب واحـد هـو المـذهب الإسماعيلي – القرمطي (٢).

وكان الحسن قد استغل الفوضى التي سادت دمشق في أواخر عهد الخليفة المعـز وضعف الحكم الفاطمي فيها، فحصل الحسن هذا على دعم من ولاة الدولة العباسية (فريق من الأتراك بزعامة البتكين) مما دفعه إلى توجيه حملة عسكرية على بـلاد الـشام نجحت في السيطرة على دمشق سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م (٣)

وأخرجت واليها الفاطمي، وأمر بذكر اسم الخليفة العباسي بالخطبة بـدلاً مـن المعز لدين الله الفاطمي. ولم يكتف البتكين بذلك فتطاول على منـاطق في بـلاد الـشام واحتل صيدا، وعكا، وطبرية، وطرد منها القوات الفاطمية(؛)، الأمر الـذي دفـع الخليفة العزيز أن يخرج على رأس جيش من القاهرة إلى بـلاد الـشام، وجعـل على مقدمته جوهر الصقلي. وعلى أرض فلسطين وفي منطقة الرملة التقى الجيش الفاطمي والشامي وجهاً لوجه عام ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م(). ففى ساحة المعركة أعجب الخليفة الفاطمي بشجاعة خمصمه البتكين، وراسله يدعوه لطاعته ولم يستجب، ولكن المعركة حسمت لـصالح الجـيش الفـاطمي، فوقـع

- (١) ابن خلدون، العبر في ديوان المبتدأ والخبر، ج٤، ص٤٨–٩٠، المقريزي، اتعاظ ج١، ص١٧٨–١٧٩، ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ص٥٩و٥٩ و٧٤
- (٢) تقي الدين احمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثـار، القـاهرة ١٩٠٨، ج١، ص٩، علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٢٩
- (٣) البتكين هو أبو منصور التركي الشرابي وورد اسمه أفتكين، أتكين أو هفـتكين، حيـث بـدأ عهـده في خدمـة معـز الدولة أحمد بن بوية، وما زالٌ يترقى في المناصب حتى تولى قيادة جند الأتراك في بغداد عز الدولة بختيار أمير بـنى بويه بالعراق ٣٥٦–٣٦٧هـ، المقريزي، الخطط، ج١، ص٩، راجع علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٢٩
- (٤) ابن القلانسي، ذيل، ص١٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، دار صادر بيروت، ١٩٧٩م، ص٢١٨، ج٨، ص٧٥٧
- (٥) ابن العديم، كمال الدين عمر، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج١، دمشق ١٩٥٨م، ص١٦٣و١٦٩٩ ابن الأثير، الكامل، ج٨، مصدر سابق، ص٦٠٣، أبو المحاسن، النجوم، مصدر سابق، ج٤، ص٥٥

البتكين أسيراً، فعفا عنه العزيز. وأما القائد الثاني الحسن بن أحمد القرمطي فقد لحقت به الهزيمة، وسار إلى طبريا ثم رحل إلى الإحساء مع أتباعـه علـى أن يـدفع لـه العزيـز الفاطمي تعويضاً مالياً كل سنة قدره عـشرون ألـف دينـار لقـاء الابتعـاد عـن الـشام والاعتراف بنفوذ الفاطميين^(۱).

دور قبائل آل الجراح في صراع القوى على فلسطين

كان الاهتمام الفاطمي في بلاد الشام كبيراً، وظهر ذلك واضحاً في كثرة الجيوش وإنفاق الأموال من أجل السيطرة عليها^(٢)، ومع ذلك كانت سيطرتهم على بلاد الشام مضطربة وأدى ضعف الحكم الفاطمي وولاتهم في الـشام إلى تطلع القبائل العربية إليها وطمع رؤساء هذه القبائل للسيطرة عليها وحكمها. ففي فلسطين قام بنو طييء فيها وثاروا بالرملة سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م بقيادة زعيمهم مفرّج بن دغفل بن الجراح، فجهز الفاطميون حملة بقيادة جيش بن الصمصامة فسار إلى الرملة وطارد مفرج وقواته وألزمه بطلب الأمان والخضوع، وهدأت الأحوال إلى حين^(٣).

ففي سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م، اتفق آل الجراح مع الوزير الفاطمي حسن بـن علـي بن المغربي الفار من سلطة الخليفة الحاكم بأمر الله في القـاهرة ونقمتـه، وأقـدم هـؤلاء على استدعاء أبي الفتوح (الحسن بن جعفر الحسني أمير مكـة) إلى فلـسطين وبـايعوه وتلقب "بالراشد بالله" وكان ذلك نحو سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م.

ففي الرملة استقبله حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجوه العرب، وأقيمت له الخطبة في معظم بلاد الشام، وسيطر آل الجراح على جنوب بلاد المشام وهذا ما لم يسمح به الفاطميون، ولهذا أقدموا على شراء بني طييء وأغروهم بالأموال واستمالوا حسان وأبنه مفرج وغيرهم من بني طييء، مقابل تخليهم عن مساندة الحسن بن جعفر الحسني الذي عاد إلى مكة سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م، حيث دان بالطاعة للخليفة الفاطمي الحاكم ونقش اسمه على السكة.⁽³⁾

(١) المصادر نفسها
 (٢) ابن القلانسي، ذيل، مصدر سابق، ص٤٦ وما بعدها
 (٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من (٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من (٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من زوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، دون تاريخ، ج٤، ص١٥ من دون تاريخ، ج٤، ص١٥) الموان المريزي، خطط، ج٢، ص١٥٧ و١٧ من المريزي، مصدر سابق، ج٩، ص١٤
 (٤) المصادر نفسها، وراجع محمد أحمد زيود، مرجع سابق، ص٩٩

وفي سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م جهز الحاكم الفاطمي حملة عسكرية إلى بـلاد الـشام وصلت الرملة وهزمت حسان بن مفرج وقومه الطائيين ونهبوا أموالهم، ثـم توجهـت الحملة إلى دمشق، وتم تثبيت الحكم الفاطمي فيها.

ضعف شأن آل الجراح في فلسطين في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي حتى عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١ –٤٢٧هـ/ ١٠٢١ –١٠٣٦م، حيث أقدم حسان بن مفرج على استرداد نفوذه في فلسطين والاستقلال فيها، ولهذا عقد اتفاقاً سنة ١٥ هـ ١٠٢٤م مع صالح بن مرداس أمير بني كلاب، وسنان بن عليان أمير الكلبيين وتعاهدوا فيما بينهم على إخراج الفاطميين من الشام وتقسيمها إلى ثلاث مناطق: ١. من حلب إلى عانة على نهر الفرات لصالح بن مرداس.

۲. دمشق وما بجوارها لسنان بن عليان وجماعته.

٣. فلسطين من الرملة إلى حدود مصر لحسان أمير الطائيين()

وهكذا بقيت علاقة آل الجراح متذبذبة مع الفاطميين حتى سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، حيث لا تعود المصادر التاريخية تذكر أحداث مهمة متعلقة بدور آل الجـراح الأمـر الـذي يوحي أنهم أصبحوا تابعين للدولة الفاطمية في القاهرة، وقد عبر أحد سكان فلـسطين في

تلك الحقبة الزمنية هو أبو بكر الرملي النابلسي عن مدى الكراهية للفاطميين بقوله:" لو كان معي عشرةُ أسهم لرميتُ تسعةُ في الفاطميين وواحداً في الروم". ^(٢). أما رعاية الخلفاء الفاطميين للقدس، فيكفي أن نذكر ما أظهره حكام الفاطميين من اهتمام بالمسجد الأقصى وعمارته، فبعد أن وقع زلزال كبير سنة ٢٤هـ، تهـدم بسببه المسجد الأقصى، فأوعز الخليفة الفاطمي^(٣)، بإعادة بناء المسجد سنة ٢٢هـ، ولا يزال قسم من بنائه قائماً^(٤).

ومن خلال كتابات اليومية، يحدثنا الرحالة والشاعر الفارسي ناصر خسرو صاحب "سفر نامة" الذي زار القدس في القرن الخامس الهجري، وتحديداً نحو ١٠٤٧م عن قناديل من فضة كان قد أمر الخليفة الفاطمي بصنعها، لتعلق فوق الصخرة^(ه). ثـم

(١) محمد أحمد زيود، المرجع نفسه، ص٧٨ وما بعدها.
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٩٢ و١٣١
 (٣) بما أن الخليفة الذي أمر باعادة بناء ماتهدم من المسجد سنة ٤٢٦هـ، اذن المقصود به هنا الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الذي كان حكمه فيما بين (٤١ – ٤٢٩هـ/ ١٠٣٠م)،
 (٤) محمود ابراهيم، فضائل بيت المقدس، مرجع سابق، ص٦٢
 (٤) محمود ابراهيم، فضائل بيت المقدس، مرجع سابق، ص٢٢
 (٤) عمود ابراهيم، فضائل بيت المقدس، من المسجد منة ٢٦

يحدثنا خسرو عن شمعة هائلة في المصخرة، يرسلها الخليفة الفاطمي من القاهرة، ويكتب عليها اسمه بالذهب. ويروي لنا خسرو أن الأمير ليث الدولة، أبا منصور، أوشتيكن الغوري، الذي كان حاكماً على بلاد الشام، أقام إيواناً في المسجد الأقصى وذلك بأمر من الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي⁽¹⁾.

القدس في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي

لما تـوفي الخليفة الفـاطمي العزيـز بـالله سـنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م وهـو في الرابعة والأربعين من عمره، ويعتبر عهده عهد يسر وتسامح ديني وثقافي، وهو أول من حوّل جامع الأزهر من إلى جامعة بمعناها اليوم، بعد أن كـان معهـداً خاصـاً بدراسـة الفقـه الشيعي وإقامة الصلاة^(٢). وقد نهج العزيـز سياسـة حسنة تجـاه سكان مدينـة بيت المقدس من النصارى. وليس من شك في أنه أقدم على هذا بفـضل وزيـره النـصراني عيسى بن نسطور، وبتأثير زوجته أيضاً المسيحية^(٣).

ثم خلفه ولده المنصور أبو علي الملقب بالحاكم بأمر الله، الذي بويع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أبوه، وذلك في رمضان سنة ٣٨٦هه، وله إحدى عشرة سنة ونصف، وتولى الوصاية عليه أستاذه ومربيه برجوان الخادم. ففي المرحلة الثانية من عهده، أي بعد سنة ٣٩٠هه، اظهر الخليفة الحاكم تعصباً شديداً للمذهب الإسماعيلي-الفاطمي، وبذلك اضطهد أهل الذمة من ناحية والمسلمين من غير الشيعيين من ناحية أخرى^(٤).

ففي سنة ٣٩٨هـ أمر الخليفة الحاكم بهدم بعض الكنائس، وبيع ما فيها من الأواني المقدسة في الأسواق^(٥). وقد ذكرت المصادر أن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي أصدر أمره بهدم كنيسة القيامة إلى والي الرملة بارختكين الذي قام بتنفيذ الأمر بهدم الكنيسة سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م، الأمر الذي أدى إلى هجرة بعض نصارى بيت المقدس إلى بلاد الروم جراء سياسة التشدد والمضايقة ضدهم سواء أكانت من

(١) المصدر نفسه
 (٢) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسورية، وبـلاد العـرب، الطبعـة الثانيـة، مكتبـة النهضة المصرية، ٨٩٨، ص١٥٦
 (٣) إسحاق رباح، مرجع سابق، ص١٧٨ و١٧٩
 (٣) إسحاق رباح، مرجع سابق، ص١٧٨ و١٧٩
 (٤) حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص١٦٤
 (٤) حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص١٩٩
 (٢) حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية بي المغرب، ومصر، ومصر، وسورية، وبـلاد العـرب، الطبعـة الثانيـة، مكتبـة النهضة المصرية، ١٩٥٨، ص١٩٦

الخليفة الحاكم بأمر الله نفسه أو ما جـاء مـن بعـض حكـام القـدس. فمنهـا مـا جـاء انعكاساً للعلاقات الفاطمية مع الدولة البيزنطية^(١).

فبعد سنة ٤٠١ وحتى سنة ٤١١ه، اتسمت سياسة الحاكم بأمر الله بالعنف والشدة مع مكونات المجتمع الفاطمي من أهل السنة وفئة المغاربة الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم في تونس ثم في مصر، وطبقة أهل الذمة من نصارى ويهود، وطبقة الأتراك وفئة السودانيين، وذلك على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، كما كان عهده يمتاز بشيء من التذبذب والاضطراب، على إن سياسته هذه ساعدت على إقرار الأمن والمحافظة على الآداب العامة، وقضت على الفوضى التي كانت سائدة في أوائل حكمه^(۲).

رأي على سياسة الحاكم بأمر الله الفاطمي إن ما ترويه لنا المصادر التاريخية عن عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي (٦٦٩–١٠٢١م)، تبين أن فترة حكمه اتسمت بالجموح، وأن ذلك الضرر الذي نشأ عن سلوكه الشخصي، قد شمل كافة شرائح المجتمع الفاطمي، من مسلمين ومسيحيي ويهود، بل أن الضرر قد وصل إلى أقرب الناس منه، من خاصته ورجال بلاطه، بل من أبناء أسرته، الأمر الذي أدى إلى اختفاءه، عام ٤٦١هـ / ١٠٢١م^(٣).

ففي رواية أخرى قيل إن أخت الحاكم "ست الملك" كانت قـد أسـهمت في قتلـه مع سيف الدولة بن دواس أحد شيوخ كتامة وذلـك عنـد خروجـه إلى جبـل المقطـم، وبعد موته تولت ست الملك هذه مقاليد الحكم مؤقتاً، ثم نادت بابنه علي أبي الحـسن الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ –٤٢٧ هـ) خليفة من بعده^(٤).

فمن الصعب على المرء أن يربط بين اضطهاد وتشدد مؤقت على يد الحاكم بأمر الله وبين المصادر التاريخية نفسها التي تحدثنا عن تسامح لا مثيل له في عهـد الدولـة الفاطمية تجاه الطبقة الثالثة من مكونات المجتمع من نصارى ويهود. وقد دفعت رغبة كثير مـنهم في الحصول على الهبات والمناصب العليا إلى اعتناق المذهب الإسماعيلي لأغراض مادية.^(٥)

علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٣٢
 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٣، د، ت، ص١٥٣، حول طبقات المجتمع الفاطمي، راجع حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص١٢٥-٦٢٦
 عمود إبراهيم، فضائل بيت المقدس، مرجع سابق، ص١٣٦
 عمود إبراهيم، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٦ و١٨٧
 أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٢ و١٨٧
 أنظر فيما سبق

وإن من يستقصي تاريخ الوزارة في عهد الحاكم يرى أن كثيرا من الوزراء كانوا من أهل الذمة، ولا يستقرون في الوزارة طويلاً، وذلك لمحاباتهم أبناء جلدتهم وتـذمر المسلمين منهم. ففي المحرم سنة ٤٠١هـ أقيل آب عبدون النصراني من الوزارة، وخلفه أحمد محمد القشيري، ولكنه عزل بعد عشرة أيام، ثم قتل وحل محله في الوزارة زُرعة أخو عيسى بن نسطورس وتلقب بالشافي^(۱).

وقد نهج الفاطميون في تعاملهم مع النصارى واليهود معاملة تنطوي على العطف والرعاية، فتقلدوا أرقى المناصب في عهد الخليفة العزيز، وشغلوا في عهد الخليفة المستنصر ومن جاء من بعده من الخلفاء معظم المناصب المالية في الدولة، وتقلدوا الوزارة أيضا، ك يعقوب بن كلس وهو يهودي الأصل كان قد ولد في بغداد. ففي سنة ٣٥٦هـ أعتنق الإسلام فذهب إلى تونس وحظي برعاية الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ثم جاء معه إلى مصر، وأكتسب مكانة رفيعة لدى الخليفة العزيز في القاهرة، وتقلد الوزارة في عهده^(٢).

وعندما أورد صاحب تاريخ مصر أسماء من تقلدوا الوزارة في عهد الخليفة المستنصر (٤٢٧هـ/ ٤٨٧م) ذكر عدة وزراء من غير المسلمين؛ ومن هؤلاء الوزراء أبو علي الحسن بن أبي سعيد ابن سهل التُستري، وأصله يهودي ثم أسلم، وكذلك أبي منصور بن أبي اليُمن بن مهراوة بن زنبور وكان نصرانياً أتخذ الإسلام ديناً، وذكر أن النصاري قد أنكروا إسلامه^(٢).

وقامت الدولة الفاطمية بتقليد وزراء على المذهب السني مثال ذلك القائد صلاح الدين الأيوبي الذي تقلد الوزارة في العهد الفاطمي عام ٩٦٩م، حيث أصبح وزيراً للفاطميين ونائباً للملك نور الدين زنكي في دمشق. ولم يكن صلاح الـدين أول وزير سني لدى الفاطميين، بل سبقه في المنصب الوزير رضوان بـن وَلَحْشي، الـذي تـولى منصب الوزارة سنة ٥٣١ه هـ/ ١١٣٧م^(٤). ومع ذلك فلم تكن سياسة الخليفة الحاكم بأمر الله المتشددة هي القاعـدة الثابتـة،

 (١) حسن إيراهيم حسن، المرجع سابق، ص٢٧٣ نقـلاً عـن يحيى بـن سـعد، صـلة تـاريخ أوتيخا، مـصدر سـابق، ص١٩٩-١٩٩
 (٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص٢٧٩و٢٧٩
 (٣) ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب، تاريخ مصر، طبعة هنـري ماسيه، القـاهرة ١٩١٩م، ص٣٣، ابـن
 (٣) ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب، تاريخ مصر، طبعة هنـري ماسيه، القـاهرة ١٩٩٩م، ص٣٣، ابـن
 (٣) ابن ميسر، من الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي، ويسمى أيضاً الصيرفي المصري، الإشـارة إلى مـن نـال الـوزارة،
 (٣) ابن منقذ، أسامة كتاب الاعتبار أو حياة أسامة، باريس، ١٨٨٩م، ص٢٢٩

بل كانت مؤقتة، وسرعان ما تراجع عنها، ففي مدينة القدس سمح للنصارى بإعادة بناء كنيسة القيامة، كما سمح لهم بتلقي المساعدات المالية من أوروبا لترميم أجزاء من السور الذي يحيط بالمدينة. كما وافقت الدولة الفاطمية على شرط الإمبراطورية البيزنطية بتشييد حي خاص للنصارى، عرف بحي البطريرك، حيث تشكل كنيسة القيامة مركزه، وأصبح سكان هذا الحي تحت السلطة الخاصة لبطريرك المدينة⁽¹⁾. كما منحت الدولة الفاطمية للنصارى والحجاج الأوروبيين تسهيلات في مدينة القدس، ومن ذلك قطعة ارض منحتها لتجار المدينة في حي البطريرك جنوبي كنيسة

القيامة، حيث شُيد عليها دير القديسة ماري اللاتينية وديـر الراهبـات (ديـر القديـسة مريم المجدلية ومستشفى القديس يوحنا^(٢).

ففي سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م، أعاد الخليفة الفاطمي الظاهر ترميم المسجد الأقصى، وأسوار المدينة بعد أن كانت قد تضررت جراء زلزلة. وأنشأ الفاطميون مؤسستين مهمتين في مدينة القدس هما البيمارستان (المستشفى) الفاطمي ودار العلم الفاطمية^(٣).

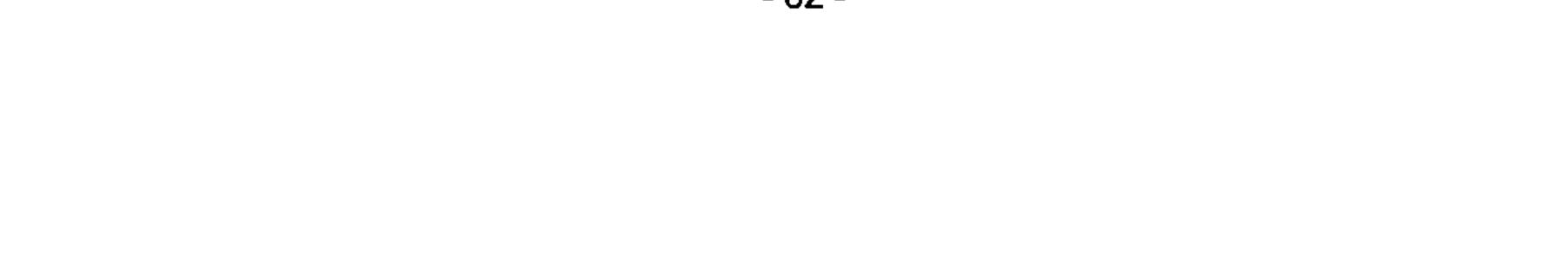
كما أن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (١٠٣٦-١٠٩٤م)، كان قد رمم الواجهة الأمامية للمسجد الأقصى. فهناك نقشان يوثقان ذلك، ويقع الأول في الواجهة الشمالية للعقد الذي يحمل قبة المسجد الأقصى من الـداخل، ما نصه: " بـسم الله الرحمن الرحيم، سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى يعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام إِلَى الْمَسْجِدِ الأقصى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، جدد عمارته مولانا علي أبو الحسن الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين بن الحاكم بأمر الله، عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، على يد أبي محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن، أثابه الله، تولى ذلك الـشريف أو القاسم بن أبي الحسن الخاني في الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى، ما نصه: " وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، أمر بعمل هذا الوجه، مولانا وسيدنا، معد أبي تميم الإ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، أمر بعمل هذا الوجه، مولانا وسيدنا، معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى سلفه وخلف، في الواقية، في الوفيقي ال

> (١) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٣٢ (٢) إسحاق رباح، مرجع سابق، ص٨١ (٣) عزمي عبد محمد عليان، القدس، مرجع سابق، ص١٦٤و ١٦٥ (٤) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٣٣

الأمير الأجل الأعز، علم الملك ناصر الدولة، ذي الفضيلتين^(١)، وجرى ذلك على يـد الفاضل أبي الحسن عبدالرحمن بن علي الأنصاري، المعروف بـالأجوف، سـنة ثمـان وخمسين وأربعمائة"^(٢).

ففي "سفر نامة" وصف لمدينة القدس ومحيطها للرحالة والفيلسوف ناصر خسرو الذي زار القدس في ١٦/٣/٣/١٦م، يصف الحياة في مدينة القدس و أماكنها المقدسة، ما نصه:" ... وفي المدينة صناع كثيرون، لكل جماعة منهم سوق خاص.. وفي بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه الدواء وفيه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف"^(٣)

(١) ذي الفضيلتين: مالك فضيلتي السيف والقلم، أنظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميـة، مرجـع سـابق، ص٢٧٩ (٢) المرجع نفسه (٣) ناصر خسرو، سفر نامة، مصدر سابق، ص٦٧







الفصل الرابع

القدس تحت الاحتلال الصليبي

كنت قد أشرت بشكل موجز، إلى أهم الأوضاع السياسية في بلاد الشام وصراع القوى فيها، ناهيك عن القوى القبلية المحلية التي تمثلت بآل الجراح في فلسطين بشكل خاص. وقد تبين لنا أن بلاد الشام كانت الضحية الكبرى لهذا الصراع، وقـد عانـت فلسطين ومدنها الرئيسية بما فيها القدس سلباً من جراء ذلك.

دوافع الحركة الصليبية في نظر المؤرخين

لقد اختلفت التفسيرات المتعلقة بطبيعة الحروب الصليبية من عصر إلى عصر ومن مؤرخ إلى آخر. فمفكرو العصور الوسطى، في الغرب الأوروبي، اعتبروا الحروب على المشرق الإسلامي حروباً مقدسة وحجاً جماعياً مسلحاً إلى الأماكن "المقدسة"، فيما وراء البحار وذلك "لغفران الخطايا". في حين ذهب مفكرو عصر

النهضة، خلال القرن الثامن عشر، إلى تفسير مضاد لهذه الحروب، عنـدما وصفوها بأنها مجرد انفجار للتعبير عن روح التعصب، التي سادت العصور الوسطى، ونموذج للحماس والغيرة في تلك الحقبة الزمنية^(۱).

غير أن المؤرخ السياسي ينظر إلى الحروب الصليبية على أنها حركة هجرة من الغرب إلى الشرق، وتطلعاً من أوروبا إلى مستعمرات في الشرق أكثر ثراء^(٢)، وبالتالي فهي فرصة مناسبة للأمراء والفرسان الذين فقدوا نصيبهم من النظام الإقطاعي المرتبط بالأرض، وفقد هؤلاء مكانتهم السامية في مجتمعاتهم في أوروبا، فجاءت الحركة الصليبية لتفتح الباب على مصراعيه أمام هؤلاء الأمراء، فلبوا نداء البابوية لتحقيق مجد أكبر وجاه أعظم في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق تعوضهم ما فقدوه بالغرب^(۳).

(١) عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر، القاهرة ١٩٧٢، ص٦ وما بعدها (٢) عادل زيتون، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتاب، دمشق، ١٩٩١، ص٢٢ (٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٤٩، فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين، الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي، دار الشروق، د. ت، ص٥٤

أما المدرسة الحديثة من المؤرخين الاقتصاديين فقد اعتقدت أن هذه الحروب هي مرحلة من مراحل التوسع الأوروبي في المشرق، أي شكل من أشكال الاستعمار في العصور الوسطى، فازدياد عدد سكان أوروبا الغربية بشكل عام وفرنسا بشكل خاص، خلال القرن الحادي عشر الميلادي، دفع هؤلاء المتحمسين إلى البحث عن موارد جديدة للرزق⁽¹⁾.

يعد التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي في الجانب الاقتصادي من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية. وقد عبر البابا في خطابه عن أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لواقع أوروبا في وقته فقال:"... ذلك أن الأرض التي تسكنوها الآن، (أوروبا) والتي تحيط بها البحار... ضيقة على سكانها الكثيرين، وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً... إن أورشليم (القدس) أرض لا نظير لها... بل هي فردوس المباهج"^(٢).

إن النظام الاجتماعي لأي مجموعة بشرية تتكون من أفراد تربطهم علاقات اجتماعية متبادلة أساسها العدالة والتكافل والنظام الأخلاقي للمجتمع الذي يعيشون فيه بحيث يكون بعيدا كل البعد عن نظام العبودية^(٣). في حين ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى نظام العبودية والتمايز الطبقي، فبرزت طبقة رجال الدين بالدرجة الأولى وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان في الطبقة الثانية، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الفئة المغلوب على أمرها، وكان أفرادها يكدحون ليسدوا حاجة الطبقة الأولى والثانية. وقد كان البابا على دراية بأحوال الفلاحين الذين يشكلون الفئة المجتمع، فوعدهم بإلغاء التزاماتهم تجاه أسيادهم، وأغراهم بخيريات الشرق الإسلامي⁽³⁾.

ولما ظهرت الدعوة الصليبية، وجدت هذه الطبقة الكادحة فرصتها للخـلاص من حياة الذل والهوان والعبودية في بلادها^(ه)، وبالتالي يكون الدافع الاجتماعي قـد تجسد كسبب من أسباب الحملات الصليبية على بلادنا. هذا فضلاً عـن التفـسيرات

- (١) عزيز سوريال عطية، مرجع سابق، ص٦ وما بعدها (٢) عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي، أثر الـشرق الإسـلامي في الفكـر الأوروبـي خـلال الحـروب الـصليبية، الريـاض ١٤١٥هـ، ص١٣٨ (٣) معجم علم الاجتماع، ٢٢٢ (٤) محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد، الطبعة الأولى، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٤
- ٥) خاشع المعاضدي وسوادي عبد محمد و دريد عبد القادر نـوري، تـاريخ الـوطن العربـي والغـزو الـصليبي، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٤

- 69 -

العديدة، منها القديمة، ومنها الحديثة، فإنه من المؤكد بان الحركة الصليبية تعتبر نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخ العلاقات بين المشرق والغرب، بل أخطر الحركات الاستعمارية التوسعية الاستيطانية التي قام بها الأوربيون الغربيون في العصور الوسطى، ضد المسلمين في بلاد الشام ومصر تحت ستار الحماسة الدينية لإخفاء طبيعتها الاستعمارية وبواعثها الاقتصادية والسياسية⁽¹⁾.

ويحدد المؤرخين فترة الحروب المصليبية بين سنتي (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م – ٢٩٠هـ/ ١٢٩١م)، أي بين الدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى وبين طرد المصليبين بشكل نهائي من بلاد الشام، عام ١٢٩١م. كما تم تحديد عدد الحملات المصليبية، التي جاءت من الغرب إلى الشرق، بثمان حملات، الأولى والثانية والثالثة والسادسة منها كانت قد اتجهت نحو بلاد الشام، والرابعة كانت مهمتها نحو القسطنطينية في حين نجد الحملة الصليبية الخامسة والسابعة استهدفت مصر، ، والثامنة نحو الشمال

وفضلاً عن ذلك فإن اعتبار الحملات الصليبية ثمان حملات لا يعتمد على دراسة الحركة الصليبية دراسة وافيه؛ لأنه منذ وصول الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٧م، إلى بلاد الشام لم يمر عام واحد دون قدوم جموع صليبية جديدة، حتى أن بعض هذه الجموع فاقت في كثرة أعدادها وأهمية ما حققته من نجاح على أرض الواقع، إذا ما قارناها مع الحملات الصليبية التي نالت أرقام كما أسلفنا^(٣).

الدافع الديني للحملات الصليبية

ظهرت الحركات الصليبية نتيجة الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت في الغرب الأوروبي في القرن الحادي عشر الميلادي، واتخذت من العامل الديني وقوداً لتحقيق أهدافها. وما يلي موجز عن الدافع الديني للحملات الصليبية التي جاءت كردة فعل المسيحية في الغرب تجاه العالم الإسلامي، منذ أن بدأت الدولة الإسلامية بالتوسع خارج الجزيرة العربية على حساب الدولة الرومانية البيزنطية⁽³⁾.

لقد تطورت هذه الحركة على مدى القرون، كحركة إحياء ديني ظهرت في غرب أوروبا في القرن العاشر الميلادي، والتي بلغت الذروة في القرن الحمادي عمشر، وأدت إلى تقوية مركز البابوية، وإثارة الحماسة الدينية في نفوس المجتمع الغربي، الـتي عملت الكنيسة على تصديرها للعالم الإسلامي في المشرق، وكان ذلك باسم تخليص القدس من أيدي المسلمين (١).

كان أوربان الثاني قد تبنى فكرة الدعوة إلى الحروب المصليبية وروج لهما ضد المسلمين وهو من حرض على إرسال الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الـشام، حيث سارع إلى عقد اجتماع في مدينة كليرمنت في فرنسا، حضره أكثر من ثلاثمائة من رجال الكنيسة(٢)، كما حضره أمراء أوروبا وممثلين عن إمبراطور بيزنطة، وكـذلك مندوبون عن المدن الإيطالية. وهكذا أثار أوربان الثاني حماس الحاضرين، فسارع السامعين إلى اتخاذ الصليب شارة لهم (٣).

ففي خطابه الديني كان قد ركز على ما أسماه بالخطر الإسلامي على أوروبا من جهة القسطنطينية، وأن النصارى في المشرق يعانون من بطش وظلم المسلمين، وأن الأديرة والكنائس، أصابها الدمار، فحث السامعين على المبادرة بالتحضير للانتقام من المسلمين (٤). فمن الشعارات المعلنة في تلك الحملة الإعلامية أن حجاج النصارى يتعرضون للاضطهاد والقسوة من قبل المسلمين وهم في طريقهم إلى بيت المقدس لأداء مناسكهم الدينية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نرى في العنف الفردي الذي كان قد تعرض له المسيحيون في المشرق الإسلامي وذلك خلال القرن العاشـر المـيلادي، لا يصح أن يستند إليه كدافع حقيقي للحركات الصليبية على بلادنا؛ لأن المسيحيين تمتعوا ولازالوا بوافر من الحرية الدينية والحضارية في المشرق الإسلامي، فقـد سمـح لهم بتشييد أديرة وكنائس ومرافق أخرى(°). وهكذا أثـر خطـاب الكنيسة في غـرب

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـزءان، القـاهرة ١٩٧١م، ج١، ص٢٠، الجهـاد والتجديـد، مرجـع سابق ص ۸۰ (٢) عبدالله الربيعي، أثر الشرق الإسلامي، مرجع سابق، ص٨١ (٣) السيد الباز العُريني، الشرث الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون، دار النهضة العربية، د، ت ص١٣و١٤ (٤) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، ترجمة محمد بدران، طبع لجنة التأليف والترجمة وانشر ١٩٥٧م، ص١٦ (0) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مرجع سابق، ج١، ص٣٠

- 87 -

أوروبا على الدعوة لهذه الحرب، وترتب على ذلك خروج الناس في حملات صليبية متتالية إلى المشرق الإسلامي ().

تبدل ميزان القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط سقطت الدولة البيزنطية، تحت ضربات السلاجقة، وكان ذلك عـام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م من خلال الانتصار الكبير الذي أنجز على يد الجيش السلجوقي – العباسي، على الدولة البيزنطية في معركة مالاذ كرد (قرب بحيرة وان الحالية في تركيا)، حيث شن ألب أرسلان السلجوقي بحملة عسكرية ضد الدولية البيزنطية، وقاد جيشه نحو جنوب أذربيجان واتجه غربًا لفتح المناطق المطلة على بلاد البيزنطيين، حيث عبر الجيش السلجوقي إلى الأناضول بعد السيطرة على أرمينية، تحديًا للدولة البيزنطية فأصبحت المواجهة العسكرية بين الطرفين أمرًا حتمياً. فباغت جيش السلطان مقدمة الجيش البيزنطي، فأحرز المسلمون انتصارًا كبيراً وأسر القائـد البيزنطي رومانوس. ففداه ألب أرسلان بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. وتعد ملاذكرد نقطة تحول في التاريخ الإسلامي نظراً لأسر الإمبراطور نفسه في أيدي المسلمين، وتعد أكبر تراجع في تاريخ البيزنطيين إذ أصبحت أراضيهم تحت رحمة السلاجقة (٢).

استنجاد الإمبراطور كومنين بالبابا أوريان الثاني ضد السلاجقة بعد وفاة الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع، كمان قمد خلف الكسيوس كومنين، فبعث برسالة إلى البابا أوربان الثاني وإلى كبار رجال الإقطاع سنة ٤٨٧هـ. يدعوهم فيهما لإرسال المساعدات العسكرية لنجدة إخوانهم في الشرق وحمايية القسطنطينية ضد الخطر السلجوقي، لأن بلاد الأناضول تعتبر أكثر أهمية مـن بيـت المقدس عند الدولة البيزنطية (٣).

كان كومنين يرغب في أن يبعث له الغرب بالجند المرتزقة، ولكن البابا أوربان أراد أن تتولى البابوية تقديم المساعدة للمسيحيين في المشرق الإسلامي، وهذا التغيير في الفكر يدفعه لحشد جيشاً كبيراً، لا أن يبعث بجنود مرتزقة تخضع لأهواء الأمراء،

(١) خاشع المعاضيدي وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢ (٢) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع راجع سهيل زكار وأمينة بيطار، تاريخ الدولة العربية في المشرق مـن الـسلاجقة حتى سقوط بغداد، مطبعة جامعة دمشق ١٩٨٩-١٩٩٠م (٣) عليه الجنزوري، الحروب الصليبية، المقدمات السياسية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د، ت، ص٢٥٣

- 88 -

الأمر الذي أدى إلى توتر في العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين، ويعد أوربان الثاني المسئول عن قيام الحركة المصليبية^(١) ضد المسلمين في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م^(٢).

علماً أن جذور الحرب الصليبية تعود إلى ما قبل عام ١٠٩٥م، حيث يشير المؤرخ كارل إردمان إلى أن جذور هذه الحرب تعود إلى فترات سابقة في التاريخ الأوروبي حيث عمل رجال الدين والمفكرون على إلغاء التناقض ما بين مبادئ المسيحية وممارسة الحرب، فأوجدوا مصطلحات الحرب المقدسة والحرب العادلة، الأمر الذي قادهم إلى أن الحرب لا تتعارض مع إرادة الله، بل هي ضرورة لـضمان استمرار الديانة المسيحية وهي بذلك تطبيق لإرادته^(٣).

وقد برز مثل هذا الاتجاه في عهد البابا الإسكندر الثاني (١٠٦١–١٠٧٣م)، الذي أصدر صكوك الغفران لكل من شارك في الحملة التي قادتها الكنيسة في حربها ضد إسبانيا سنة ١٠٦٤م، وتطور الأمر في عهد البابا جريجور السابع (١٠٧٣– ١٠٨٥م) الذي كان قد دعا إلى حرب ضد المسلمين لتخليص قبر المسيح، مستغلاً بذلك النتائج التي أسفرت عنها معركة ملاذ كرد، كما أسلفنا. وهكذا تأسست دعوة أوربان الثاني على إرث أوروبي قديم^(٤).

حملة العامة على المشرق الإسلامي

كما أسلفنا أن البابا أوربان الثاني، كان قد دعا إلى شن الحرب الصليبية ضد المسلمين في مجمع كليرمونت الفرنسي عام ١٠٩٥م^(٥)، فقامت حركة شعبية ارتبطت باسم "بطرس الناسك" الذي بدأ يتجول غرب أوروبا بثيابه الرثة، فقد استجابت له الطبقة العامة بسبب الظروف القاسية التي كانوا يعيشونها، حيث ظهر زعيم آخر من العامة اسمه "والتر" قاد أنصاره عبر هنغاريا ثم أراضي الدولة البيزنطية، وفي الطريق إلى بلاد المشرق الإسلامي اخترقت جموع الطبقة العامة الصليبية بلاد البلقان، حتى بلغوا القسطنطينية سنة ١٠٩٦م^(١).



بدأت الصدامات بين حملة العامة والسلاجقة عندما قرر المصليبيون الزحف باتجاه "نيقية" عاصمة السلاجقة، وتجاوز رينالد النورماني مدينة نيقية ووصل إلى قلعة أكسيريجون السلجوقية واستولى عليها، وقد أثار هذا الأمر حفيظة قلج أرسلان السلجوقي، فضرب جيشه الحصار على القلعة، فقـرر رينالـد الـصليبي أن يستـسلم ففتح أبواب القلعة للسلاجقة. وهكذا فشلت حملتهم التي كانت بمثابة التجربة الأولى في قتال السلاجقة في المشرق الإسلامي().

الحملة الصليبية الأولى (حملة الأمراء)

ما يعنينا هنا أن الغرب الأوروبي والكنيسة الكاثوليكية استفادت كثيراً من هزيمة حملة العامة، وعملت على تجنب سلبيات الهزيمة في حملاتهم الصليبية اللاحقة. في حين أن الطرف الإسلامي لم يستفد من انتصاره في معركة ملاذكرد وحملة العامـة. فقد دفع العالم الإسلامي ثمن ذلك باهظا في الحملـة الـصليبية الأولى علـى المشرق الإسلامي، والتي عرفت باسم حملة الأمراء من فرنسا ونورمانديا. فمن أبرزهم أمراء الفرنسيين: جودفري دي بويون، وشقيقه بلـدوين، وريمونـد. بينمـا نجـد بوهيمنـد، وتانكرد من نورمانديا جنوب ايطاليا^(٢).

كانت مدينة "نيقية" عاصمة السلاجقة، الهدف الأول لحملة الأمراء نظراً للموقع الجغرافي المتميز للمدينة، إذ لو بقيت بأيدي السلاجقة لـشكل ذلـك خطـراً على خطوط مواصلات الجيوش الصليبية مع بلاد الشام. بعد ستة عـشر عامـاً مـن فتح السلاجقة لها^(٣)، سقطت نيقية في أيدي البيزنطيين في رجب ٤٩١هـ/ أيار ١٠٩٧م، بسبب غياب الجيش السلجوقي وانشغاله في حرب مع الدانـشمنديين في طرف إسلامي آخر (٤).

زحفت القوات الصليبية إلى مدينة الرها التي كان معظم سكانها مـن نـصارى الأرمن الخاضعين لحكم السلاجقة، حيث بادر حاكمها "ثـوروس الأرمـني" بـدعوة القائد الصليبي بلدوين لاستلام المدينة عـام ١٠٩٨م وذلـك خوفـاً أن يحتلـها أمـير

(١) محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار النف انس، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص۸۰و۸۱ (٢) على محافظة وآخرون، القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص١٣٨ (٣) تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، مرجع سأبق، ص٨٦ (٤) محمدً مؤنس، الحروب المصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م، ص٧٧و٧٧

- 90 -

الموصل التابع للسلاجقة (). ففي ٢٦ رجب ٤٩٢هـ/ ١٨ حزيران عام ١٠٩٨م، نجحت حملة الأمراء في الاستيلاء على أنطاكية التي كانت تتبع للسلطنة السلجوقية في ذلك الوقت، فسقطت دون أن يصلها مدد إسلامي. بل على العكس نجد أن هزيمة السلاجقة هذه كانت قد أفرحت الدولة الفاطمية في القـاهرة، وذلـك نظـراً للعداء المذهبي والسياسي بين الدولة الفاطمية والسلاجقة البذين كبانوا يحكموا باسم الخلافة العباسية في بغداد. وهكذا سقطت المدن الإسلامية تباعاً ولاسيما معرة النعمان، ثم قرر الصليبيون التوجه نحو بيت المقدس، حيث أصبحت الفرنجـة على مقربة من القدس، وبدأت الإحاطة بها اعتباراً مـن آخـر رجـب ٤٩٢هـ/ ٧ حزيران/ ۱۰۹۹م (۲).

تدابير دفاعية وسقوط القدس بأيدي الصليبيين

وصل الجيش الصليبي إلى مدينة القدس مساء الثلاثاء السابع من حزيـران عـام ١٠٩٩م/ ٤٩٠٢هـ، وبادر بعض نصاري بيت لحم بالطلب منهم بالإسراع في الحضور للمدينة خوفاً من أن يتمكن القائد الفاطمي افتخار الدولة (حاكم القدس) من تقوية أسوارها^(٣).

كان موقع القدس حصينا وسورها متينا، فعسكرت القوات الصليبية في الشمال والشمال الغربي منها تجاه باب الساهرة وباب العمود، وعلى جبل صهيون وهي الجهات الأقل حصانة(٤).

بلغ عدد الحملة الصليبية التي وصلت أسوار القدس نحو أربعين ألفاً، وكـان عدد المقاتلين منهم نحو النصف، وقد انتشر الصليبيون على امتداد بعض أسوارها، حيث وجدت نفسها عاجزة عن تنفيذ حصار كامـل حـول المدينـة بـسبب نقـص في العدة والعدد، وبسبب الصيف الحار، وأسباب أعلاه، قرر قادتهم أن يعدوا لهجوم سريع ومباغت على المدينة(°).

- 91 -

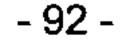
والمسلمون في داخل أسوار القـدس في وضع دفـاعي، ومـدينتهم كانـت مـن أضخم حصون عصرها. فمن الشرق والجنوب الشرقي يلفهما وادي قدرون، ومن الجنوب وادي هنوم أو الربابة، ومن الغرب يلفها وادي الروث، فهي على كل حال محصنة تحصينات طبيعية (١).

ولما علم افتخار الدولة قائد حامية بيت المقدس الفاطمي، باقتراب القوات الصليبية من أسوار المدينة، حتى باشر باتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها نوجزها بما يلي: . تحصين الأسوار

- ٢. تسميم أو طمر آبار المياه الواقعة خارج أسوار المدينة
- ٣. إخراج من يشك بولائهم من نصاري المدينة ما عدا اليهود(٢)
- ٤. اعتمد القائد الفاطمي على حامية المدينة المسلحة تسليحاً جيداً والمؤلفة من المصريين والسودانيين والتي قَدرت بألف مقاتل.
- ٤. تم الاعتماد على السكان المحليين ومتطوعين من المناطق المجاورة من صناع ومهرة لتصنيع الألات الحربية كالمجانيق للدفاع عن المدينة (٣).
- ٥. قدمت المصادر الصليبية وصفاً كيف أن سكان المدينة وجنودها لم يتوقفوا عـن قذف المهاجمين بالمواد المشتعلة والحارقة.
- ٦. الاعتماد على الحراس الذين يراقبون مشهد العمليات العسكرية من على الأسوار والبروج، وينقلوا جميع التفاصيل للمدافعين وقادتهم في الداخل؟).

ويبدوا أن مسرح العمليات كـان مناسـباً لافتخـار الدولـة، خاصـة أنـه ينتظـر مساعدات فاطمية من القاهرة، كما خيل له أن إمكانية الـصمود واردة في ظـل قلـة عدد القوات الصليبية وقلة مواردهم التموينية لبعدهم عن الساحل. إلا أن هـذه الظروف والإمكانيات لم تستغل من قبل الدولة الفاطمية، بل على العكس استغلت صليبياً بالعمل على سرعة مهاجمة المدينة مع انتشار إشاعة أن جيش فاطمياً قد خرج من القاهرة لإنقاذ المدينة (٥).

> (١) المرجع نفسه، ص٥٧ (۲) رئسیمان، مرجع سابق، ج۱، ص۳۹۵ (۳) ياسين سويد، مرجع سابق، ص٥٩ (٤) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص١٤١ (٥) رنسیمان، ج۱، مرجع سابق، ۳۹٦

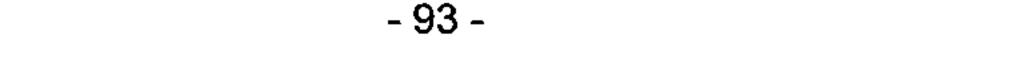


لذلك لجأ القادة الصليبيون لرفع معنويات جندهم، فعمدوا يـوم ٨ تمـوز إلى إعلان الصوم والحج إلى جبل الزيتون، بقيادة بعض رجال الدين والقادة العسكريين، وساروا إلى الجبل المقدس، فألقى كل من القديس بطرس الناسك وريمونـد قسيس وأرنولف روز عظة ألهب بها عواطف الجند والقادة، فنسوا جميعا ما كان بيـنهم مـن مشاحنات ليعملوا يد واحدة (١).

وقد شدد الفرنجة حصارهم للمدينة وتضاعفت هجماتهم للعمل على إنجاز المهمة، فبدأت ساعة الصفر من فجر يـوم ١٣ تمـوز ١٠٩٩م، وبعـد يـومين تمكنـت القـوات الـصليبية مـن دخـول أسـوار القـدس في ١٣ شـعبان ٤٩٢هـ/ ١٥ تمـوز ١٠٩٩م، وكان عددهم اثنا عشر ألف راجلاً وألف فارس وعدد من الحجاج (٢)، وانتزعوها بعد حصار دام لمدة أربعين يوما^(٣).

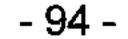
وهكذا بعد أن سقطت القدس بأيدي القوى الصليبية تنتهي مرحلة من مراحل الحرب الصليبية التي كانت قد بدأت سنة ١٠٩٥م، لتعقبها مرحلة جديدة من وجودهم في الشرق حيث تأسست مملكة القدس اللاتينية، والتي قدر لهـا أن تـسيطر على أرض بلاد الشام وفلسطين مدة قرنين من الزمان (١٠٩٩–١٢٩١م)(٤). وعن تفاصيل سقوط القدس بيد المصليبيين. يذكر صاحب الكامل في التاريخ فمضائع القوات الفرنجية بعد احتلالها:"... ولبث الفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا فيه وقاتلوا فيه ثلاث أيام فبذل لهم الفرنج الأمان فسلموه إليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا لبلاد عسقلان فأقاموا بها. وقتل الفرنج في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً... من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم...(٥). وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثـلاث آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالـشامي، وأخـذوا من القناديل مائة وخمسين قنديلاً ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً..."

(۱) ياسين سويد، مرجع سابق، ص٦٤ (٢) المرجع نفسه، ص١٤٢ (٣) عباس عبد الستار الزهاوي، القدس عشية الغزو المصليبي: دراسة في أحوالهما السياسية والإدارية، رسمالة ماجستير، ص۱۰۹ (٤) أنظر فيما سبق (٥) ابن الأثير، ج١٠، مصدر سابق، ٢٨٣ (٦) المصدر نفسه، ص٢٨٤



بعد أن احتل الصليبيون مدينة القدس أصبحت المدينة الأولى في فلسطين وعاصمة المملكة اللاتينية، وبذلك تغير نمطها الحضاري، عما كان عليه في العصور الإسلامية، حيث طال التغيير الصليبي الجوانب التالية: ١. عملت القوات الصليبية على تفريغ مدينة القدس من سكانها الحليين. ٢. تجمع المصادر الإسلامية على عدد القتلى في صفوف المسلمين ما يزيد على سبعين ألفاً ٣. يقول ابن القلانسي:" وقتل خلق كبير وجمع اليهود في الكنيسة واحرقوها عليهم"⁽¹⁾. ٤. تركت مذبحة القدس أثراً عميقاً في جميع العالم وإن كان عدد ضحاياها ليس معروفاً بالضبط، وإن القدس خلت بعد هذه المذبحة من المسلمين واليهود^(٢).

(۱) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٢٢
 (۲) ياسين سويد، مرجع سابق، ص٧١





مكانة القدس في العهد الزنكي والأيوبي والمهلوكي

الفصل الخامس مكانة القدس في العهد الزنكي والأيوبي والمملوكي

قيام الدولة الزنكية

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور عماد الدين زنكمي، ذلك الدور الذي لعبه أبوه آق سنقر في شؤون الدولة السلجوقية في الأعوام ٤٦٤–٤٧٨هـ والمكانة التي حصل عليها نتيجة خدماته للسلطان السلجوقي بركيارق(). وبعـد مقتـل آق سـنقر لم ينسى بركيارق تضحية أق هذا في سبيل عرشه، فوجه العناية نحو ابنيه عماد الدين زنكي الذي كان في العاشرة من عمره، يقيم في حلب تحت رعاية مماليك أبيه (٢). وقد عُرف عماد الدين زنكي بلقب الأتابك منذ تعيينه حاكما على الموصل عام٥٢١ هـ/ ١١٢٦م، وباعتلاء عماد هذا سدة الحكم في الموصل تأسست الإمارة الزنكية، واشتهرت باسم أتابكية الموصل والسلالة التي أعقبته في الحكم باسم الأتابكة، وقد بدأت تسمية زنكي بهذا اللقب عندما ولاه السلطان محمود السلجوقي الموصل وأعمالها وسلمه ولديه ألب أرسلان، وفروخ شاه (المعروف بالخفاجي) وجعله أتابكـأ لهما^(٣)، وكان للحروب التي نشبت بين السلاجقة فيما بينهم، ثم مع الخلافة العباسية، واشتراك عماد الدين زنكي فيها نتائج مهمة على مستقبله السياسي، لتتسع شهرته كأمير مؤثر في الصراع الداخلي (٤). وقد سعى عماد الدين زنكي لضم حلب بوصفه يملك منشوراً من السلطان السلجوقي بحكم الموصل والجزيرة وبلاد الشام، ولما وصل إلى مشارف المدينة في شـهر جمادي الأخرة عام ٢٢٥هـ حزيران عام ١١٢٨م خرج سكانها لاستقباله آملين بداية عهد جديد من الاستقرار (٥).

(1) الباهر، مرجع سابق، ص١٥ (٢) عماد الدين زنكي، مرجع سابق، ص٣٦ (٣) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢١٥ و٣١٦ (٤) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص٩٣ ۵) سهيل زكار، الحروب الصليبية، ج٢، ص٦٧٨

وبذلك تكون الوحدة قد تحققت بين الموصل وحلب، وحصل عماد الدين زنكي على موقع مهم بفضل ما تتمتع به حلب من حصانة عسكرية وموقع متميز بين الـشام وأسيا الصغرى، ثم بين إمارتين صليبيتين هما : الرها وأنطاكية، وبـذلك تكون قـد تهيأت له الفرصة للتدخل في الأوضاع السياسية لبلاد الشام لتوحيد صفوف المسلمين ومقارعة أخطار الصليبيين^(۱).

خرير الرها

كانت الرها أولى الإمارات المصليبية التي تأسست في الشرق الإسلامي سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م بزعامة بلدوين الأول الذي استمر في حكمها حتى سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م حين انتقل إلى حكم بيت المقدس بعد وفاة ملك بيت المقدس^(٢). وقد تميزت مدينة الرها عن بقية الإمارات الصليبية بموقعها في الحوض الأوسط لنهر الفرات تحملت عبء الدفاع عن بقية الإمارات الصليبية في بلاد الـشام، ولقربهـا من الخلافة العباسية ثم لوقوفها في وجه التركمان حيث كانت تعج بهم الجزيرة عقب التفكك الذي أصاب السلاجقة في بلاد الشام والعراق بعد وفاة سلطانهم ملك شاة سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م^(٣). كانت ظروف المدينة الداخليه مناسبة لعماد الدين، حيث اتصف أميرها جوسلين الثاني ببضعف الشخيصية، وانسياقه وراء العواطف وعدم امتلاكه مقدرة سياسية وبعد نظر، وكان متأثراً في نشأته بالميول الأرمينية وغيرهم من السكان الحمليين من الطوائف المسيحية الشرقية بل فيضلهم على النيصاري الغربيين، الأمر الذي أدى إلى عدم الاستقرار داخل المدينة التي كانت عائقاً حال دون قيام الوحدة الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة بسبب تدخلها لصالح خصوم عماد الدين من الأمراء المسلمين، فكان فتحها ضرورة سياسية واقتصادية(٢). غادر جوسلين الثاني مقر إمارته على رأس قواته، بعد أن اتخذ إجراءاً احترازياً بأن عقد هدنة مع فرار أرسلان صاحب حصن كيفا على الفرات الذي التجأ إليه بعد تهديد عماد الين لإمارته، ثم ذهب جوسلين إلى تل باشر الواقعة على المضفة الغربية للفرات، للاستجمام، تاركاً حماية الرهما لمسكانها من الأرمن والمسريان والنساطرة

المرجع نفسه، ص٦٧٧-٦٧٩
 الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، ص٢٣٠
 الجهاد ضد محسين، سلاجقة إيران والعراق، ص٨٤
 عبدالمنعم حسين، سلاجقة إيران والعراق، ص٨٤
 تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص١٤٩

واليعاقبة، حيث تولى الجند المرتزقة مهمة الدفاع عن القلعة على اعتبار أن عماد الدين كان منشغلاً بحروبه في ديار بكر وعدم تفرغه للهجوم على القلاع الصليبية⁽¹⁾.

علم عماد الدين بمغادرة جوسلين الرها فاستنفر كل قادر على حمل السلاح من مسلمي المنطقة للجهاد، وانهالت عليه جموع المتطوعين، فطوق الرها من جهاتهما الأربع. وضيق عماد الدين على الحصن، مستخدماً آلات الحصار التي جلبهما لتدمير أسوار الحصن، وأرسل جوسلين لدى سماعه نبأ الهجوم في طلب النجدة، فلم يستجب له سوى ميلزاند الوصية على بيت المقدس، حيث وصلت نجدتها بعد فوات الأوان^(٢).

"بيمند" تحت وصاية أمه "كونستانس" التي تزوجت من رينالد شاتيون "أرناط"، الـذي أصـبح أمـيراً علـى إنطاكيـة بحكـم زواجـة مـن كونـستانس، وكـان ذلـك سـنة ٤٨هـ/ ١١٥٣م. علماً بأن أرناط هذا سوف يكون السبب الرئيسي والمباشر لحدوث معركة حطين الحاسمة في سنة ١١٨٧م^(١).

ففي عام ٤٩ههـ/ ١١٥٤م تمكن نور الدين زنكي من ضم دمشق إلى ممتلكاته، دون جهد عسكري كبير^(٢). في حين ساءت أحوال الدولة الفاطمية في القاهرة، واشتد الصراع بين الوزراء، وتمكن ضرغام ابن عامر من أن يستبد بالدولة في عهد العاضد بأمر الله (آخر خليفة فاطمي). فهرب منافسه شاور بن مجبر السعدي إلى دمشق مستنجداً بنور الدين زنكي، وزين له إسقاط الخلافة الفاطمية وضمها إلى ملكة^(٢).

استجاب نور الدين زنكي لفكرة شاور هذا وعمل على إنقاذ مصر ومنع الصليبيين من احتلالها وذلك لضعف الحكم الفاطمي فيها، حيث بادر نور الدين، فأرسل ثلاث حملات إليها بقيادة قائده أسد الدين شيركوه، وبرفقته ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي كه مقدم عسكر في الجيش الزنكي^(٤).

نجح شيركوه في الحملة الثالثة بتولي وزارة مصر من الفاطميين في ربيع الثاني عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م، لكنه ما لبث أن توفي بعد شهرين، فخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين الذي كان قد أصبح وزيراً للفاطميين، وهو في الحادية والثلاثين من عمره^(٥). ففي الجمعة الأولى من محرم سنة ٢٥ههـ/ ١١٧١م قطع صلاح الدين الخطبة للفاطميين، وذلك بحذف اسم الخليفة العاضد الفاطمي من الخطبة، وفي الجمعة التي تلتها خطب باسم الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله^(٢). **الوحدة في عهد صلاح الدين الأيوبي** كان لتسارع المشهد السياسي في بيت المقدس ودمشق أثر كبير لظهـور صلاح

(۱) علي محافظة وآخرون، القدس عبر العصور، ص۱۹۲ (۲) القلانسي، المصدر السابق، ص۳۲۹ (۳) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مرجع سابق، ص۱۸۸ و۱۸۹ (٤) حول حملات شيركوه على مصر، راجع المرجع نفسه، ص١٩٠ و١٩١ و١٩٢، Lane-Poole: Saladin and the (٤) الجهاد والتجديد، ٢٠٤ و ٢٠٥

(6) For more details on Fatimids see, Hayel Al-Dhiesat: Society and Culture Under the Fatimids in Maghreb and Egypt: 909 - 1171 A.D. University of Baroda, For the degree of Doctor of Philosophy in History, 2007

الدين كسيد للموقف. ففي عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م توفي كـل مـن الملـك العـادل نـور الدين زنكي وأموري ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية. وترك كل منهما طفلاً صـغيراً في الحكم. فنور الدين ترك ابنه الصالح إسماعيل. أمـا الملـك أمـوري فـترك طفـلاً لم يتجاوز الاثنا عشر عاماً اسمه بلدوين الرابع^(١).

وعلى ضوء ما تقدم نجح صلاح الدين الأيوبي بتوحيد مصر وبلاد الشام وجزء من العراق في دولة إسلامية واحدة إذا ما استثنينا سيطرة الصليبيين على مدينة القدس وقلعتي الكرك والشوبك. فيضلاً عن مدن الساحل الشامي التي تمتعت بمكانية استراتيجية مهمة للصليبيين الأمر الذي جعليهم على اتصال مباشر مع الغرب الأوروبي^(٢).

صراع الأمراء على عرش ملكة بيت المقدس

كان المرض قد اشتد على ملك مملكة بيت المقدس بلدوين الرابع، حيث تـوفي في شهر آب عام ١١٨٥م، بعد مرض دام عامين^(٣)، فبرز صراع الأمراء داخل القـصر، إذ كانت وفاة بلدوين هذا إيذاناً بصراع حاد بين الأمراء حول عرش مملكة بيت المقـدس الصلسة.

•

بعد وفاة بلدوين الرابع خلفه على الحكم ابن أخته "بلدوين الخامس"، الذي توفي في العام التالي، حيث أعتلت العرش والدته سيبيلا، التي ما لبئت أن توّجت زوجها الثاني جاي لوزينيان ملكًا على البلاد، وفقاً لما أراده المعارضون الذي استمروا في المعارضة حتى تمكنوا من سحب الوصاية من ريموند الثالث ونقلها إلى أمه الملكة⁽³⁾، التي خلعت التاج عن رأسها ووضعته على رأس زوجها جاي لوزينيان قائلة:" زوجي أقدر وهو أحق بالملك وأجدر"⁽⁰⁾.

وعندما تـولّى الأمـر الفرنـسي جـاي لوزينيـان عـرش بيـت المقـدس ظهـرت الانشقاقات بين الصليبين وتوسعت، فلم يكن بعض الأمراء راضـيًا عـن توليـه حـين

(١) علي محافظة، المرجع نفسه، ص، ١٩٥ (٢) صلاح الدين والصليبيون، مرجع مابق، ص١٥٧ (٣) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، مرجع سابق، ص٧١٧ (٤) تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام، مرجع سابق، ص١٤٠ (٥) صلاح الدين والصليبيون، ص١٧٥. الكاتب العماد، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود، الـدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥، ص٢٧و٦

توجه ريموند إلى الجليل رافضاً مبايعته^(١). على أن صلاح الدين لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الصراع. وقد تمثل تدخله في تأليب طرف على الآخر، حيث الاختلاف بين ريموند الصنجلي مع بعض الأمراء الصليبيين، وعلى رأسهم رينولـد شاتيون (أرناط) أمير الكرك. وهكذا يُعد تحالف صلاح الدين مع ريمونـد الصنجلي من بين الأسباب التي مكنته من تحرير بيت المقدس لاحقاً^(٢).

ولم يتوان القائد صلاح الدين عن عقد هدنة مع بوهيمند الثالث أمير أنطاكيا، شملت حماية منطقة الجليل بفلسطين، الأمر الذي مهد الطريق للقائد صلاح الدين للعبور ما بين الأردن وفلسطين^(٣). ويمكن القول إن مملكة بيت المقدس اللاتينية في المرحلة التي سبقت تحريرها على يد صلاح الدين، كان قد حدث فيها انقسام سياسي داخلي، فظهر حزبان:

الأول، يتألف من البارونات الوطنيين والفرسان الاسبتارية (الهيئة الإسبتارية)⁽¹⁾، بقيادة ريموند الثالث أمير طرابلس. وكان هذا الحزب يـدعو إلى: التفاوض مع المسلمين، تقديراً منهم لحالة الانقسام والـضعف في صفوف الحركة الـصليبية، والسعي إلى تحقيق السلام، نظراً لقوة المسلمين في تلك المرحلة الـتي قادها الملـك العادل نور الين زنكي وصلاح الين الأيوبي⁽⁰⁾.

والثاني يتألف من القادمين الجدد من الغرب الأوروبي، ومن الفرسان الداوية (الهيئة الداوية)^(٢) الذين أطلق عليهم اسم الهيكليين. وكان هذا الحزب يتألف من: حركة دينية متطرفة، وهيئة عسكرية حاقدة، كما اتصف هذا الحزب بالنزعة العدوانية

- (١) عبلة المهتدي الزبدة، القدس تاريخ وحـضارة، الطبعـة الأولى، دار نعمـة للطباعـة، بـيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٥٦و١٥٢
 - (٢) صلاح الدين والصليبيون، مرجع سابق، ص١٧٦
 - (۳) تاريخ الأيوبيين، مرجع سابق، ص١٤٢ و ١٤٣
- (٤) يرجع وجودها في القدس إلى ما قبل قيام الحروب الصليبية، وذلك عندما أسس بعض تجار مدينة أمالفي الإيطالية سنة ١٠٧٠م جمعية خيرية وشيدو مستشفى قرب كنيسة القيامة في القدس للعناية بالحجاج، ومن ثـم أطلـق عليهـا فرسان المستشفى التي حرفت إلى العربية بالإستبارية، وبوصول الصليبيين إلى القدس قام فرسان الإستبارية بتقـديم مساعدات قيمة للصليبيين، وكان لهم دور فعال في محاربة المسلمين، عبلة الزبدة، مرجع سابق، ص١٤٧
 - ٥) علي محافظة وآخرون، القدس، مرجع سابق، ١٩٦
- (٦) تم تأسيس هذه الهيئة على أسس عسكرية على يد فارس فرنسي اسمه هيو دي بـاييتر في عهـد بالـدوين الثـاني في سنة ١١٨٨م، حيث اختار ذلك الفارس قسما من المسجد الأقصى ليكون مقراً لمنظمته في القـدس، وأطلـق علـي أتباعه اسم فرسان المعبد Templars التي حرفت إلى لعربية بالداوية، وكان أول عمل تعهدت به الداوية هـو حماية أتباعه اسم فرسان المعبد وشاطئ التي حرفت إلى لعربية بالداوية، وكان أول عمل تعهدت به الداوية هـو حماية العلي أسمو ين القريق بين المائي في أسمه هيو دي بـاييتر في عهـد بالـدوين الثـاني في منة ١١٨٨م، حيث اختار ذلك الفارس قسما من المسجد الأقصى ليكون مقراً لمنظمته في القـدس، وأطلـق علـي أتباعه اسم فرسان المعبد Templars التي حرفت إلى لعربية بالداوية، وكان أول عمل تعهدت به الداوية هـو حماية الطريق بين القدس وشاطئ البحر لحماية الحجاج المسيحيين القـادمين إلى الـبلاد وإرشـادهم، لكـنهم لم يلبثـوا أن المهمو في كل عمل حربي أخر قام به الصليبيون في بلاد الشام، عبلة، المرجع نفسه ص١٤٧

للمسلمين، وغلبت عليه الروح القتالية، وقد ترأس هذا الحزب ريناك شاتيون "أرناط"، أمير بارونية الكرك، وذلك بعد زواجه من "إيتيان دي ميلي" وريشة بارونية الكرك والشوبك سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م(١).

رينولد شاتيون ينقض الهدنة مع صلاح الدين

ومن الطبيعي أن يثير التقارب في العلاقات ما بين صلاح الدين و بوهيمند الثالث، غضب أمير الكرك رينولد شاتيون الذي كان في هدنة مع صلاح الدين بموجبها تكفل حماية قوافل المسلمين التجارية ما بين مصر وبلاد الشام، وذلك مقابل حصول شاتيون على الضرائب^(۲). وكانت الصعوبة هنا أكبر، عندما أقدم رينولد شاتيون على نقض هدنته مع صلاح الدين في أواخر عام ١١٨٦م/ ٥٨ه. وقد تمثل ذلك بقطع الطريق الواصل بين مصر وبلاد الشام، نتيجة طموحه الجارف الذي أوصله إلى التفكير بالهجوم على قافلة مسلمة قادمة من القاهرة إلى دمشق، فاستولى على البضائع التجارية، وقتل حراس القافلة، وأسر البعض، ونقل مسروقاته إلى قلعة الكرك حيث مركز حكمه^(۳).

تذرع صلاح الدين بالصبر في التعامل مع الحادث، إلا أنه فشل في استرجاع الثروات والأسرى، وذلك عائد لشخصية شاتيون التي تتصف بالجموح والتهور والحماقة. فعلى الصعيد الدبلوماسي لم يتوان صلاح الدين عن مراسلة ملك بيت المقدس جاي لوزينيان شاكياً ومطالباً بتدخله لردع شاتيون لإطلاق أسرى المسلمين ورد أموالهم وذلك دون اللجوء إلى استخدام القوة. إلا ان صلاح فشل دبلوماسياً في استرجاع الثروات والأسرى على الرغم من وساطة ملك مملكة بيت المقدس بينهما، حيث دب الخلاف ما بين الأمير والملك الصليبي الذي بدأ يشكك في نوايا الأمير شاتيون الاستقلالية عنه وطمعه في الانفراد بحكم إمارة الكرك⁽³⁾.

صلاح الدين يعلن الجهاد: معركة حطين

شكلت تحالفات صلاح الدين مع ريموند الثالث صاحب طرابلس و بوهيمند

(١) علي محافظة وآخرون، القدس، مرجع نفسه، ص١٩٦ (٢) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة ١٩٥٧م ج٢، ص٨٥ (٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، مصدر سابق، ص١٨–٢٠ (٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، مصدر سابق، ص١٨٥. أبو شامة، شهاب الـدين، أزهـار الروضـتين في أخبـار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢ القاهرة ١٩٥٦–١٩٦٢م، ص٧٥

الثالث النواة الأولى لنقطة الانطلاق نحو معركة حطين. فمن الطبيعي أن يتيح هـذا الأمر الجمال واسعاً لصلاح الدين للتغلغل في السياسة الداخلية الـصليبية وأن يقـف في مواجهة مملكة بيت المقدس التي فقدت سند إمـارة طـرابلس وإمـارة إنطاكية في بـلاد الشام. وهكذا تمكن صلاح الدين من شق الصف الـصليبي ونجـح في توحيـد الـصف الإسلامي في مصر والجزيرة والموصل وبلاد الشام تمهيداً للمواجهة العسكرية⁽¹⁾.

وفي ربيع عام ١٩٨٧م دعا صلاح الدين إلى الجهاد. فاستنفر القوات من الموصل والجزيرة وماردين ومصر واليمن والحجاز والشام وغيرها. فأخذت القوات تـصل إلى دمشق تباعاً بالاظافة إلى المتطوعة، وكان ما تجمع لصلاح الدين أكثر من عشرين ألـف مقاتل نظامي، وإنما دون الثلاثين. ويذكر صاحب كتاب "عيون الروضتين في أخبار الدولتين" أن القوات الصليبية قاربت على الخمسين ألفاً، وكانت قـد تجمعت في صفورية (قـرب الناصرة). وباتت تترقب الأحوال السياسية وتطور العمليات العسكرية^(٢).

وعندما استكملت الاستعدادات، غادر صلاح الدين دمشق وأخذت قواته تشق الطريق نحو شمال الأردن، ومنها نزل بقواته إلى غور الأردن، ودخل إلى أرض فلسطين من على جسر السد جنوب بحيرة طبريا، بعد أن تركت قواته أثقالها في الأقحوانة (منطقة الكفارات وملكا وأم قيس الحالية)، اتخذت مواقعها قرب أطراف النهر، وبات عليها تنفيذ خطة موضوعة بدقة متناهية، حيث بادر صلاح الدين بالهجوم على طبريا، فسقطت بيده وأنسحب المدافعون عنها ثم سار صلاح الدين على رأس الجيش إلى حطين، منتظراً وصول القوات الصليبية^(٣)، التي بدأت المسير للمعركة الفاصلة وذلك بعد أن دعاها الملك جاي لمجلس حرب^(٤).

وفي صبيحة يوم الجمعة ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/ ٣ تموز ١١٨٧م، وصل الجيش الصليبي إلى سطح جبل طبرية، وهي منطقة مرتفعة على شكل هـضبة، فلما وجـد الصليبيون أنهم لا يقوون على متابعة الـسير لـشدة التعـب والعطش الـذي أصـابهم قرروا المبيت فوق الهضبة^(٥) كان نصر حطين قد أنجز لصلاح الدين في ٢٤ ربيع الآخر

> (١) تاريخ الأيوبيين، مرجع سابق، ص١٤٣ (٢) أبوشامة، ج٢، مصدر سابق، ص٧٦ (٣) راجع من السلاجقة حتى سقوط بغداد، مرجع سابق، علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠١ (٤) صلاح الدين والصليبيون، مرجع سابق، ص٣٥ (٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، مرجع سابق، ص٧٥

سنة ٥٨٣هـ الموافق الرابع من شهر تموز لعام ١١٨٧م، عندما جاء الجيشان وجهاً لوجه ، حاول الصليبيون فيه الوصول إلى المياه، بينما حال صلاح الدين بينهم وبين الماء في طبرية في وقت اشتد فيه الحر والعطش^(۱).

كانت معركة حطين قد استمرت لساعات، وما أن انقشع غبارها حتى تمكن المسلمون من سحق قواتهم فقُتل العديد من الفرسان وقادة الجميش المصليبي. يقول المؤرخ الذهبي:" فمن عاين القتلى قال ما ثم أسير، ومن عماين الأسرى قمال مما ثم قتيل"^(۲).

- أهم الأحداث والنتائج المتعلقة بمعركة حطين
- ٦. تم أسر ملك مملكة بيت المقـدس اللاتينية جـاي لوزينيان، وأمر صـلاح الـدين بإرسل جاي هذا إلى قلعة دمشق أسيرًا، يرافقه القاضي ابـن أبي عـصرون، وفي سنة ١١٨٨م أطلق صلاح سراحه وأعـاده إلى زوجتـه سـيبيلا، فـذهبا ليعيـشا في طرابلس، ثم توجها إلى مدينة أنطاكية^(٣).
- ٢. وقع أمير الكرك رينالد شاتيون "أرناط"، بالأسر، فذكره صلاح الدين بأفعاله وامتشق سيفه ودق عنقه، ورمى الجند جثته على باب الخيمة، كما أمر صلاح بقتل فرسان الداوية والإسبتارية لسفكهم دماء المسلمين⁽³⁾.
 ٣. وبعد أن من الله على صلاح الدين بهذا النصر المظفر رأى أنه من الأسلم أن يسير لفتح المدن والحصون والقلاع الصليبية المنتشرة على الساحل ومن ثم تحرير المدينة المقدسة. ففي يوم الأحد ٢٥ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/ ١٩٨٩م استولى صلاح الدين على يابان من الله على على على على النامر معار النام أن يسير لفتح المدن والحصون والقلاع الصليبية المنتشرة على الساحل ومن ثم تحرير عمير ينية المقدسة. ففي يوم الأحد ٢٥ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/ ١٩٨٩م استولى حلاح الدين على قلعة طبرية، ثم تقدم نمو عكا ودخلها دون مقاومة تذكر. في حلاح الدين ينفرد صاحب النوادر السلطانية بالقول أن صلاح الدين دخل عكا بعد أن ماتها.
- (۱) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٧٥
 (۲) الذهبي، دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، ج٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العامة المرة، ٩٦
 (٣) ابن واصل، مصدر سلبق، ج٢، ص١٩٤
 (٣) ابن شداد، مصدر سابق، ص٧٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٥٩
 (٥) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٧٩

تم فتح المعاقل القريبة مثل حيفا، والناصرة، وقيسارية، وصفورية، والشقيف، والطور^(۱) وفتح صلاح الدين مدن بيروت، وصيدا وجبيل^(۲) وفي طريقه إلى عسقلان استولى على الرملة وبيت لحم والخليل، بينما دانت له عسقلان في رجب سنة ٥٨٣هـ/ أيلول سنة ١١٨٧م^(٣)، وفتح مدن غزة واللطرون وبيت جبريل وتم فتح يافا على يد العادل، وبذلك سقطت المدن الداخلية ما عدا الكرك والشوبك⁽³⁾.

٤. صلاح الدين وتحرير بيت المقدس: أراد صلاح الدين تتويج جهاده بتحرير القدس وإخراج الصليبيين منها، بعد أن تمكن من استنزاف قواتهم ومنعه وصول مساعدات أوروبية إليهم عن طريق البحر. وبعد أن اجتمعت قواته التي كانت متفرقة على طول الساحل والمناطق المختلفة، توجه صلاح الدين نحو القدس حيث وصل إليها يوم الأحد ١٥ رجب سنة ٥٨٣هـ/ ٢٠ أيلول ١١٨٧م، ونزل بجيشه المظفر على الجانب الغربي، فأخذت قواته مواقعها على مشارف المدينة وفرض عليها الحصار^(٥).

يخبرنا صاحب الكامل في التاريخ أن صلاح الدين بقي خمسة أيام يطوف حول المدينة، ولم يجد موضع قتال إلا من جهة الشمال نحو باب العامود، فانتقل إلى هذه الناحية يوم الجمعة ٢٠ رجب ٥٨٣هه^(٢)، فشرع بنصب الأبراج والمجانيق، وفي الليلة نفسها بدأ بمهاجة الأسوار، وعند باب العامود اشتبك الجيشان في قتال شديد، ومات خلق كثير من الجانبين^(٧).

فلما أيقنت القوات المصليبية أنهم أشرفوا على الهزيمة تقدم أحد قمادتهم المشهورين يدعى باليان دي ابلين وطلب الأمان من صلاح الدين مقابل تسليم المدينة. يحدثنا أبن الأثير أن السلطان صلاح الدين أصرّعلى أخذ المدينة عنوة بالسيف قمائلاً

له:" لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، من القتل والسي وجزاء السيئة بمثلها"^(۱). نقلاً عن ابن الأثير أجاب القائد الصليبي باليان دي ابلين بالعربية يائساً:" أيها السلطان أعرف أننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ظناً منهم أنك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم، وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة، فإذا رأينا الموت لا بد منه فو الله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغنمون منها ديناراً ولا درهماً، ولا تسبون وغيرهما من المواضع، ثم نقتل من عندنا أسرى المسلمين وهم خسة آلاف أسير، ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً إلا قتلناه، ثم خرجنا إليكم كلنا نقاتلكم قتال من يريد أن يعمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله وغوت أعراء... أو نظفر

فلما سمع السلطان قول باليان الصليبي جمع أمراء الحرب ورجال الرأي، وتم الاتفاق على إعطاء الأمان لهم على أن تسلم المدينة صلحاً، ويرحل عنها الفرنجة اللاتين غير العرب وذلك خلال أربعين يوماً ويحملوا معهم نفائسهم وأموالهم في نظير فدية يدفعونها قدرها عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة وديناران لكل طفل، وتقرر إعفاء الفقراء والشيوخ من دفع الفدية^(٣).

کر اماً"^(۲).

وافق الصليبيون على ذلك وسلموا المدينة للسلطان صلاح الـدين فكـان الفـتح العظيم لبيت المقدس الشريف، فدخلها الجيش المظفر مهللاً ومكبراً وراياتـه الـصفراء تخفق في سماء القدس في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ^(٤).

وكان أول عمل قام به السلطان صلاح الدين الأيوبي أن ذهب إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة وأزال ما علق بهما من آثار نصرانية من نقوش وصلبان مرسومة على جدران الصخرة الداخلية، وغسل الصخرة بماء الورد^(ه).

إن إعادة القدس المكللة للإسلام على يد صلاح الدين كانت موضوع أول خطبة جعة ألقيت في المسجد الأقصى⁽¹⁾ بعد خلاصه من أسر بيد الفرنجة استمر حوالي ثمانين عاماً. كان على صلاح الدين وكبار قادة جيشه ودولته حضور خطبة الجمعة، فقد اشتد التنافس بين علماء الدين للفوز بشرف إلقاء الخطبة. ومن بين هؤلاء العلماء الذين أعدوا خطباً وأملوا أن يقع عليها الاختيار^(٢). فتقدم صلاح الدين من القاضي عي الدين محمد بن زكي القرشي قاضي قضاة الشافعية في حلب، وطلب منه أن يخطب أول خطبة لأول صلاة الجمعة تقام في المسجد الأقصى بعد فتح بيت المقدس، كما ألبسه العماد الكاتب جبة سوداء من تشاريف الخلافة العباسية^(٣).

أقام السلطان صلاح الدين في مدينة القدس ثمانية وعشرين يوماً، فكلف أخيه العادل أبو بكر سيف الدين بإدارة القدس، فاتخذ العادل دير القديسة مريم على جبل صهيون داراً للحكم. ومع دخول المسلمين المدينة عاد إليها طابعها الإسلامي وعم فيها الأمن الأمر الذي أدى إلى نشاط في الحياة الاقتصادية، وغدا المسجد الأقصى مقصد علماء الدين ورجال العلم، كما بقي في المدينة المسيحيون الأرثوذكس واليهود⁽¹⁾.

الحملة الصليبية الثالثة

تعد معركة حطين وفتح بيت المقدس من أسباب خروج الحملة الصليبية الثالثة بزعامة بربروسا إمبراطور ألمانيا وفيليب أغسطس ملك فرنسا، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وفي سبيل استرداد مدينة بيت المقدس حشدوا جيوشهم على مشارف الشام وسواحل فلسطين، وبعد حصار شديد سقطت بيدهم مدينة عكا في سنة ٥٨٧هه^(٥)، الموافق شهر تموز من عام ١٩٩١م، ومنذ ذلك الوقت اتخذت عكا عاصمة للملكة بيت المقدس^(١).

(١) في يوم الجمعة الثانية لفتح القدس وكان ذلك في ٤ شعبان ٥٨٣هـ الموافق ٩ تشرين الأول ١١٨٧م، ابـن الأثـير، مصدر سابق، ج١١، ص٥٥
 (٢) دونالد ب، لتل، القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك، ضمن القدس في التـاريخ لكامـل جميـل العـسلي، حـرر الطبعة الانجليزية وترجمها كامل العسلي، مطبر (٢) دونالد ب، لتل، القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك، ضمن القدس في التـاريخ لكامـل جميـل العـسلي، حـرر (٢) دونالد ب، لتل، القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك، ضمن القدس في التـاريخ لكامـل جميل العـسلي، حـرر (٣) دونالد ب، لتل، القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك، ضمن القدس في التـاريخ لكامـل جميل العـسلي، حـرر (٣) دونالد ب، لتل، القدس تحت حكم الأيوبيين والماليك، ضمن القدس في التـاريخ لكامـل جميل العـسلي، حـرر (٣) ابو شامة، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٩
 (٣) ابو شامة، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٦
 (٩) ابو شامة، مرجع سابق، ص١٩٦
 (٩) ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ص٣٥٩و ٣٦٠
 (٥) ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ص٣٥٩و ٣٦٠

في أوائل شهر آب من عام ١١٩١م بدأ ريتشارد زحفه لاسترداد الساحل الفلسطيني من عكا حتى عسقلان، ولما علم صلاح الدين بذلك هاجمت قواته مؤخرة الجيش الصليبي قرب عكا، لكن الصليبيون استمروا في تقدمهم واستولوا على حيفا، ثم قيسارية، ثم موقعة أرسوف في شهر أيلول من عام ١٩٩١م، حيث تم النصر فيها للصليبين. ثم بادر صلاح الدين بإخلاء عسقلان واتجه نحو بيت المقدس لأنه أدرك أنها غاية القوات الصليبية⁽¹⁾.

وبعد مقتل المركيز كونراددي مونتفرات في ١٣ ربيع الآخر سنة ٥٨٨هـ أصبح ريتشارد قلب الأسد الملك الأوحد للصليبيين. ونتيجة لفشل المفاوضات بين الصليبيين والمسلمين قرر الصليبيون السير نحو بيت المقدس لتخليصها من أيدي المسلمين. في حين كان السلطان صلاح الدين قد أنهى استعداداته للدفاع عن المدينة. ففي صبيحة يوم السبت الموافق ٤ تموز ١٩٩٢م، وردت الأخبار إلى السلطان تفيد بأن الصليبيين مختلفون في الرأي فيما بينهم فقرروا الرحيل عن القدس دون مهاجتها، وتم انسحابهم إلى الرملة.^(٢)

جأ الطرفان بعد ذلك إلى صلح الرملة، بين الملك ريتشارد ملك إنجلترا وبين

السلطان صلاح الدين، فعقدت هدنة في ٢٢ شعبان سنة ٨٨هه الموافق ٢ أيلول سنة ١٩٩٢م^(٣)، لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وبموجب هذا الصلح ، تم الاتفاق على مايلي: ١. يحتفظ الفرنجة بالساحل الفلسطيني من صور إلى يافا. ٢. بينما يحتفظ المسلمون بعسقلان. ٣. تكون اللد والرملة مناصفة بينهم^(٤). ٤. تم منح الفرنجة حرية الحج إلى بيت المقدس دون مطالبتهم بأية ضريبة^(٥) وبعد صلح الرملة غادر الملك ريتشارد قلب الأسد إلى إنجلترا، في حين عاد السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى دمشق، وهناك فاضت روحه إلى بارتها في ٢٧ صفر السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى دمشق، وهناك فاضت روحه إلى بارتها في ٢٧ صفر

كانت من نصيب الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين وكان مقره دمشق. وسرعان ما اشتد الصراع بين أفراد البيت الأيوبي إلى أن تمكن الملك العادل الأيـوبي من إعادة توحيد مصر والشام سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م^(١).

توفي الملك العادل، فتولى ابنه الكامل الحكم، ومع اشتداد هجمات المصليبيين على مصر، استنجد الكامل بأخويه المعظم شرف الدين عيسى ملك دمشق والأشرف موسى ملك حلب. وعلى الرغم من ذلك بقيت القوات المصليبية مسيطرة على الموقف في مصر لإصرارهم على دخول دمياط تمهيداً لإعادة احتلال بيت المقدس^(۲).

كان المعظم شرف الدين عيسى ملك دمشق قـد تخـوف مـن نتيجـة الحـرب في مصر. ففي سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م أقدم على هدم أبراج مدينة القدس وأسوارها حتـى لا يجني الصليبيون منها فائدة على حد تقديره، فضلاً عـن تـدميره حـصون أخـرى في الشام، الأمر الذي أدى إلى موجة من الدهشة في صفوف المسلمين في بيت المقدس^(٣).

أما على الجبهة المصرية فقد تمكن الصليبيون من احتلال دمياط سنة ٦١٦هـ، وتحفزوا للزحف نحو القاهرة، فعرض عليهم الملك الكامل القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين ما عـدا الكـرك والـشوبك، مقابل انسحابهم من مصر. غير أنهم أصروا على تسلم الكـرك والـشوبك، وعلى الكامل أن يدفع مبلغ ثلاثمائة ألف دينار عوضاً عن أسوار القدس التي هـدمها أخيه المعظم، فلم يوافق الكامل على ذلك^(٤).

وسرعان ما تجدد القتال بين الطرفين وتمكن المسلمون من هزيمة القوات الصليبية، فطلبو الأمان مقابل الانسحاب من مصر بما فيها دمياط، فعقدت هدنة بينهم مدتها ثمان سنوات، فتم الانسحاب من دمياط سنة ٦١٨هـ١٢٢١م^(٥).

ثم نشب الصراع على السلطة بين الكامل وأخيه المعظم عيسى. ولكي يحافظ كل منهم على أملاكه خوفاً من أخيه، صار كل منهم يستنجد بـالقوى الأجنبية. فـالمعظم عيسى تحالف مع الخوارزمية القادمين من الشرق (أذربيجـان). بينمـا أرسـل الكامـل

محمد إلى الإمبراطور الألماني فردريك الثاني، يطلب منه المساعدة ضـد أخيـه المعظـم، وتعهد له مقابل ذلك أن يعطيه بيت المقدس^(۱).

وهكذا ضاعت القدس مرة أخرى على يد الكامل فسلمها للإمبراطور فردريك الثاني نتيجة للخلاف والفرقة. وتم عقد اتفاقية التنازل بما عرف باتفاقية ياف في ربع الثاني عام ٦٢٦هـ/ ١٨ شباط ١٢٢٩م مدتها عشر سنوات وخمسة أشهر وأربعون يوماً ودخل فردريك القدس في ١٩ آذار ١٢٢٩م، فتوج نفسه إمبراطوراً في كنيسة القيامة، ثم عاد إلى عكا ومنها إلى أوروبا^(٢).

ومع اقتراب انتهاء موعد اتفاقية يافا، وصلت حملة صليبية إلى عكا وعلى رأسها تيبو الرابع سنة ١٢٣٩م، وعندما علم الناصر داود ملك الكرك بذلك انتهز الفرصة قبل أن يقوى أمر الصليبيين في القدس، وقد تمكن من فتح المدينة بعد حصار دام واحد وعشرين يوماً. ومن المحزن أن الناصر هذا هو الذي تنازل عن بيت المقدس للصليبيين سنة ١٤٦هـ/ ١٢٤٣م، وذلك بعد أن اتفق مع الملك المنصور صاحب حلب ومع الصالح إسماعيل ملك دمشق ضد الملك الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر مقابل دعم القوات الصليبية لهم^(٢).

عادت القدس تحت سلطة السلطان نجم الدين صالح أيوب بمساعدة الخوارزمية المسلمين له بعد المعركة الحاسمة التي تحققت على منافسيه من ملوك بني أيوب وحلفائهم الصليبيين قرب غزة في سنة ١٢٤٤م. وكردة فعل الغرب المسيحي على ذلك سارع الملك الفرنسي لويس التاسع الذي تحرك على رأس الحملة الصليبية السابعة، ونجح في احتلال دمياط في مصر سنة ١٤٧هـ/ ١٢٤٩م^(٤). ففي الأثناء توفي سلطان مصر وبلاد الشام الصالح نجم الدين أيوب، فأرسلت زوجته شجر الدر إلى ابنه توران شاه المقيم بحصن كيفا على الفرات، تخبره بذلك، فعاد إلى مصر ليقود المعركة، ويقطف ثمار نصر أبيه حيث تمكن من هزيمة الصليبيين وأسر لويس نفسه. ثم اشتد الصراع بين توران شاه وزوجة أبيه شجر الدر، وانتهى بمقتل المعظم توران شاه

(۱) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج۱، ۲۲۱–۲۲۳
 (۲) المصدر نفسه، ج۱، ص۱۳۱
 (۳) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، مصدر سابق، ص٣٣٢و٣٣٣
 (٤) سعيد عاشور، مصر والشام، مرجع سابق، ص١٠٣

على يـد مماليـك أبيـه، لتنتهمي الدولـة الأيوبيـة، وتقـوم دولـة الماليـك سـنة ۸ ۲۶۸ه_/ ۱۲۵۰ م^(۱).

القدس في العهد المملوكي

كانت القدس من بين المناطق التي شملتها رقعة السلطنة المملوكية الـتي حكمت مدة قاربت ثلاثة قرون، وذلك من مطلع النصف الثاني من القرن السابع للهجرة وحتى مطلع القرن العاشر للهجرة الموافق مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد إلى مطلع القرن السادس عشر للميلاد(٢).

والمماليك هم طائفة من الأرقاء أو ممن كانوا يؤسرون في الحروب أو يستدعون للخدمة في الجيش، وكانو خليطاً من الأتراك والشراكسة وغيرهم من الأجناس. وكان أول من استخدمهم الخليفة المأمون العباسي خلال فترة حكمه الممتدة بين السنوات (٨١٣-٨٣٣م)، إذ كان في قسره بعض المماليك ثم الخليفة المعتسم بالله الذي استخدم الأتراك في الجيش العباسي لتدعيم سلطانه وكذلك استخدمهم كل من حكام مصر من الطولونيين والإخشيديين والفاطميين ثم الأيوبيين الـذين أكثـروا مـن شـراء المماليك الترك، وشكلوا منهم فرقاً عسكرية خاصة("). بعد مقتل توران شاه تأسست دولة المماليك في مصر وعاشت من ١٢٥٠م وحتى سنة ١٥١٧م، وتعد بداية مرحلة جديـدة لهـا طابعهـا الخـاص في تـاريخ مـصر وبلاد الشام بما فيها القدس الإسلامية التي تمتعت بفترة من النمو الكبير والثابت في العهد المملوكي، مقارنة مع التقدم المتقطع في عهد الأيـوبيين الـذين سـبقوهم؟). قـام المماليك بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة، وبذلك أضفوا على حكمهم صفة الشرعية، بوصفهم مفوضين بحكم المسلمين من قبل خلفاء بغداد مـن بـني العبـاس. ويقسم العهد المملوكي إلى قسمين: عهد المماليك الأتراك أو المماليك البحرية: وهم من جند الملك الصالح نجم الدين الأيوبي ويسمون المماليك البحرية لأنَّ الصالح هذا أسكنهم في جزيرة الروضة في النيل. ومنهم عهد المماليك الشراكسة أو المماليك

(١) ابن الجوزي، سبط، مرآة الزمان، ج٨، مصدر سابق، ص٧٧٣-٧٩٥ (٢) المؤلف (٣) الموسوعة الفلسطينية، ج٤، مرجع سابق، ص٢٩٠، علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٢٣ (٤) دونالد ب، لتل، ضمن القدس في التاريخ، مرجع سابق، ص٢١٤ و٢١٨

- 111 -

البرجية، وهم من جند السلطان المنصور قلاوون المملوكي، وكانوا يسكنون في أبـراج القلعة في القاهرة لذلك عرفوا بالبرجية^(١).

وبعد أن تولي السلطان عز الدين أيبك المملوكي عرش مصر (٢٤٨هـ/ ١٢٥٠م-٢٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، انفصلت الشام عن مصر واستقلّ بحكمها الأمراء الأيوبيون^(٢)، فدخلوا في صراع داخلي إلى أنَّ تم الصلح بينهما سنة ١٥٦هـ/ ١٢٥٣م. وبموجب هذا الصلح دخلت مدينة القدس تحت الحكم المملوكي، لكنَّ السلطان عز الدين أيبك قُتِل بمكيدة دبرتها زوجته شجر الدر، فخلفه ابنه الملك الصغير نور الدين. في حين نصب السلطان قطز بن عبدالله المعزي نفسه وصياً على الملك الصغير، وسرعان ما خلعه واستولى على العرش^(٣).

معركة عين جالوت

إن الحدث الحاسم في تاريخ القدس خلال هذه الفترة كان هزيمة المماليل للتتار في ٢٥ رمضان سنة ٢٥٨هـ/ ٢٦٠٩م، في عين جالوت^(٤)؛ إذ إن هذه المعركة وطرد المغول على يد السلطان قطز ومعه الأمير ركن الدين بيبرس، إلى ما وراء الفرات وقتل قائدهم كتبغا هي التي مكنت المماليك من بسط سيادتهم على فلسطين^(٥). وابتداء من العام التالي عمل في القدس سيل مطرد من الحكام الذين عينهم المماليك حتى انتهاء أسرتهم. وقد احتفظت المدينة في عهد المماليك بأهميتها كمكان مقدس. والتغيير المهم في مصائرها كان سياسياً بالدرجة الأولى. ومن هنا فصاعداً، وللمرة الأولى منذ عهد السلطان صلاح الدين، كان من شأن مدينة القدس أن تبقى بصورة راسخة في أيـدي المسلمين، وبحيث لا تقـدم بعد الآن غنيمة في النزاعات السياسية والعسكرية والدبلوماسية^(٢).

(١) الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص٢٩٠و٢٩٢
 (٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢٢، مصدر سابق، ص١٩١
 (٣) المقريزي، السلوك، ج٢، مصدر سابق، ص٣٥٥و٢١
 (٤) عين جالوت: بلدة صغيرة بين تقع بين بيسان ونابلس في فلسطين، ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ص٣٥٥و٢١
 (٥) كانت المعركة فاصلة أنقذت بيت المقدس والشام من دمار التتار، وترتب على المعركة امتداد سيطرة الماليك على (٥) بلاد الشام وأعدت المعان من دمار التتار، وترتب على المعركة المداد سابق، ص٣٤
 (٦) كانت المعركة فاصلة أنقذت بيت المقدس والشام من دمار التتار، وترتب على المعركة امتداد سيطرة الماليك على بلاد الشام وأغسار النفوذ الأيوبي عنها، وأعادت للغة العربية هيبتها، سعيد عبد الفتاح عاشور، المؤتمر الحولي الثالث لبلاد الشام، ص٣٨

أما السبب الرئيس في هذا التغيير فيكمن في نجاح المماليك بطرد الصليبيين من الأرض المقدسة. ومع أن هذا لم يتحقق حتى سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م وذلك بسقوط عكا بيد الملك الأشرف خليل بن قلاوون، ومع أنه استلزم عقد اتفاقات هدنة سابقة مع مختلف الإمارات الفرنجية، فان وضع القدس لم يرد له ذكر في المفاوضات؛ لأن الصليبيين لم يكونوا على درجة من القوة بحيث يشكلون تهديداً كبيراً للمصالح المملوكية في فلسطين^(۱). واستغل المماليك جزءًا من ثرواتهم لعناية المنشآت الدينية في بيت المقدس، مما زاد من أهمية المدينة كمكان إسلامي مقدس. وكان من أبرز السلاطين في فترة المماليك البحرية ١٢٦٠م ركن الدين بيبرس^(٢)، وقلاوون بن عبدالله^(٣)، والناصر محمد بن قلاوون^(٤).

فمن أهم التعميرات التي تمت في عهد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، عمارة قبة الصخرة في سنة ٢٥٩هـ/ ١٢٦٠م التي كانت قد تداعت للسقوط^(٥)، ويخبرنا صاحب النجوم الزاهرة أن بيبرس عمل على تجديد قبة السلسلة وزخرفتها، وهي القبة الموجودة داخل الخرم القدسي المشريف، وقد تم ذلك في سنة وأمر بترميم المسجد الأقصى وخصص له خمسة آلاف درهم^(٧). كما يدل الرباط المنصوري على مدى اهتمام السلطان قلاوون بن عبدالله في بيت المقدس، حيث يقع هذا الرباط في الجهة الجنوبية من طريق باب الناظر المؤدي إلى الحرم القدسي، وقد أمر بتشييده قلاوون عام ٢٦٢هـ/ ١٢٨٩م، وأوقف على زوار بيت المقدس^(٨).

ومن المنشآت التي قامت في مدينة القدس خلال عهـد الملـك الناصـر محمـد بـن قلاوون: المدرسة الدوادارية التي تقع على يمين الخارج من الحـرم القدسـي مـن بـاب

العتم أو كما كان يسمى قديما باب شرف الأنبياء، والذي أطلق عليه أيضاً اسم باب الدوادارية نسبة الى المدرسة الكائنة شرقي هذا الباب. وترجع تسميتها إلى منشئها علم الدين ابو موسى سنجر الدوادار (بمثابة سكرتير السلطان) الصالحي النجمي، وكانت عمارتها في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م. وهي ما تـزال مدرسة حتى يومنا هـذا، باسم المدرسة البكرية الابتدائية للذكور^(۱).

ومن بين تلك المنشآت المدرسة السلامية (الموصلية) وتقع هـذه المدرسة خـارج الجهة الشمالية للحرم، وواجهتها الرئيسة على الجانب الشرقي من طريق بـاب العـتم المعروف بطريق المجاهدين، والمدرسة عبـارة عـن بنايـة ضـخمة وفيهـا بوابـة تعلوهـا المقرنصات وعلى جانبي قوس البوابة كتب نقـش: "لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله". وباني هذه المدرسة الخواجا مجد الدين أبو الفداء إسماعيل السلامي، وكـان مـن تجـار القاهرة^(٢).

ومن المدارس الشهيرة في القدس المدرسة "التنكزية" وتقع على يمين المداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة وهو باب الحرم الرئيس، وقد بناها سيف الدين تنكز نائب السلطنة في الشام في سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م^(٣).

ففي عهد السلطان قلاوون بن عبدالله تم تجديد قناة السبيل الواصلة من منطقة العروب إلى مدينة القدس، وقد أمر بتجديدها الأمير تنكز سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، وقد دخلت الحرم الشريف سنة ٧٢٨هـ^(٤). وبعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣٤١م، تسلطن ثمانية من أولاده، ولم يأتوا بأي عمل يذكر في القدس، إذ ما كان يأتي الواحد منهم إلى الحكم حتى يثور أخوه عليه أو أحد أقاربه فيقتله أو يخلعه عن كرسي العرش^(٥).

كان قد بلغ عدد السلاطين المماليك الشراكسة أو المماليك البرجية ٢٤ سلطاناً، أولهم الظاهر سيف الدين برقوق وآخرهم الأشرف طوماي بـاي، وقـد حكـم خمسة

(١) كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، مرجع سابق. ص٢٣٨و٢٣٩و٢٣٨، راجع الموسوعة الفلسطينية، ج٣، مرجع سابق، ص٣٦٥ (٢) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص٤٢ (٣) المصدر نفسه، ص٣٥ و ١٧٥، كامل العسلي، معاهد العلم، مرجع سابق، ص١١٩ (٤) كامل العسلي، من أثارنا في بيت المقدس، مرجع سابق. ص١٤٧ (٥) عبلة الزبدة، مرجع سابق، ص٢٦٤

منهم ٨٩ سنة من أصل ١٣٥ سنة دامت فيها سلطنتهم، وهوّلاء هم سيف الدين برقوق، والأشرف برسباي، والظاهر جقمق، والأشرف قايتباي، و قانصوه الغوري. تمكن الملك سيف الدين برقوق من القضاء على المماليك البحرية وتولى الحكم سنة ٨٢هه/ ١٣٨٢م، وأقره على الحكم الخليفة المتوكل على الله العباسي، وأقام في القدس بعض المنشآت نذكر منها: خان السلطان وعرف بدار الوكالة، ويقع قرب طريق باب السلسلة وهو عبارة عن مبنى من طابقين وله ساحة كبيرة محاطة بالدكاكين. وفي الجهة الغربية من الزقاق المؤدي إلى خان السبيل، يوجد لوحة رخامية كتب عليها بالخط النسخي المملوكي:" بسم الله الرحمن الرحيم، جدد هذه القيسارية المباركة وقف حرم القدس الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق خلد الله ملكه...في سنة ثمان وثمانين وسبعماية"⁽¹⁾.

في عهده أيضاً تم تجديد بركة السلطان، وهي مقابل جبل صهيون إلى جهة الغرب، ويبلغ طول البركة ١٧٠ مترا وعرضها ٨٠ مترا ومساحتها نحو ١٤ ألف متر مربع. وتم تجديد دكة المؤذنين داخل قبة الصخرة تجاه المحراب، ومسطبة الظاهر الكائنة أمام باب الغوانمة حيث تم تعميرها سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م^(٢).

بويع الملك الأشرف برسباي الظاهري بالسلطنة عام ٢٥٥هـ/ ١٤٢٢م، ودام في الحكم ستة عشر سنة. ففي عهده تم بناء المدارس في بيت المقدس نذكر منها: المدرسة الباسطية سنة ٨٣٤هـ ١٤٣١م، نسبة إلى القاضي زين الدين عبدالباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة. والمدرسة الغادرية سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٣م، وواقفها هو الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بعد أن عمرتها زوجته (مصر خاتوم)^(٣).

أما واقف المدرسة العثمانية هي امرأة من أكـابر الـروم واسمهـا أصـفهان شـاه خاتون. وتقع المدرسة على يسار الخارج من الحرم مـن بـاب المطهـرة (بـاب المتوضـاً قديماً). فمن أسماء الذين تولوا التدريس فيها: الشيخ الإمام سراج بن مسافر بن يحيى عالم الحنفية بالقدس الشريف وكان قد قدم إلى القدس سنة ٢٨هـ والـشيخ سـراج الدين عمر بن أبي اللطف المفتي بالديار المقدسة سنة ٩٩هـ، والشيخ جار الله بن أبي

(۱) كامل العسلي، من أثارنا في بيت المقدس، مرجع سابق، ص٤٤و٤٥٤و١٣٤
 (۲) كامل العسلي، من أثارنا، مرجع سابق، ص٤٦
 (۳) عبلة الزبدة، مرجع سابق، ص٢٧٩و٢٧٦

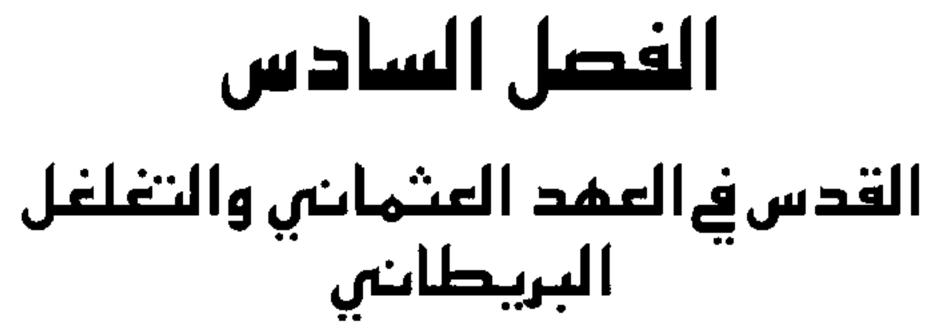
بكر بـن محمـد المعـروف بـابن أبـي اللطـف مفـتي الخليفـة بالقـدس، المتـوفى سـنة ١٠٢٨هـ^(١).

ومن المنشئات المهمة التي أقيمت في بيت المقدس في عهد الملك الأشرف قايتباي الظاهري نذكر منها: الرباط الـزمني في سـنة ٨٨١هــ/ ١٤٧٦م، نـسبة إلى الخـواجكي شمس الدين محمد بن الزمن أحد خواص الملك قايتباي. وكذلك مدرسة الأشـرفية، وقد بناها في الأصل الأمير حسن الظاهري باسم الملك الظاهر خوشقدم سنة ٩٧هه ولكنه لم يتم البناء إذ توفي الملك الظاهر فقدمه الأمير حسن إلى الملك الأشرف قايتباي فنسبت إليه وسماها الأشرفية^(٢).

ففي عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م أمر قايتباي ببناء السبيل المعروف بسبيل قايتباي، الذي يقع في الساحة الكائنة بين باب السلسلة وباب القطامين، كما أمر السلطان في العام نفسه ببناء مئذنة الجامع العمري المعروف اليوم بجامع عمر بجوار كنيسة القيامة^(٣).

وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي تدهور الوضع السياسي والاقتصادي في القدس، شأنها في ذلك شأن المدن الأخرى في سلطنة المماليك. وبسبب انهيار الحكومة المركزية المملوكية نتيجة للمشكلات الاقتصادية التي يتعذر التغلب عليها، وغارات البدو وللطاعون والغارات العثمانية وانحطاط النظام المملوكي نفسه. فخسر المماليك مدينة القدس لصالح العثمانيين في وقت ما بين معركة مرج دابق في شمال سوريا سنة المرام، وسقوط القاهرة بيد العثمانيين في معركة الريدانية في سنة المام.

 (١) المرجع نفسه، ص١٧٦، الموسوعة الفلسطينية، ج٣، موجع سابق، ص٥٤١، عبلة الزبدة، موجع سابق، ص٢٧٢و٢٧٢
 (٢) كامل العسلي، معاهد العلم، مرجع سابق، ص١٥٨ و١٦٣، عبلة الزبدة، موجع سابق، ٢٧٦ و٢٧٢
 (٣) كامل العسلي، من اثارنا، موجع سابق ص٢٤٨، الموسوعة الفلسطينية، ج٣، موجع سابق، ص٤٩
 (٤) دونالد ب، لتل، موجع سابق، ص٢٤٤



القصل السادس

القدس في العهد العثماني والتغلغل البريطاني

ظلت القدس عربية إسلامية الطابع والهوية طيلة العهد العثماني الذي استمر منذ مطلع القرن السادس عشر حتى انهيار الدولة العثمانية في مطلع القرن المنصرم.. فبعد أربعة أشهر من انتصار سليم الأول في مرج دابق في ٢٣ آب سنة ١٥١٦م دخل العثمانيون مدينة القدس. ففي ٣٠ كانون الأول سنة ١٥١٦م قام السلطان سليم بزيارة للقدس دامت يومين، فخرج العلماء عن بكرة أبيهم لملاقاة سليم شاه، وسلموه مفاتيح المسجد الأقصى وقبة الصخرة. ثم قدم السلطان الهدايا لأعيان البلد جميعاً وأعفاهم من الضرائب الباهضة وثبتهم في وظائفهم^(١).

سليمان القانوني والنظام الإداري الجديد

ففي عام ١٥١٦م أبقى السلطان سليم الأول العثماني على التقسيمات الإدارية

أما على المستوى الإداري فكان نظام الولايات في الدولة العثمانية قد صدر عام ١٨٦٤م، حيث أعادت الدولة النظر في التقسيمات الإدارية في كافة ولاياتها، بما فيهما ولاية سورية التي ضمت عدة ألوية: ١. القدس ٢. طرابلس ٣. بيروت ٤. عكما ٥. اللاذقية ٦. نابلس. وقد ضم لواء القدس عدة أقضية: ١. قضاء القدس ٢. قضاء الخليل ٣. قضاء يافا ٤.قضاء غزة.

وهكذا استمرت مدينة القدس في السلم الإداري العثماني، تتبع لولاية دمشق، وذلك حتى سنة ١٨٧٤م، عندما أصبحت متصرفية مستقلة، مرتبطة بوزارة الداخلية العثمانية. وذلك اهتماماً بمدينة القدس وشعوراً بالمخاطر التي تتهددها. وبالتالي أصبح سنجق القدس يتبع والي دمشق^(۱). وفي عام ١٨٧٦م أعلن الدستور العثماني، وأجريت انتخابات نيابية عام ١٨٧٧م، فكانت حصة فلسطين نائباً واحداً. وكان حاكم السنجق على رأس الجهاز الإداري، يعين لسنة واحدة قابلة للتجديد، وقد تمثلت واجباته الرئيسة بمايلي: ١. قيادة السنجق أثناء الحرب ٢. الإشراف على القطاعات العسكرية

> ٣. جباية الضرائب ٤. فرض النظام العام والمحافظة عليه في السنجق^(٢).

القضاء وأبرز الوظائف الدينية والاجتماعية في سنجق القدس غالباً ما كان يترأس الجهاز القضائي في سنجق القدس، قاض تركي على المذهب الحنفي يعين بأمر من استانبول عاصمة الدولة العثمانية، ولمدة سنة واحدة. علماً أن المذهب الرسمي للدولة العثمانية هو المذهب الحنفي^(٣).

وإلى جانب منصب القاضي كان هناك وظائف دينية واجتماعية بارزة في سـنجق القدس، نذكر منها مايلي:

- ١. المفتي ٣. نقيب الأشراف، وكان أصحاب الوظائف هذه من وجهاء وعلماء مدينة القدس، حيث يعينوا بأمر من السلطان العثماني.
 - (١) المرجع نفسه، ص٣٤٥ (٢) المرجع نفسه، ص٢٤٦ (٣) أنظر فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان في العهد العثماني، ج٢، مرجع سابق، ص٣٠٦– ٣٠٨

- ٤. المحتسب كرجل إدارة بارز في السنجق. ٥. أما منصب باشا القدس، فكان من الأمراء المحليين، ثم شىغله عـدد مـن الـضباط
 - العثمانيين، وبعد ذلك كُلف به ولاة دمشق⁽¹⁾.
- حصار نابليون لمدينة عكا كان صراع الدول الأوروبية على مدينة القدس، مرتبطاً بالدرجة الأولى بالمصالح الدينية والسياسية، الأمر الذي أدى إلى عدم ثبات في سياسة الدولة العثمانية تجاه الطوائف الدينية المقيمة في مدينة القدس. نرى ذلك في سياسة السلطان العثماني عثمان الثالث الذي وقع اتفاقا سنة ١٧٥٧م، أكد فيه على حق المسيحيين الأرثوذكس في ممارسة طقوسهم الدينية في المواقع المقدسة التي تم مصادرتها منهم عام ١٦٩٠م. بما فيها كنيسة القيامة^(٢).
- ومع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وفي عهد السلطان سليم الثالث^(٣)، قام الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت، باحتلال مصر عام ١٧٩٨م، حيث بدأ الاهتمام الدولي في المشرق الإسلامي، بما فيها فلسطين بشكل عام، والقدس بشكل خاص⁽³⁾.

ويشير بعض الباحثين إلى أن الحملة الفرنسية قد غرست البذرة الأولى للمسألة الصهيونية في المنطقة^(ه).

ووفقاً للخطة الفرنسية أصدر نابليون فور وصوله إلى الإسكندرية في تموز عام ١٧٩٨م نداء حث فيه جميع اليهود في آسيا وإفريقيا على الالتفاف حول حملته، وذلك لإعادتهم إلى مدينة القدس، والعمل على إعادة بناء هيكلهم من جديد. في حين كان على اليهود تقديم الدعم لنابليون في مشروع غزوه لفلسطين. وقد كرر نابليون هذا النداء أثناء حصاره لمدينة عكا، حيث نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٠ نيسان لعام ١٩٩٩م، دعا فيه اليهود لمؤازرة فرنسا، وانتهاز وجوده في فلسطين لتحييق آمالهم المنشودة^(٢)، وخاطب النداء النابليوني اليهود باسم "الورثة الشرعيين لفلسطين".

- إلا أن الجاليات اليهودية لم تظهر اهتماما بنداء نابليون هذا وذلك للأسباب التالية^(١): ١. نظراً لانشغالها مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي بتثبيت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية في البلاد التي تقيم فيها.
- ٢. لم تكن مدينة القدس مدرجة في لائحة المواجهة التي تعرضت لها بعض المدن الفلسطينية كغزة، ويافا، وعكا.
 - ٣. لم تكن مدينة القدس في تلك الحقبة مركزاً من مراكز السلطة المحلية العثمانية.
- وعلى ما يبدو أن المشروع اليهودي الذي طرحه نابليون في بيانه قصد منه التماس الدعم السياسي لفرنسا ضد الأطماع الانجليزية المنافسة لها في المنطقة، لكن المشروع كان قد انتهى بهزيمة نابليون أمام أسوار عكا، الأمر الذي عملت بريطانيا على تحقيقه على أرض الواقع لاحقاً⁽¹⁾.
 - محمد علي باشا والصراع على القدس
- ومن أبرز الأحداث التي كان لها أثرها في عهد السلطان العثماني محمود الثاني والعهود اللاحقة هي حملة عسكرية مصرية كانت قد توجهت لاحتلال بـلاد الـشام بقيادة الـاهيم باشا أكبر أبناء محمد على باشا مالي مصر في 24 ترشيبين الأمل ام ام

بقيادة إبراهيم باشا أكبر أبناء محمد علي باشا والـي مـصر في ٢٩ تـشرين الأول لعـام ١٨٣١م، والتي كان لها نتائج سلبية على مدينـة القـدس. تلـك الحملـة الـتي شـكلت منعطفاً مهماً في تاريخ العرب الحديث^(٣).

وهكذا أحتل إبراهيم باشا غزة ويافا والقدس ومنطقة الجليل. وكان قد هزم الجيش العثماني في عدة مواقع، كان آخرها في الأناضول عند مدينة قونية عام ١٨٣٢م، وتم الصلح بين الطرفين في كوتاهية عام ١٨٣٣م، وبموجب هذا الصلح دخلت فلسطين بما فيها القدس في حوزة محمد علي باشا. كان إبراهيم باشا المشرف الأعلى على الحكم في بلاد الشام بصفته القائد العام للجيش. وقسمت بلاد الشام غلى عدة مديريات يحكم كلاً منها مدير، وهي: حلب وطرابلس وأضنه مع طرسوس، وصيدا مع القدس وغزة ويافا^(١).

وعلى هذا الأساس، أرسل إبراهيم باشا في عام ١٨٣١م، حامية من جيشه إلى مدينة القدس، بعد أن أصدر مرسوماً إلى شيخ الحرم القدسي والمفتي ونقيب الأشراف، حيث أمرهم فيه: التسامح في معاملة المسيحيين واليهود. ۲. رفع جميع الضرائب التي كانت تؤخذ من المسيحيين واليهود. ٣. عمل إبراهيم باشا على إصلاح نظام الضرائب، وألغى بعضها. ٤. عمل على قمع البدو وأنزلهم إلى المناطق المهجورة. ه. شجع الفلاحين على العودة إلى أراضيهم.

> وهكذا قد تميز عهد إبراهيم باشا في القدس بمايلي: ١. إقامة بعض المنشآت على نفقته الخاصة. ٢. جدد عمارة السرايا القديمة الكائنة على طريق الجسمانية. ٣. بني طاحونة الهواء والزاوية الإبراهيمية. بنى سلسلة من القلاع لحراسة الطريق بين القدس ويافا.

۵. شيد القلعة الكبيرة بالقرب من برك سليمان.

ففي شهر نيسان عام ١٨٣٤م، فرض إبراهيم باشا ضرائب جديدة ونزع السلاح من السكان وفرض التجنيد الإجباري، الأمر الذي أدى إلى موجة من الاستياء، فحمل الناس السلاح واشتعلت الثورة في أماكن عديدة بما فيها مدينة القدس الـتي غـاب عنهـا الأمـن والاستقرار، ففي خريف عام ١٨٣٩م طلب القنص البريطاني بالقدس من إبراهيم باشـا السماح لثري بريطاني يهودي من تبليط ساحة البراق (المبكي)، ولكن طلبه هـذا قوبـل بالرفض. وهكذا كان قد استرد العثمانيون السيطرة على مدينة القدس من الحكم المصري في عام ١٨٤٠م بمساعدة الدول الغربية وعلى رأسها بريطانيا (١).

القدس وأطماع الغرب

حاول محمد على باشا كسب تأييد الدول الأوروبية في مشروعه للسيطرة على بلاد الشام، بما فيها مدينة القدس، وذلك بانتهاج سياسة ساعدت على الوجود المباشر للأوروبيين في محيط مدينة القدس، حيث أدت السياسة المصرية هـذه إلى المساواة في

(١) علي محافظة وآخرون، المرجع نفسه، ص٢٤٩و٢٥٠

الوضع الاجتماعي للأقليات الدينية. ومن الطبيعي أن تتيح هذه السياسة المجال واسعاً أمام البعثات الدينية التبشيرية والقنصليات الأوروبية بالتغلغل السياسي والديني والثقافي، والعمل على تأسيس مؤسسات دائمة على أرض مدينة القدس^(۱). وهكذا تنافست الإرساليات الأجنبية فيما بينها على إرسال البعثات وبناء الكنائس، والأديرة، والمستشفيات في القدس وضواحيها، وكانت جعية لندن للتبشير بالنصرانية بين اليهود التي تأسست عام ١٨٢٥م، أقدم هذه البعثات، حيث كانت قد

اتخذت من القدس بعد عام ١٨٤٠م مركزاً لها(٢).

كانت بريطانيا وبروسيا قد اشتركت في عام ١٨٤١م في تأسيس أسقفية انجليكانية في القدس بهدف التبشير بالمذهب البروتستنتي بـين اليهـود، وكـان مايكـل الكـسندر اليهودي الأصل أول أسقف لها. وقـد نـتج عـن ذلـك كلـه نـشاط تبـشيري مكثف، وتنافس حاد بين الإرساليات التبشيرية المختلفة^(٣).

وكان السلطان عبد الجيد الأول^(٤) قد أصدر مرسومين، الأول في عام ١٨٣٩م "خط شريف كلخانة"، وقد كفل مساواة المسلمين والذميين من الرعايا العثمانيين، والمرسوم الثاني في عام ١٨٥٦م "خط شريف همايوني" الذي أكد على المساواة بالضرائب (إلغاء الجزية) وتمثيل الطوائف غير الإسلامية بمجالس محلية، وكلاهما يقضيان بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين في الحقوق والواجبات دون تمييز، بغض النظر عن المعتقدات الدينية^(٥).

ونتيجة لهذه الإصلاحات الجديدة، شهد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي اهتماماً أوروبياً واسعاً بمدينة القدس، وذلك عندما نجحت المملكة المتحدة في استصدار قرار في عام ١٨٣٨م، لإقامة قنصلية بريطانية، فهي تعد أقدم الدول الأوروبية في تأسيس وجود سياسي ودبلوماسي لها على أرض القدس.

أما عن الوجود الفرنسي، فقد وجهت فرنسا نشاطها إلى التعليم وبناء المستشفيات وبعثات التنقيب عن الآثار ثم تم تأسيس قنصلية فرنسية في القـدس عـام ١٨٤٣م. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، اهتمت فرنسا بمـسألة الحمايـة الفرنسية

الدينية في القدس، وذلك من خلال التغلغل الديني والثقـافي فيهـا، وبمـشكلات الأمـاكن المقدسة وامتلاكها، وبقضايا فردية مثل إعادة ترميم قبة كنيسة القيامة. ومن الوسائل الـتي استخدمتها بروسيا لتدعيم نفوذها في القدس تأسيس قنصلية لها في عام ١٨٤٢م. وفي عام ١٨٦٨م، أصبحت القنصلية العامة لإتحاد ولايات شمال ألمانيا. وفي عام ١٨٧١م، توسعت لتصبح القنصلية العامة للإتحاد الألماني.

وعن الوجود الأمريكي في القدس، حيث بدأ المبشرون الأمريكان نـشاطهم منـذ عام ١٨١٩م. وبعد توقيع المعاهدة التجارية بين أميركا والدولة العثمانية سنة ١٨٣٠م، تهيأ الجو لنشاط الإرساليات الأمريكية، وزاد هـذا النـشاط بعـد تأسـيس القنـصلية الأمريكية في القدس عام ١٨٥٧م. وكان جون غورهام أول قنصل أمريكي يرفع علم أميركا على قنصلية بلاده في القدس، في ٤ تموز عام ١٨٥٧م، ثم تأسيس القنصلية الأيطالية في القدس، عام ١٨٧٢م (١).

القدس والحركة العمرانية في ظل الدولة العثمانية

أهتم العثمانيون بالعمران في مدّينة القدس، فأقاموا فيها منشآت عمرانية عديدة كان أبرزها ما أنجز في عهد السلطان سليمان القانوني. ففي فترة حكم سليمان (١٥٢٠-١٥٦٦م) نعمت القدس بأزهى أيامها. فبدأ التعمير بترميم شامل لقبة الصخرة بناء على أوامر السلطان سليمان. واستعيض عن الفسيفساء إلتي كانت تحـيط بالأجزاء العلوية من الجدران الخارجية بالخزف المزخرف. في حين كُسيت الأجزاء السفلي بالرخام. كما جددت نوافذ قبة الصخرة وثلاثة من أبوابها الأربعة. وكسيت قبة السلسلة المجاورة بالخزف المزخرف (٢). وتعتبر فترة السلطان سليمان القانوني نجل السلطان سليم الأول، الفترة الذهبية بالنسبة لأسوار القدس، حيث أمر هذا السلطان بإعادة بناء أسوار المدينة من جديـد. وكانت تلك خطة استلزمت مهارة عالية ونفقات باهظة. ولم يقم العثمانيون ببناء استحكامات معقدة كتلك سوى في أماكن قليلة أخرى. وبلغ طـول الـسور الـذي مـا زال موجودا إلى الأن ميلين بارتفاع قرابة أربعين قدما. وأحاط المدينة إحاطة تامة وكان فيه أربعة وثلاثون برجا وسبعة أبواب، تحمل ستة منها نقوشاً تسجل تاريخ بنائها. لقد استمر بناء السور خمس سنوات ١٥٣٦-١٠٤٠م)(").

(١) على محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٢٦١ و٢٦٢، صالح الشورة، مرجع سابق، ص٤٩٤، نقلاً عـن عـادل ومنيَّر إسماعيل، الصراع الدُّولي (الوثائق الدِبلوماسية)، ق٦، ج١، ص٢٩ آ (٢) كامل العسلي، القدس، ص٢٣٣و٢٢ نقلاً عن سجلات المحكمة الشرعية بالقدس، سجل ٤٤، ص٥٧٧ (٣) كامل العسلي، القدس، مرجع سابق، ٢٣٤

ومع انتهاء بناء السور أصبحت المدينة محصنة لأول مرة منـذ أكثـر مـن ثلاثمائـة سنة، منذ أن دمر الملك المعظم عيسى الأيوبي أسوار القدس سنة ١٢١٩م، وذلك أثناء حصار القوات الصليبية لمصر^(۱).

وأولى السلاطين العثمانيون مشكلة المياه في القدس عناية خاصة، لـذلك أنفق السلطان سليمان القانوني مبالغ طائلة في نظام المياه بالمدينة من حيث الـصيانة، ومنها قناة السبيل التي تم تعميرها لتزويد القدس بالماء من الـبرك والينـابيع ما بـين الخليـل وبيت لحم. وقد سميت فيما بعد باسم السلطان (برك سليمان). ورمم السبيل الكائن أمام بركة السلطان، والسبيل الواقع في طريق الواد، والسبل الواقعة في ساحة المسجد القدسي الشريف، مثل السبيل الواقع عند باب السلسلة أما المدرسة التنكزية^(٢).

واستمرت عمليات البناء والترميم في العهد العثماني، ولاسيما بعد السلطان سليمان، فكان من أهمها ما تم من بناء في عهد السلطان عبد العزيز خان (١٨٦١-١٨٧٦م)، الذي خلف أخاه السلطان عبدالجيد، وذلك بشأن المقدسات الإسلامية في القدس. ففي عهدهم أنشئت مباني عديدة في الحرم القدسي الشريف، حيث أنفق وهكذا تُعد العمارتين الله ليرة ذهبية عثمانية على البناء^(٣). وهكذا تُعد العمارتين اللتين نُفذت في عهد السلطان عبدالجيد عام ١٨٥٣م، والسلطان عبدالعزيز عام ١٨٧٤م، من أضخم الأبنية التي شيدت في محيط قبة الصخرة والمسجد الأقصى في العهود الإسلامية، بعد ما أنجز من عمارة للمسجد الأقصى وقبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان عام ٢٧هـ⁽¹⁾. المدينة المقدس، من أضحم الأبنية التي شيدت في حيط قبة المخرة والمسجد الأقصى في العهود الإسلامية، بعد ما أنجز من عمارة للمسجد الأقصى وقبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان عام ٢٧هـ⁽¹⁾. المدينة المقدسة، حيث تم بناء العديد من المنشآت المائية، منها قناة السبيل عام ١٨٩٩م، وقر باب الخليل في العام نفسه^(٥).

بناء منشآت اجتماعية وخدمية في القدس لقد أسس العثمانيون المدارس، والمستشفيات، والحمامات التركية، والطرق في



بيت المقدس، وذلك تحسيناً لحال المدينة. كما تأسست المدرسة الرصاصية في حارة الواد عام ١٥٤٠م في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني^(١). وتأسست المدرسة الرشيدية عام ١٩٠٦م، نسبة إلى رشيد بيك متصرف القدس. وقد ساهمت تلك المدارس في تطوير التعليم في مدينة القدس^(٢).

وانشأ العثمانيون عدداً من المستشفيات الحكومية التي تصرف عليها الدولة، ومن أشهرها، المستشفى البلدي الذي أنشئ في حي الـشيخ بـدر، ومعـروف اليـوم باسـم مستشفى روميما، وهو يقع في غربي مدينة القدس، وقد عمر هـذا المستـشفى في عـام ١٨٩١م، وذلك في عهد السلطان عبدالحميد خان الثاني^(٣).

فلسطين حّت الانتداب البريطاني (١٩١٨–١٩٤٨م)

مر تاريخ القدس تحت الاحتلال البريطاني بمرحلتين: الأولى تحت الإدارة العسكرية منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٢٠م، حيث كان اللواء العثماني علي باشا فؤاد قد عمل على تسليم مدينة القدس بعد عجزه عن الدفاع عنها أمام الحصار البريطاني في حملته الثالثة الذي فرضها الجنرال أدموند اللنبي قائد القوات البريطانية على مدينة القدس⁽³⁾. ففي ٨/ ١٢/ ١٩١٧م، كان المتصرف العثماني عزت بك قد ترك مدينة القدس بعد أن عهد إلى كامل الحسيني مفتي القدس، وحسين بك الحسيني رئيس بلدية القدس بتسليمها للبريطانيين^(٥). وقد تسلم الجنرال Shea قائد الفرقة الستين للجيش البريطاني وثيقة التسليم، وذلك تحت ضغط القوة العسكرية البريطانية وظروف الحرب العالمية الأولى^(٢).

وهكذا دخل البريطانيون بيت المقدس بقيادة الجنرال أدموند اللنبي في ١١/ ١٢/ ١٩١٧م، حيث أعلن الأحكام العرفية وخاطب السكان مبيناً أهمية بيت المقدس وقدسيتها، ودعاهم إلى أداء أعمالهم كالمعتاد، كما أعلمهم بأن الأماكن المقدسة وبأشكالها المتعددة للطوائف الثلاث سوف يحافظ عليها وفقاً للعادات والتقاليد المتبعة لدى كل طائفة^(٧).

كانت بريطانيا قد شكلت إدارة عسكرية في فلسطين باسم "إدارة بلاد العدو المحتلة الجنوبية" وكان أول من تولى هذه الإدارة العسكرية في الفترة ما بين ١٩١٧ وحتى ٣٠/٦/ ١٩٢٠م على التوالي كل من الجنرال جلبرت كلايتون، ثم خلفه موني، فلجنرال واتس، وأخيراً بولز، وكانت هذه الإدارة العسكرية ترتبط بالجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية في القاهرة⁽¹⁾.

أما أول حاكم عسكري على مدينة القدس، فكان رونالد ستورس، وقد خضعت الإدارة العسكرية لنصائح وتوجيهات البعثة اليهودية التي حضرت إلى فلسطين في ١/ ٧/ ١٩٢٠، برئاسة حاييم وايزمان وضابط الارتباط البريطاني Orms-by Gore وقد أسست البعثة اليهودية هيئة خاسية للإشراف على إنشاء الوطن القومي اليهودي، حيث وضع رئيس البعثة وايزمان حجر الأساس للجامعة العبرية في القدس في عام ١٩٢٥م^(٢). ثم بادر بولز بتسليم فلسطين إلى هربرت صموئيل، حيث كان أول مندوب سامي بريطاني من أصل يهودي على فلسطين. وبهذا الإجراء انتهت الإدارة العسكرية في فلسطين، وحلت مكانها الإدارة المدنية^(٣).

أما المرحلة الثانية من تاريخ مدينة القدس تحت الاحتلال البريطاني فهي الإدارة المدنية البريطانية (١٩٢٠–١٩٤٨م)، حيث كان الحكم البريطاني في فلسطين على نمط حكم المستعمرات، فالمندوب السامي هو المشرع، وأعلى موظف بريطاني في فلسطين، ويتصل مباشرة بوزير المستعمرات، باعتباره المسئول عن سياسة المستعمرات أمام البرلمان البريطاني. وللملك والحكومة البريطانية والبرلمان الحق في سن القوانين النافذة في فلسطين⁽³⁾.

أما الإدارة البريطانية المركزية في القدس، فكانت برئاسة المندوب السامي، ومقره في مبنى مستشفى الملكة Augus Victoria ugn على جبلScopus فقد تولى منصب المندوب السامي بعد هربرت صموئيل (١٩٢٠–١٩٢٥م)، وذلك في الفترة ما بين سنة ١٩٢٥م وحتى سنة ١٩٤٨م ستة مندوبين ساميين على النحو التالي: ١.الجنرال بلومر (١٩٢٥–١٩٢٨م). ٢. جون تشانسلور (١٩٢٨–١٩٣١م). ٣. أرثر غرنفيل وآكهوب (١٩٣١–١٩٣٩م). ٤. الفرد ماك مايكل (١٩٣٨–١٩٤٤م).

> (١) عارف العارف، المفصل، مرجع سابق، ص٣٨٧ (٢) راجع أحمد طربين، فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣٩٤ (٣) خالد فلاح العلي، فلسطين والانتداب البريطاني، بيروت، ١٩٨٠، ص٩ (٤) زعيتر، القضية الفلسطينية، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥، ص٣٣

٥. جورت (١٩٤٤-١٩٤٥م). ٢. ألن كاننجهام (١٩٤٥-١٩٤٨م)⁽¹⁾.
 وإلى جانب المندوب السامي في القدس كان يقوم مجلس تنفيذي يتألف من كبار رؤساء الدوائر البريطانيين، نذكرهم على النحو التالي:
 ١. السكرتير العام للحكومة، وكان يشرف على الزراعة، والآثار القديمة، والمعارف، والصحة، والأراضي، والمساحة، وجعيات التعاون والهجرة، والأشخال العامة والمحوس والبريد والسكك الحديدية.
 ٢. النائب العام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٣. السكرتير اللام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٣. السكرتير اللام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٣. السكرتير اللام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٣. السكرتير المالي.
 ٣. السكرتير اللام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٩. العام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٩. السكرتير المالي.
 ٣. السكرتير المالي.
 ٣. السكرتير المالي.
 ٩. النائب العام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٩. العام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٩. السكرتير المالي.
 ٩. السكرتير المالي.
 ٩. العام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٩. السكرتير المالي.
 ٩. العام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٩. العام، وهو بمثابة المستشار القضائي للحكومة.
 ٩. المالي.

ففي عهد الإدارة المدنية البريطانية في حكم فلسطين، افتتح اللورد بلفور الجامعة

العبرية في مدينة القدس في مارس عام ١٩٢٥م^(٤). وفي الوقت نفسه أصبحت اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والإنجليزية، واستقل اليهود بإدارة معارفهم، ومدارسهم بإشراف اللجنة التنفيذية للمنظمة اليهودية. أما دائرة المعارف العربية فكانت بيد القيادة البريطانية^(٥).

عندما استلم المندوب السامي هربرت صموتيل منصبه عام ١٩٢٠م، عمل على تقليص عدد الألوية في فلسطين إلى سبعة، بعد أن كانت عشرة في عهد الإدارة العسكرية، ثم سرعان ما تقلصت إلى أربعة. وبعد ذلك صدر قرار عام ١٩٢٠م تم فيه تحديد التقسيمات الإدارية المحلية لفلسطين. فقسمت إلى ثلاثة ألوية، فجاءت القدس لواءاً قاعدته مدينة القدس^(۱).

(١) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٢٩٧
 (٢) عارف العارف، المفصل، مرجع سابق، ص٢٩٩، علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٢٩٧و٢٩٨
 (٣) زعيتر، القضية، مرجع سابق، ص٣٣
 (٣) زعيتر، القضية، مرجع سابق، ص٣٣
 (٤) مجلة شؤون فلسطينية: الوسائل التعليمية والجامعات والمعاهد العليا في فلسطين، عدد٢٤، آب١٩٧٣
 (٥) زعيتر، القضية، ص٣٦
 (٦) مدوح الروسان، القدس في عهدي الاحتلال والانتداب، ص٢٩٩

الأقضية التابعة للواء القدس

كان لواء القدس قد ضم عدة أقضية، حيث ترأس القضاء في كـل لـواء موظـف كبير يطلق عليه اسم (قائم مقام)، ويمتل السلطة الرسمية في القضاء ويرجع في الأمور المهمة إلى حاكم اللواء الذي يتبعه، وما يلي أقبضية لـواء القـدس : ١. بيت لحم ٢. الخليل ٣. القدس ٤. أريحا ٥. رام الله ٦. يافا^(١). ففي سنة ١٩٢٧م قـسمت فلـسطين إلى ثلاث مناطق إدارية، فكانت القدس إحداها، حيث استمر هذا التقسيم حتى نهاية الانتداب البريطاني عام ١٩٤٨م (٢).

وحول إدارة بلدية القدس، كان قد تأسس أول مجلس بلدي للمدينة عام ١٨٦٣م، وقد تم تعيين أعضاء المجلس البلدي من قبل الدولة العثمانية في اسطنبول، ولم يمارس هــذا المجلس أعماله بشكل عملي إلا مع صدور قانون البلديات سنة ١٨٧٧م"). ومع ذلك كان المجلس البلدي محدودة الموارد المالية، بحيث لا تتجاوز ميزانيتها الخمسمائة ليره عثمانية. ففي عام ١٩٠٨م ومع تنظيم المجلس ارتفعـت الميزانيـة لتبلـغ عـشرة آلاف لـيرة عثمانية. وبلغت أول ميزانية للمجلس البلدي لمدينة القدس مع الانتداب البريط انى عـ ام ١٩١٧م، خمسة عشر ألف ليرة عثمانية. في حين بلغت إيرادات المجلس البلدي مع نهاية الإدارة العسكرية سبع وستين ألفاً ومائتين وسبعاً وعشرين ليرة عثمانية (٢).

القدس والاستيطان اليهودي

كان الجنرال البريطاني أدموند اللنبي قد استدعى مهندس مدينة الإسكندرية ماكلين وطلب منه وضع الخطة الهيكلية الأولى لمدينة القدس، وكذلك المقاييس والقيود المتعلقة بالبناء والتطوير فيها، فوضع أول مخطط هيكلي لها عام ١٩١٨م، والذي أصبح بمثابة أساس المخططات التي تلته، وبناء على هذا المخطط كانت القدس قد قسمت إلى أربع مناطق كما يلي: ٢. المناطق المحيطة بالبلدة القديمة. البلدة القديمة وأسوارها. ٤. القدس الغربية اليهودية. ٣. القدس الشرقية العربية.

(١) منظمة التحرير الفلسطينية، وثائق فلسطين، ١٨٣٩–١٩٧٨م، ص٤٥٢ ۲) محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص١٧٤ (٣) صالح الشورة، مرجع سابق، ص٨٢ نقلاً عن أسامة الحلبي، بلدية القدس العربية، ص٨ (٤) صالح الشورة، المرجع نفسه، ص٨٢ نقلاً عن شمعون لندمان، أحياء وأعيان القدس خارج أسوارها، ص٧٢

وهكذا نصت الخطة على منع البناء في المناطق المحيطة بالبلدة القديمة، كما وضعت قيود صارمة على البناء في القدس الشرقية العربية. في حين أعتبرت منطقة القدس الغربية منطقة قابلة للتطوير بدون حدود، الأمر الذي عزز الوجود اليهودي في القدس تمهيداً لتحويلها كعاصمة للدولة اليهودية المنتظرة، وساعد على ذلك ارتفاع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وذلك في النصف الأول من عقد الثلاثينات⁽¹⁾.

ففي عام ١٩١٩م، كان عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين قد أرتفع من ١٨٠٦ مهاجر إلى ٢٦, ٢٢ عام ١٩٣٥م. في حين بلغ عدد سكان فلسطين (مسلمون عرب) عام ١٩٤٧م نحو ١,٥٤٨, ٢٥٥، ١، ومسيحيون ٣٣٠, ١٤٥، وآخرون نحو ٢٨، ٢٥، أما اليهود فبلغ عددهم نحو ٢٠٨, ٤٨١ وبالتالي نلحظ تزايد عدد اليهود من ٥٥ ألف لعام ١٩١٨م إلى ٦٠٨٤٨١ لسنة ١٩٤٧م^(٢).

التوزيع السكاني لبلاد الشام في أواخر القرن الأول الميلادي

كان قد بلغ مجموع سكان بلاد الشام في أواخر القرن الأول الميلادي نحـو مليـون وتسعمائة وخمسة وثمانين ألف موزعين كما يلي:

الجدول رقم (۱)^(۳)

السكان الأصليون من سلالة كنعان العربية ٢٢ ألف ٣٦,٥ ٣٦ ٪ قبائل عربية في نابلس وبيسان والأردن ٥٥ ألف ٥، ٢٧ ٪ سكان المدن الساحلية الفلسطينية ١٨٠ ألف ٥,٩ ٪ يهود من أسباط إسرائيل الاثنا عشر ٢٢ ألف ٢٢ ٪ بقايا يونان وبعض الرومان

وكان قد قدر عدد سكان بعض المدن الكبرى في بـلاد الـشام، وذلـك في أواخـر القرن الأول الميلادي كما يلي:

(١) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣٠١-٣٠٢
 (٢) المرجع نفسه، ص٣٠٢
 (٣) المرجع نفسه، ص٣٠٢
 (٣) شفيق جاسر، بحث مقدم لمؤتمر كلية الأداب الأول: القدس في الخطاب المعاصر، ١٢-١٣/ ٥/ ١٩٩٨م، موسوم (٣) شفيق جاسر، بحث مقدم لمؤتمر كلية الأداب الأول: القدس في الخطاب المعاصر، ١٢-١٣/ ٥/ ١٩٩٨م، موسوم بالتغيرات الديموغرافية في القدس منذ تأسيسها وحتى عام ١٩٩٥، جامعة الزرقاء الأهلية، ص٤٠ الماديم عن إبراهيم التغير المعاصر، ١٣

الجدول رقم (٢)^(١)

•	·
۱۷۰ ألف	القدس (أورشاليم)
۱۵۰ آف	البتراء
۱۱۰ الف	نابلس (شكيم)
۱۰۰ الف	جرش (جيرازا)
۹۰ الف	السامرة
۸۰ ألف	بيسان

ففي مطلع عهد الدولة الأموية (٤١هــ/ ٦٦١م –١٣٢هــ/ ٧٥٠م)، وعاصمتها دمشق، يقدر عدد السكان في ضفتي الأردن بما فيها المدن الساحلية الفلسطينية القديمـة نحو مليون وسبعمائة ألف نسمة موزعين على النحو التالي:

الجدول رقم ^{(٢)(٢)}

7. 3.	عرب من أصل كنعاني وعموني وآرامي
×۳ ٪	قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية قبل الميلاد
7.18	سلالات عربية قبلية وفدت بعد الميلاد
7. o	عرب هاجروا في العهد الراشدي
7.10	بقايا يونان ورومان وبيزنطيين وفرس وغيرهم

ويلاحظ أن المنطقة كانت خالية من اليهود طيلة العهـد الأمـوي حـسب التقـدير السكاني أعلاه، إذا ما استثنينا تواجد أعداد قليلة منهم في مدينة القدس، نحو عـشرين شخص من الذكور كانوا يمارسون بعض الأعمال هناك.

الجدول التالي يوضح الوجود اليهودي في بلاد الشام بما فيها القدس وذلك خلال العهد العباسي ٧٥٠ – ١٢٥٨م. علماً أن هذه المنطقة بقيت خالية من الوجود اليهودي حتى القرن العاشر الميلادي ثم بدؤوا بالتغلغل في الدور العباسي الثاني، حيث تم السماح لليهود بدخول مدينة القدس بعد أن كانت محرمة عليهم، وتورد الوثائق التاريخية قدوم مجموعات من اليهود من بلاد مختلفة إلى بلاد الشام موزعين على النحو التالي:

> (١) شفيق جاسر، مرجع سابق، ص٤، نقلاً عن إبراهيم الشريفي، أورشاليم وأرض كنعان، ص١٥٤ (٢) شفيق جاسر، المرجع نفسه، ص٧

جدول رقم (٤)^(۱)

مجموعات من يهود القوقاز		۵۰۰۰ نسمة
عبر الأناضول	السلاجقة	
يهــود مــن بحــر قــزوين	بلغ من استقر في حلب ودمشق وفلسطين	۲۰۰۰ نسمة
وطبرستان وأذربيجان	في عهد ألب أرسلان وولده ملكشاه	
	السلجوقي.	
يهود من شمال أفريقيا	بلغ من استقر في فلسطين في عهد الخليفة	۱۲۰۰ نسمة
	العزيز بالله الفاطمي.	
يهود من الإسكندرية ودمشق	في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي	عدد غير معروف
أقاموا في فلسطين		
يهود في مدينة القدس كان قد	أثناء الاحتلال المصليبي للقدس عام	نحو ۱۰۰۰ شخص
تم تصفيتهم	٢٠٩٩	
تم منع دخول اليهود إلى مدينة القدس	خلال الاحتلال الصليبي ١٠٩٩–١١٨٧م	عدد قليل من الصناع والمهرة
تم الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	بعد تحرير القدس في معركة حطين في	عدد غير معروف
الأرثوذكس بالبقاء في مدينة	بعد تحرير القدس في معركة حطين في عهد صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.	
القدس والعودة إليها.		
يهمود من القوقماز وقمزوين	بلغ منهم من دخل سوريا بعـد تحريـر القدس في معركة حطين في عهـد صـلاح	۹۰۰۰ نسمة
وبلاد الروم	القدس في معركة حطين في عمد صلاح	
	الدين.	
يهمود ممن القوقماز وقمزوين	یں بلغ منھم من دخل فلسطین بعد معرکۃ	۸۰۰۰ نسمة
وبلاد الروم	حطين، حيث سكن بعضهم القدس.	
جالية يهودية مقيمة في القدس	في عام ١٤٨٩م	نحو ۱۵۰۰ شخص من سکان
		مدينة القدس كما بلغ في نفس
		العام عشرة الاف نسمة.

وكانت الدولة العثمانية قد تساهلت في دخول اليهود لفلسطين بما فيها القـدس، فأصبح الحائط الغربي من ساحة المسجد الأقصى منذ عام ١٥٢٠م، جزءاً من التقاليـد الدينية نتيجة هجرة اليهود من أسبانيا بعد الفتح العثماني للمشرق العربي^(٢).

 (١) كان عدد سكان فلسطين في القرن ١٤م أكثر منه في القرن ١٩م، وذلك بسبب مرض الطاعون (الكوليرا) الذي إجتاح المنطقة وأباد ثلث السكان في اواسك القرن١٤، شفيق جاسر، البحث السابق، ص٥-١٠، نقلاً عن الشريفي، أورشاليم وأرض كنعان، مرجع سابق، ص١٥٤
 (٢) الموسوعة اليهودية، ج١٦، إصدار ١٩٧١م، ص٠٤٤، عبدالحميد زايد، القدس الخالدة، ٢٥٦

والجدول التالي يوضح الوجود اليهودي في مدينة القدس في العهد العثماني وذلك على النحو التالي:

جدول رقم (٥)^(۱)

١١٥ شـخص وردت أسمـاؤهم	إحصاء عام ١٥٢٠م	عدد اليهود في القدس
في سجل الحرم الشريف		
ثلاثة آلاف يهودي وصل نصفهم	القرن السابع عشر	مهاجرين يهود من أوروبا الوسطي
إلى فلـــسطين مـــن الولايـــات		
العثمانية في البلقان.		
٤٦ الـف مـواطن جُلـهم مـن	احصائية حاكم القدس	سكان القدس من مختلف الطوائف
العرب والمسلمون	العثماني لعام ١٦٧١م	والأمم
غير معروف عدد المهاجرين	أسمسوا طائفة اشكنازية إلى	مهاجرون يهود من بولونيا إلى القدس
	جانب السفرويمية	
نحو بضع مثات	عام ۱۷۷۷م	عدد اليهود في القدس
يهودي واحد	عام ۱۷۹۳م	الوجود اليهودي في القدس
٢٠٠٠ ثم ارتفع في العمام نفسه	عام ۱۸۰٦م	عدد اليهود بفلسطين
إلى ٨٠٠٠		
۲۰ ألف ويذكر ۲٤ ألف نسمة	عام ١٨١٥م	عدد اليهود في القدس
۳۰۰۰ نسمة	عام ۱۸۱۹م	عدد اليهود في القدس
۳۲۵۰ نسمة	عندما سيطر محمد علي باشا	عدد اليهود في القدس
	على القدس	
ارتفع عددهم إلى ٥٥٠٠ نسمة	عندما عدادت القدس	عدد اليهود في القدس
	للعثمانيين	
۱۱ ألف نسمة	ارتفاع بسبب فرمان السلطان	عدد اليهود في كامل فلسطين
	عبدالججيد في تشرين الأول لعام	
	١٨٤٠م، الـذي كفـل لهـم	
	الحماية وحرية العبادة	

(١) راجع شفيق جاسر، مرجع سابق، ص١١–١٤، نقلاً عن عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص٢٥٢، أمين عبدالله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية، عالم المعرفة عـدد ٧٤، ص٣٩و٤، هنري كـتن، فلسطين في ضوء الحق والعدل، ص٧و١٧، صبري، لواء القدس، ص٣٣و٣٤، مجلة صامد، تحت عنوان: ألمانيا النازية ومشاريع الاستيطان، عدد، ٩٠، ١٩٩٢، ص١٨٦، عبدالجواد صالح، التدمير الجماعي للقـرى الفلـسطينية والاستعمار الاستيطاني الصهيوني خلال مائة عام ١٨٢-١٩٨٩م.

٤٥ ألف مهاجر	كان ذلك بعد اغتيال القيصر	مهاجرون يهمود إلى الدولة العثمانية
	الكسندر الثاني عـام ١٨٨١م،	كانوا قــد اســتقروا في اســتانبول
	فقامت ثورة ضد يهود روسيا	وأنطاكيا والشام، حيث أقمام بعمضهم
		في قيسارية ويافا والقدس
۲۰ ألف ويذكر ۳۰ أو ٤٠ ألف،	بعد عزل السلطان عبدالحميد	عـدد اليهـود في فلـسطين بمـا فيهـا
فشكلوا أغلبية السكان. فمنهم	الثاني ١٩٠٩م	القدس
١٠ الأف مسجلين في القنصليات		
الأجنبية و١٥ ألف بدون.		
۹۰ ألف نسمة	في الفـترة مـا بـين ١٩٠٩-	بلغ عدد يهود القدس
	۳۱۹۱۳	
بلغ العد الكلي في القدس ٥٠	الخف أض عربام ١٩١٧م	عدد اليهود في القدس
ألف نسمة	لهجرتهم إلى مصر	
٣٤٠ أليف مستهم ٢٢٦ ألفياً	كما جاء في جريدة فلسطين	عدد سكان متصرفية القـدس: قـضاء
مسلمون و٧٠ ألف يهودي و٤٠	اليافية في ٢/ ٨/ ١٩١٢م	القمدس وياف وغزة وبثمر المسبع
ألف مسيحي		والناصرة
٨٦ ألف منهم ٥٣ ألف يهودي	عام ۱۹۲۷م	قدر عدد سكان القدس الكلي
يشكلون ٦٢٪ من مجمل السكان		
مليون وأربعمائة ألف	حسب النشرة الشهرية التي	مجموع سكان فلسطين من العرب
	أصدرتها حكومة الانتداب	
	البريطانية بتماريخ	
	٢٦/ ٣٢ /٣١	
خمسمائة وتسعين ألفاً. وهذا يشير	حسب النشرة الشهرية التي	مجموع سكان فلسطين من اليهود
إلى أن زيادة في عدد اليهود من	أصدرتها حكومة الانتداب	
٢٤ ألفاً عام ١٨٨٢م إلى خمسمائة	البريطانيمية بتمسماريخ	
وتسعين ألفأ عام ١٩٤٧م	p192V/7/71	

جدول رقم (٦) (١): سكان القدس الموحدة من العرب واليهود

النسبة	عدد العرب	النسبة	عدد اليهود	مجموع سكان القدس	السنة
7.81	787	7.09	****	00+++	1917

(۱) شفیق جاسر، مرجع سابق، ص۱۵

النسبة	عدد العرب	النسبة	عدد اليهود	مجموع سكان القدس	السنة
7.20	2418.	7.00	۳۳۹۷۱	۲۲۰۸۳	1977
7.2 •	70	7.23	198	17288.	1957
۲۲٪	79	×.۷٤	198	***	۱۹٦٧
_	٧٤٠٠٠	_	۲۰۸۰۰	۲۸۳۰۰۰	1979
_	۸۳٦۰۰	_	**•*•	2124	1977
_	1188	_	* 9 * 7 • •	٤٠٧١٠٠	1980
٪۲۸,٦	1225	7.21, 2	* • 7 * • •	٤٣٨٧٠٠	۱۹۸۳
_	18	_	****	٤٥٧٧٠٠	١٩٨٥
_	182	_	**1	٤٦٨٩٠٠	۱۹۸٦
_	1802	_	٣٤٦٠٠	٤٢٨٧٠٠	١٩٨٧
7.YA	128	% \\ Y	***	0.9	1989

والجدول التالي يوضح عدد سكان المناطق العربية خارج أسوار مدينة القدس في الأحياء العربية والكثافة السكانية لعام ١٩٨٣م، وذلك على النحو التالي:

جدول رقم (V)^(۱)

الكثافة السكانية	المساحة (دونم)	مجموع	يهود	عرب	الضاحية	الحي
١,٥	225+	3728	٩	****	السابعة	كفر عقاب
۰,۳	۳۳۸۰	٩٦٤	10	٩٤٩	السابعة	عطروت
۲	٣٤٦٠	۷۰۰۵	40	1970	السابعة	بيت حنينا الشمال
۲,٥	188.	٤٦٣٠	٣٩	2091	السابعة	بيت حنينا الجنوب
۰,٩	۳۲۸۰	2722	V	2400	السابعة	شعفاط-الغرب
۲,٥	۲۳۳۰	٥٦٩٨	19	٥٦٧٩	السابعة	شعفاط-الشرق
10	٤٠٠	0917	_	0917	السابعة	مخيم شعفاط
۱,٥	۲۳۸۰	8000	٦	3055	السابعة	العيسوية
٤,٧	177.	7818	11	٦٤٠٧	السابعة	الطور

(١) شفيق جاسر، مرجع سابق، ص١٩، وراجع شفيق جاسر، أطماع الصهيونية نحو المياه والاستيطان، بحث لندوة يوم القدس لعام ١٩٩٤، ص١٤

الكثافة السكانية	المساحة (دونم)	مجموع	يهود	عرب	الضاحية	الحي
٤	142.	0137	۲	٥١٣٠	السابعة	جبل الزينون
۱١,٤	٤١٠	٤٦٨٧	٣	578	السابعة	واد الجوز
۲,۷	79.	1891	۲	1774	السابعة	الشيخ جراح
٣	٤١٠	1777	١	1221	السابعة	شارع نابلس
۱۰,۸	٤٢٠	٤٤٧٩	٤	2270	السابعة	باب الزهراء
٥,٤	٥٣٠	۲۸۸٤	۲	1 777	الثامنة	وادي الحلوة
۹,۸	٥٢٠	0.71	1	0.41	الثامنة	سلوان
٦,٤	177.	11.0	١	۸۱۰٤	الثامنة	رأس العمود
٤,٤	189.	۸۳۳۷	۲۰	NY IV	الثامنة	الثوري المكبر
۱,۳	۲۸۳۰	8009	١	8001	الثامنة	عرب السواحرة
۲	177.	7019	-	7019	الثامنة	أم ليسون
۰,٦	970.	٥٤٨٥	-	٥٤٨٥	الثامنة	صور باهر
۰,۳	۸۱۷۰	۲۸٤٩	٤	۲۸٤٥	الثامنة	صفاقا، شرفات
١,٩	٤٩٧٨٠	97547	171	9777.	الثامنة	المجموع

دوربيت المقدس في نشاطات الحركة الوطنية الفلسطينية نهدف هنا في دراستنا هذه لإبراز الدور القيادي لمدينة القدس في نشاطات الحركة الوطنية الفلسطينية التي كان قد تبين لها أ إن الهجرات اليهودية إلى فلسطين ولاسيما في مدينة القدس ستجعل من الفلسطينيين أقلية في وطنهم^(۱). ومن هنا سوف نذكر لأهم سمات الحركة الوطنية الفلسطينية التي حددتها ظروف الاستعمار العثماني الذي لم يترك في العالم العربي سوى التخلف والضعف في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. ناهيك عن استكمال الاستغلال البريطاني واليهودي ليجعل من الحركة الوطنية الوطنية الفلسطينية الناشئة قوة دفاع ضعيفة أمام خطر جسيم، وانطلاقا من هذه الظروف القاسية، تنعكس لنا بعض سمات الحركة الوطنية بما يلي^(۱):

> (۱) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص۳۰۷ (۲) سمر بهلوان، مرجع سابق، ص۱۷۷

١. قامت الحركة الوطنية الفلسطينية الناشئة على أساس وطني تحرري.
 ٢. وعي الحركة المبكر وإدراكها مدى الخطر الاستعماري من جهة، وخطر الاستيطان اليهودي من جهة أخرى.
 ٣. تركزت مطالب الحركة على الاستقلال ووقف الهجرة وإلغاء وعد بلفور.
 ٤. تميزت بتسارع نموها وتطورها، وذلك من خلال تزايد وعيها الوطني التحرري.
 ٥. اتسمت بشعبيتها، حيث شاركت فيها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية.
 ٦. أتسمت الحركة بإدراكها مدى الخطر الاستعماري من جهة، وخطر الاستيطان اليهودي من جهة أخرى.

انتفاضة عام ١٩٢٠

تأتي هبة العشرين في مقدمة نشاطات الحركة الوطنية الفلسطينية، حيث وظف الفلسطينيون مناسبة دينية يهودية، وذلك للتعبير عن سخطهم تجاه السياسة البريطانية التي تجاهلت وعودها للعرب في تقرير مصيرهم. فاستغلت الجماهير مناسبة احتفال اليهود بموسم النبي موسى عليه السلام، حيث جاءت الجموع اليهودية إلى القدس كمركز تجمع فيها ثم الانطلاق إلى موقع إحياء مناسبتهم، الواقع على بعد ٣٠ كم

هبة عام ١٩٢٩م "حائط المبكى أو البراق"

كان السبب المباشر لتفجر هبة عام ١٩٢٩م، التي لم تقتصر على مدينة القدس، بل امتدت إلى يافا، والخليل وصفد كرد فعل الفلسطينيين على محاولة استخدام حائط المبكى (البراق)^(۱)، من قبل اليهود، الأمر الذي أدى إلى تظاهر اليهود في ١٤ أب لعام ١٩٢٩م، وذلك احتجاجاً على منع اليهود من استخدام ساحة البراق. ففي اليوم التالي اتسعت التظاهرة وضمت تل أبيب، واخترعت شوارعها، كما عبرت شوارع القدس حتى وصلوا إلى الحائط المبكي، ورفعوا العلم الإسرائيلي على الحمائط ورددوا نشيدهم القومي وشتموا المسلمين(٢).

وفي اليوم الثالث أي في ١٦/ ٨/ ١٩٢٩م، ردت الجماهير الفلسطينية على اليهود بتظاهرة كبيرة مما شحن الجو العام بالتوتر والذي قاد إلى الصدام المسلح بين الطرفين، واستمرت الاضطرابات حتى ٢٩ آب لعام ١٩٢٩م (٣). ففي الريف الفلسطيني وتحديداً يوم الجمعة ٢٣/٨ اتخذت المقاومة طابعاً معادياً لليهود وتدفقوا بأعداد كبيرة، فهاجموا الأحياء اليهودية وامتدت هبتهم إلى نابلس والخليل، ثم حيفًا، ويافًا، وصفد، واستمرت المواجهات نحو أسبوعين. فكانت نتائج هبة البراق على النحو التالي:

- ١. قمع الانكليز لهبة البراق بوحشية كان دليل على تحيزهم لصالح اليهود. ۲. تضرر بعض القرى الفلسطينية كدير ياسن. ۳. اعتقال المثات من العرب. ٤. أصدرت السلطة البريطانية عشرين حكماً بالإعدام بحق العرب، نفذت منها ثلاثة: ١. فؤاد حجازي من صفد ٢. عطا الزير ٣. ومحمد جمجوم من الخليل. أصدرت السلطة البريطانية بالسجن المؤبد على ٢٣ عربياً. ٦. كما أصدرت بالسجن لفترات مختلفة على ٩٧٩ عربياً أيضاً. ٧. فرضت السلطات العقوبات والغرامات المالية الجماعية على مدن وقرى الخليل وصفد وعرطاف^(٤).
- (١) المعروف بالبراق نسبة إلى البراق الذي حمل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مـن المـسجد الحـرام إلى المـسجد الأقصى (٢) أميل توما، جذور القضية الفلسطينية، دمشق، ١٩٨١، ص١٧٠ (۳) المرجع نفسه، ص١٧٠ و١٧١ (٤) عبد القادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨م، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٤، ص١٠١

٨. أما في الجانب اليهودي فجاءت النتائج بالحكم على شرطي واحد بالإعـدام، وذلـك لأنه أفنى أسرة عربية بسلاح الحكومة. كما صدرت أحكام مخففة على ٩٢ مستوطناً.
٩. أما الجرحى والقتلى في الجانب اليهودي فكانت على النحو التـالي: ١٣٣ قتيـل و٣٣٩ جريحاً.

١٠. أما الجرحي والقتلي في الجانب العربي فكانت على النحو التـالي: عـرب ١١٦ شهيد من مدينة القدس وضواحيها، و٢٣٢ جريحاً^(١).

القدس والأحزاب السياسية خلال عقد الثلاثينات

أخذ النضال الحزبي الفلسطيني يتشكل بشكل تصاعدي، نتيجة لأسباب داخلية وخارجية وكان ذلك خلال عقد الثلاثينات عندما نشأت في فلسطين بما فيها القـدس ستة أحزاب سياسية. في حين ضعفت الحركة الوطنية خـلال الحـرب العالمية الثانية متة أحزاب مياسية. أما عن أحزاب عقد الثلاثينات نوجزها على النحو التالي: ١.حزب الاستقلال سنة ١٩٣٢م، برئاسة عوني عبد الهادي، ومقرة القدس ٢. حزب الدفاع في ٢ شباط ١٩٣٤م، برئاسة راغب النشاشيبي، ومقرة القدس. ٣. الحزب العربي في ٢٤ نيسان ١٩٣٥م، برئاسة جمال الحسيني، ومقرة القدس.

- ٤. حزب الإصلاح في ١٨ حزيران ١٩٣٥م، برئاسة حسين فخري الخالدي، ومقرة القدس.
- ٥. حزب الكتلة الوطنية في ٤ كانون ثاني ١٩٣٥م برئاسة عبد اللطيف صلاح، ومقره نابلس.
 - ٦. حزب الشباب في ١٠ أيار ١٩٣٥، برئاسة يعقوب الغصين، ومفره الرملة^(٢).

وعندما قامت الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩م كانت قد شكلت هذه الأحزاب قيادة موحدة باسم اللجنة العربية العليا، وذلك برئاسة أمين الحسيني، وعضوية عوني عبدالهادي (أميناً للسر)، وأحمد حلمي (أميناً للصندوق)، وحسين فخري الخالدي، وراغب النشاشيبي، ويعقوب فراج، وعبداللطيف صلاح، والفرد روك، وجمال الحسيني، ويعقوب الغصين، واتخذت من مدينة القدس مقراً لها، وأعلنت الاضطراب السياسي الذي امتد إلى سائر فلسطين، ويعد أطول إضراب في التاريخ، إذ امتد ستة شهور.

> (١) سمر بهلوان، مرجع سابق، ص١٩٣ و١٩٤، عبد القادر ياسين، مرجع سابق، ص١٠١ و ١٠٢ (٢) علي محافظة وآخرون، القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص٣١١و٣١٢

وقام على خدمة هذا التنظيم عدد من الصحف اليومية وكانت تطبع بالعربية وهي (): اللواء لسان حال الحزب العربي الفلسطيني (حـزب المفـتي)، وكـان صـاحبها جمال الحسيني. ٢. جريدة فلسطين، تساند حزب الدفاع برئاسة راغب النشاشيبي. ٣. جريدة الدفاع، تساند حزب الاستقلال برئاسة عوني عبدالهادي ٤. جريدة الجامعة الإسلامية، التي كانت مستقلة عن الأحزاب، إلا أن نفسها الوطني کان شدیدا^(۲).

وعلى أرض الواقع كان قد بلغ عدد شهداء العرب في الفترة ما بين ١٩٣٦-١٩٣٩م نحو ٥ آلاف شخص وأن عدد الجرحي زاد على الأربعة عشر ألفاً^(٣)، ووفقاً للجنة الملكية البريطانية فقدرت عدد القتلي العرب بألف قتيمل، وعـدد قتلـي اليهـود ٨٠-٨٢ يهودياً بينما بلغ عدد جرحاهم ما بين ٣٠٨-٣٦٩ جريحاً.

وشهدت الحركة الوطنية الفلسطينية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية هدوءاً، وذلك بسبب تشرد قيادة الحركة أو اعتقالها، وما طرأ عليهما اقتمصر على ظهمور حزب

- (٣) الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، ق٢، مجلد٣، الدراسات التاريخية، ص٤٣٥ (٤) سمر بهلوان، مرجع سابق، ص٢٣٠و٢٣١ ۵) ممدوح الروسان، القدس في عهدي الاحتلال، مرجع سابق ص٢١٢ و٣١٣ (٦) على محافظة، العلاقات الألمانية، مرجع سابق، ص٢٤٩

- (٢) المرجع نفسه، ص٣١٣
- (١) المرجع نفسه، ص٣١٢
- ١٩٤١م ثم هرب منها بع أن شارك في حركة رشيد الكيلاني، إلى إيران ثم إلى ألمانيا^(٢).
- وهكذا على أثر اعتقال قادة الأحزاب الفلسطينية كجمال الحسيني، وأعضاء اللجنـة العربية العليا، أو مغادرتهم أرض فلسطين، تلاشت اللجنة العربية العليا، وضعفت إن لم تكن ماتت الحركة الوطنية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩–١٩٤٥م (°). ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تواري دور مدينة القدس القيادي الـوطني، حيث شددت بريطانيا بتتبع أعضاء الحركة حيث طلبت من حكومة الاحتلال الفرنسية في لبنان،

تسليمها الحاج أمين الحسيني، الذي استطاع الفرار إلى العراق، وبقي فيها حتـى أيـار عـام

عصبة التحرر الوطني عام ١٩٤٣م. ونشأ حزب التقدم العربي الفلسطيني عـام ١٩٤٤م، وتركزت أهدافه في الحفاظ على الأراضي العربية والأهداف ألوطنية في التحرر (٤).

وبعد الحرب العالمية الثانية، وبخاصة بعد عام ١٩٤٦م، أعيد تشكيل القيادة الفلسطينية الموحدة، بجهود من الدول العربية تحت اسم جديد هو الهيئة العربية العليا، وبقيت تقود العمل الفلسطيني في الفترة الـتي أعقبت الحـرب العربية – الإسـرائيلية، وحتى ظهور منظمة التحرير الفلسطينية^(۱).

الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م

جاءت الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م، استمراراً طبيعياً لتطور النضال الوطني الفلسطيني والعربي، وازدياد حدته الثورية ضد التمادي اليهودي في تنفيذ سياستهم التعسفية لإقامة وطنهم القومي على أرض فلسطين، وذلك من حيث: ١ .ارتفاع الهجرة اليهودية السنوية إلى فلسطين بما فيها القدس من ٥٠٠٠ مهاجر عام عام ١٩٣٢م إلى ٢٠٠٠ مهاجر عام ١٩٢٣م وإلى ٢٠٠٠ عام ١٩٣٤م وإلى ٢٠٠٠ م عام ١٩٣٥م^(٢). ٢ . اتساع مساحة الأراضي المستولى عليها من قبل اليهود، وهذا باعتراف تقرير سمبسون الذي أشار بأن الأراضي الموجودة بيد العرب لا تكفيهم ومع ذليك انتقل ٦٦٧ ألف دونم إلى أيدي اليهود^(٣).

- ٣. تزايد عدد العاطلين عن العمل في المدن الفلسطينية. ففي مدينة يافا التي كان يبلغ عدد سكانها ٧١ ألف نسمة عام ١٩٣٥م، بلغ عدد العاطلين عن العمل ٢٢٧٠ عدد سكانها ٥١ ألف نسمة عام ١٩٣٥م، بلغ عدد العاطلين عن العمل في المدينة نفسها، بعد عام عاملاً وعاملة، في حين ارتفع عدد العاطلين عن العمل في المدينة نفسها، بعد عام ١٩٣٦م، إلى أربعة آلاف^(٤).
- ٤. انخفاض أجور العمال العرب ما مقداره ٢٥٪ ما بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٩. ففي عام ١٩٣٦ كان قد أقر المجلس الزراعي العام أن أجرة العامل العربي سنوياً للدونم الواحد ٨ جنيهات فلسطينية، في حين أجرة العامل اليهودي ١٢ جنيهاً فلسطينياً^(٥).
- (١) "الهيئة العربية العليا" كان قد جرت معارك دموية بين العرب واليهود في فلسطين، اثر إقرار "الهيئة العربية العليا" باعتبار يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ يوم حداد، واستمر الشعب الفلسطيني في المقاطعة والإضراب وأجمعت حركات التحرر العربية على ضرورة النضال من اجل الاستقلال الكامل وإلغاء قرار التقسيم
 ٢) زياد الصغير، ثورة فلسطين ١٩٣٦–١٩٣٩م وأثرها في لبنان، دار الحوار، سوريا، ص ٤٨
 ٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطيني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٩٥
 ٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطيني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٩٤
 ٢) عبد القادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني، ص ١٩٤
 ٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطيني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٩٥
 ٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطيني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٩٥
 ٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطيني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٩٥
 ٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطيني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٩٥

- ٥. تزايد استياء فئات الشعب العربي من سياسة الانتداب البريطاني الرامية لحرمان فلسطين من الحكم الذاتي.
- ٦. تزايد الاستفزازات اليهودية من خلال هجوم وحداتها العسكرية "الهاجاناه" على القرى العربية، بتسهيلات بريطانية. ففي شباط عام ١٩٣٥م، ضبط البوليس البريطاني كميات من السلاح في بيت أحد اليهود يدعى "الأدون" وقد نشرت دائرة البوليس هذه المعلومات بتحفظ حتى توحي إلى المواطنين حرصها على الأمن والاستقرار وحماية المواطنين إلا أنه الأدون لم يحاكم، وطويت قضيته فيما بعد⁽¹⁾.
 ٧. كانت البلاد العربية قد شهدت تصاعداً ثورياً ضد سلطات الحكم الأجني، الأمر الذي شجع الحرية إلى المواطنين أن تنهج أساليات الحريل الأربي الأربي المواطنين إلى المواطنين أن مع العربية فيما بعد⁽¹⁾.
- **الأسباب المباشرة للثورة** كانت الحركة التحررية الفلسطينية قد دخلت مرحلة الكفاح المسلح، حيث تألف تجمع سري في مدينة حيفا برئاسة عز الدين القسام، بهدف مقارعة الانكليـز بـشكل مباشر بعد أن كان الأسلوب السياسي المعتدل السائد والذي كان يقوده أمين الحسيني.

ففي ٢٠ نيسان لعام ١٩٣٥م، بدأ القتال ضد قوات الانتداب البريطاني، وخلال هذه الاصطدامات في أحراش يعبد قرب مدينة جنين، استشهد الشيخ القسام وثلاثة وآخرين، وكان تشييع الجنازة تظاهرة وطنية جرى أثناءها مواجهات مع القوات البريطانية، الأمر الذي زاد في إثارة المشاعر الوطنية في مختلف أنحاء البلاد، وعم الإضراب فكان الحدث مقدمة للثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م^(٣).

ولمواجهة الثورة الفلسطينية، شكلت الحكومة البريطانية في ٧/ ٨/ ١٩٣٦م لجنة تحقيق ملكية عرفت باسم لجنة بيل نسبة إلى رئيسها اللورد بيل، وكانت قـد حـددت مهمتها بمايلي: ١.التثبت من أسباب الثورة، التي نشبت في أواسط شهر نيسان ١٩٣٦م.

- ٢. التحقيق في كيفية تنفيذ صكَّ الانتداب.
- ٣. تفسير نصوص الصك وبيان أي ظلم لدى العرب أو اليهود ناجمة عـن الطريقـة التي نفذ فيها صك الانتداب.
 - (١) زياد الصغير، مرجع سابق، ص٥٢ (٢) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص٣٠٠ (٣) أكرم زعيتر، مرجع سابق، ص٩٨و٩٩

القدس وقرار اللجنة الملكية البريطانية

كانت اللجنة البريطانية قد أنهت مهمتها وقدمت تقريرها إلى حكومتها في ٧ تمـوز عام ١٩٣٧م، موضحاً الأوضاع العامة في فلسطين وأسباب الاضطرابات وتطوراتها. مستندأ إلى أقوال العرب واليهـود أثنـاء سـير التحقيقـات(). وقـد أوضـحت اللجنـة أن التقسيم هو الحل الجذري للنزاع العربي اليهودي، وعلى هذا الأساس سوف يـتم انتهـاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وتقسيمها إلى ثلاث دويلات على النحو التالي: دولة عربية تضم شرقي الأردن مع القسم الفلسطيني ٢. دولة يهودية تضم الأجزاء التي تقطنها أكثرية ساحقة من اليهود ٣. مناطق معينة تضم الأجزاء ذات الأهمية الإسـتراتيجية والدينيـة الخاصـة، وهـذا يعني أن تبقى تحت سلطة الانتداب البريطاني(٢). وهكذا نص المشروع على أن يكون التقسيم خاضعاً للشرط الأساسي الآتي: "المحافظة على قداسة مدينتي القـدس وبيت لحم، وتـأمين الوصـول إليهمـا بحريـة واطمئنان لمن شاء من كافة الناس أنحاء العالم، واعتبر المشروع ذلك بمثابة أمانة مقدسة في عنق المدينة، ولتحقيق ذلك، فقد تم تأكيد ضرورة وضع صك انتداب جديد، تكون غايته الرئيسة حسن أداء هذه الأمانة"("). ونص المشروع على أن هذه الأمانة لا تنتهي إلا إذا رغبت في ذلك عـصبة الأمـم المتحدة. وأما بشأن مستقبل سكان هذه المدن فقد نص المشروع على أنه "ليس في النية أن يصبح أولئك السكان مع مرور الزمن، شعباً يحكم نفسه بنفسه، حكماً ذاتياً تاماً"^(٤). وشملت حدود منطقة القدس، بموجب هذه الخريطة، التي تمتد من نقطة شمال القدس إلى نقطة جنوب بيت لحم، على أن ترتبط بالبحر بواسطة ممسر يمتىد عرضه إلى الشمال من الطريق العامة، وإلى جنوب سكة الحديـد، علـى أن يـشمل مـدينتي اللـد والرملة وينتهي في مدينة يافا^(ه).

ونص المشروع على أن تصان الحقوق المكتسبة في الأماكن المقدسة، وطريق الوصول إليها، وحق نقل البضائع دون تحيز، ويعامل سكانها على قـدم المساواة

(١) سمر بهلوان، مرجع سابق، ص٢١٨ (٢) عبد الوهاب الكيلاني، مرجع سابق، ص٣٣٢ (٣) صالح الشورة، مرجع سابق، ص١٧٢ و١٧٣ نقلاً عن حكومة فلسطين، اللجنة الملكية، ص٤٩٨-٤٩٩ (٤) صالح الشورة، مرجع سابق، ص١٧٣ نقلا عن حكومة فلسطين، اللجنة الملكية، ص٤٩٨-٤٩٩ (٥) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٢١٦

ولا ينطبق وعد بلفور على هذه المنطقة، ولا يكون فيها موازنة بين حق العرب، وحق اليهود، وتكون اللغة الرسمية فيها هي لغة الدولة المنتدبة، (اللغة الإنجليزية) ويقوم فيها نظام حكم قويم وعادل بقطع النظر عن المصالح الطائفية⁽¹⁾. وتشمل سلطة الدولة المنتدبة الأوقاف الدينية، والأبنية والمقامات المقدسة الواقعة في أراضي الدولتين العربية واليهودية، بالإضافة إلى منطقة القدس، أما نفقات حكومة الانتداب فتكون من الضرائب المباشرة، والرسوم الجمركية، وفي حالة عجز الموازنة فعلى البرلمان البريطاني تخصيص الأموال اللازمة لسد هذا العجز. ويتمتع جميع القاطنين في منطقة القدس، أو خارجها بالحماية البريطانية وتعود هذه الخطة بالفائدة على العرب واليهود⁽¹⁾. وهكذا ادخرت بريطانيا لنفسها العجز. ويتمتع جميع القاطنين في منطقة القدس، أو خارجها بالحماية البريطانية مصة خاصة بها دون منازع وإلى مدى زمني في المستقبل مفتوح النهاية. وقد جاء التقسيم نتيجة دافعين⁽¹⁾: 1. مسيحي بالنسبة للقدس وبيت لحم. 1. مسيحي بالنسبة للقدس وبيت لحم. 1. مسيحي بالنسبة للقدس وبيت لم. 1. مسيحي بالنسبة للقدس وبيت لم.

موقف العرب من قرار التقسيم

استنكر العرب قرار التقسيم، ونددوا بالمشروع البريطاني حكومات وشعب من أقصى الوطن العربي إلى أدناه. وتجسدت حركة التضامن العربي بـدعوة لجنة الـدفاع عن فلسطين إلى عقد مؤتمر عربي في الثامن من أيلول لعام ١٩٣٧م في بلودان – قـرب دمشق- وذلك بحضور ٢٠٠ ممثل عن مختلف الأقطار العربية^(٥)، وقـرر المـؤتمر على الصعيد الشعبي ما يلي:"أن فلسطين بلاد عربية وأن واجب العرب إنقاذ هذا القطر من الخطر المحيط به... وهو يستنكر فكرة التقسيم، ويؤكد أن القضية يمكن أن تحـل على أساس إلغاء الانتداب ووعد بلفور، وعقد معاهدة بين بريطانيا وممثلي العرب... في

صالح الشورة، مرجع سابق، ص١٧٣، نقلاً عن اللجنة الملكية، ص٤٩٨-٤٩٩
 علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣١٦ و٣١٧
 علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣١٦ و٣١٣
 صالح الشورة، مرجع سابق، ص١٧٣، نقلاص عن 25 Alkhalil Jerusalem, P. 25
 صالح الشورة، مرجع سابق، ص١٧٣، نقلاً عن توفيق جانا، الشهادات السياسية، ص٤٩١
 صالح الشورة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج١، مرجع سابق، ص١٦٧

فلسطين... ويتعهد العرب في فلسطين بأن يعامل اليهود كما تعامل الأقليات في جميع البلاد التي تطبق فيها مبادئ عصبة الأمم"⁽¹⁾.

موقف اللجنة العربية العليا

أعلنت اللجنة العربية العليا من القدس، رفضها لمشروع التقسيم وساندتها كافة الأحزاب والهيئات، والحكومات العربية، وأعلنوا أن القـدس جـزء لا يتجـزأ من الوطن العربي.

موقف اليهود من تقرير اللورد بيل

فعلى الرغم من ارتياح اليهود إلى مبدأ التقسيم الصادر عن اللجنة الملكية البريطانية (اللورد بيل)، الذي سيؤدي إلى قيام دولتهم المنشودة، كانوا قد صرحوا من مؤتمرهم المنعقد في زوريخ عن رفضهم له لأنه حرمهم من النقب، والقدس التي كانت قد استثنيت من مشروع الدولة اليهودية^(٢). ولم يكن بن غوريون راضياً عن بعض بنود تقرير اللجنة الملكية، ولكنه رأى فيه النواة الأولى لبناء دولتهم^(٣).

موقف عصبة الأمم من مشروع التقسيم

وافقت عصبة الأمم على المشروع المقدم، وأعلنت في جلسة ١٤/٩/٩م، انها قبلت بمقترحات اللجنة الملكية البريطانية، (اللورد بيل) وأنها مستعدة لإرسال لجنة فنية خاصة إلى فلسطين لوضع خطة مفصلة لمشروع التقسيم وتخطيط الحدود بين الأطراف المتنازعة^(٤).

ففي عام ١٩٣٨م تراجعت بريطانيا عن خطة التقسيم هذه المقترحة من قبل لجنة بيل، وذلك نظراً للمعارضة الفلسطينية والعربية. فجاء التراجع من خلال تعيين الحكومة البريطانية لجنة فنية جديدة لدراسة مشروع التقسيم هي لجنة السير John Woodhood التي كانت قد وصلت في ٢٧ نيسان لعام ١٩٣٨م في غمرة الاضطرابات في فلسطين والقدس بشكل خاص، وركز تقرير اللجنة الجديدة على نقد لجنة اللورد بيل، فأجرت عليه تعديلات، وبالتالي أعلنت أن الخطة المطروحة من قبل بيل غير عملية^(ه).

(2) And see from American vice consul to the secretary of State, Jerusalem, 1937, D.S.867.N.01/664(3) Alkhalil, Jerusalem, P26

(٤) سمر بهلوان، مرجع سابق، ص٢٢٢
 (٥) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣١٧

وقد أشارت لجنة السير John Woodhood في تقريرها إلى أن هناك مشاكل رئيسية ستترتب على تقسيم مدينة القدس، نوجزها بما يلي: ١. صعوبة حفظ الأمن في مدينة القدس. ٢. مشكلة الجمارك. ٣. مشكلة الجمارك. ٣. مسألة تزويد المدينة بالمياه، علماً أن المصدر يأتي من منطقة رأس العين، وهي ضمن حدود الدولة اليهودية المقترحة. ٤. المشاكل التي ستترتب على الطريق بين مدينة القدس والساحل وجزء من الطريق إلى مدينة رام الله تحت السيطرة اليهودية المقترحة. المدلك فإن المشاكل المطوحة ستثير معارضة فلسطينية وعربية لضم جزء من القدس إلى الدولة اليهودية المقترحة، الأمر الذي سوف يعكر السلام. وهكذا أكدت بلجنة السير John Woodhood في تقريرها على قداسة مدينة القدس، الأمر الذي يتطلب الحفاظ على وحدتها في يد بريطانيا كدولة منتدبة، إلا أن اللجنتان اتفقتا على تمسك بريطانيا باقتسام فلسطين بينها وبين العرب واليهود^(١).

وكان محور تركيز اللجنتين على مساحة مدينة القدس وحماية المقدسات، ووضع المجتمعين الفلسطيني واليهودي في فلسطين، ومع أن تقرير بيـل كـان قـد وسـع منطقـة القدس، إلا أن تقرير السير John Woodhood كان يشتمل على مساحة أكبر، وكلاهما اشترط مدخل لمدينة القدس يصلها بالمتوسط^(٢).

وفي ١٩٤٣ / ١ / ١٩٤٣ م وجه دولة نوري سعيد، رئيس وزراء العراق، رسالة إلى Kasey وزير الدولة البريطانية في القاهرة والمسماة بالكتاب الأزرق وبمشروع الهلال الخصيب، اقترح فيها أن تكون مدينة القدس مفتوحة أمام معتنقي الديانات السماوية الثلاث لأغراض الحج والعبادة، على أن تشرف على المدينة لجنة خاصة مؤلفة من مثلى الديانات الثلاث.

كان قد انعقد مؤتمر لندن في دورته الأولى بين ١٩/١٠ و٢ تشرين الثاني ١٩٤٦م بحضور وفود الحكومات العربية، حيث قدم نائب رئيس الـوزراء البريطـاني Herbert Morrison مشروعاً لحل القضية الفلسطينية دعا فيه إلى تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق:

(١) Great Britain: Palestine Partition Commission Report, Pp. 52-81) ص109-10 ص100-10 (٢) صالح الشورة، المرجع نفسه، ص١٧٧ (٣) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣١٧

١. منطقة عربية ٢. منطقة يهودية. ٣. منطقة النقب.
 ٤. ومنطقة القدس التي كانت تشمل القدس، وبيت لحم، والمناطق المجاورة لها. وينشأ فيها مجلس له صلاحية المجلس البلدي، وينتخب معظم أعضائه انتخاباً، على أن يكون للمندوب السامي حق تعيين بعضهم، ويقوم مشروعه على أساس أن لا تكون فلسطين لا دولة عربية، ولا دولة يهودية، لأنه يصعب التوفيق بين أماني العرب السياسية، وأماني اليهود⁽¹⁾.
 فالتقسيم يكفل حكماً ذاتياً لكل من العرب واليهود تحت إدارة مركزية، وتكون الحدود بين المارك واليهود عن إرابي معلق ما يحمون المارك واليهود⁽¹⁾.
 فالتقسيم يكفل حكماً ذاتياً لكل من العرب واليهود تحت إدارة مركزية، وتكون الحدود بين المارك واليهود عن إماني المور المارك المارك والمارك المارك المار المارك المارك المارك المارك المار

قرار التقسيم والجزء الخاص بالقدس

وهنا رأت الحكومة البريطانية ضرورة إحالة مشكلة فلسطين على هيئة الأمم المتحدة. ففي ١٨ شباط لعام ١٩٤٧م، أعلن وزير الخارجية البريطاني (بيفن) هذا القرار على مجلس العموم وفي ٢٨ نيسان من العام نفسه اجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة لبحث الموضوع^(٣)، وشكلت لجنة United Nations special committee فلامم المتحدة لبحث الموضوع^(٣)، وشكلت بنة on Palestine مندوبي إحدى عشرة دولة من الدول التي ليس لها مصلحة في القضية^(٥).

عمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤و٦٥

٥) تهاني هلسة، مرجع سابق، ص٧٢

(٢) عدوم الروسان، مرجع سابق، ص٢١٧ و٣١٨ ، وحول "الكتاب الأبيض" كان قد عقد في ٧ شباط عام ١٩٣٩م مؤتمر لندن بين العرب والإنكليز، لأن العرب رفضوا الاجتماع مع اليهود، وبنتيجة المؤتمر طرحت بريطانيا خطتها السياسية الجديدة وصدر "الكتاب الأبيض" في ١٧ آذار عام ١٩٣٩م، في بلاغ رسمي أعلنت فيه: " أنه لميس من مياسية الجديدة وصدر "الكتاب الأبيض" في ١٧ آذار عام ١٩٣٩م، في بلاغ رسمي أعلنت فيه: " أنه لميس من مياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، ولكن الهدف الذي ترمي إليه هو إقامة دولة فلسطينية مستقلة في النهاية"، كما أن تشكيل دولة مستقلة في فلسطين والتخلي التام عن رقابة الانتداب فيها يتطلبان نشؤ علاقة ما بين العرب واليهود، من شانها أن تجعل حكم البلاد صالحاً وفي حيز المكان، وجاءت اقتراحات بريطانيا في كتابها العرب واليهود، من شأنها أن تجعل حكم البلاد صالحاً وفي حيز المكان، وجاءت اقتراحات بريطانيا في كتابها العرب واليهود، من شأنها أن تجعل حكم البلاد صالحاً وفي حيز المكان، وجاءت اقتراحات بريطانيا في كتابها المرب واليمود، من شأنها أن تجعل حكم البلاد صالحاً وفي حيز المكان، وجاءت اقتراحات بريطانيا في كتابها المربوع "رضى اليهود والعرب أم لم يرضوا، والمجرة اليهودية ستبلغ خلال الفترة الانتقالية، ستنفذ بريطانيا المروع "رضى اليهود والعرب أم لم يرضوا، والمجرة اليهودية ستبلغ خلال الأعوام الخمسة القادمة ٢٠٠٥٧ من نسمة، وتحضر بعد ذلك إلا بموافقة العرب وغيرها من الاقتراحات، أنظر أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية، مرجع مابق، ص٢٢٨، أميل توما، جذور الفضية الفلسطينية، مرجع مابق، ص٢٢٩ مايم مي مرجع سابق، ص٢٢٢ مايم يومان عليوم الفلي موجيع المين مرجع سابق، ص٢٢٢، أميل توما، جذور القضية الفلسطينية، مرجع مابق، ص٣٢٢ و٢٢٦ و٢٢٢

وفي ١٣ حزيران ١٩٤٧م، أرسلت الهيئة العربية العليا برقية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة تخبره بمقاطعة هذه اللجنة، وذلك للأسباب التالية: ١.عدم إدراج مسألة إنها الانتداب البريطاني. ٢. عدم إعلان استقلال فلسطين على جدول أعمال هيئة الأمم في دورتها الخاصة. ٣. الإخفاق في فصل موضوع اللاجئين اليهود عن المسألة الفلسطينية التي تستحق أن يعترف بها على أساس مبادئ ميثاق الأمم المتحدة⁽¹⁾.

وكانت الجمعية العامة، قد منحت الهيئة العربية العليا في ٧ أيار ١٩٤٧م، والوكالة اليهودية في الخامس من الشهر نفسه، فرصة تقديم شهادتيهما أمام اللجنة الخاصة، التي استمعت خلال الفترة ما بين ٢٦ أيار و ٣١ آب ١٩٤٧م، إلى بيانات سلطات الانتداب، وشهادات ممثلي العرب واليهود، وتبين أن الفلسطينيين يمثلون أغلبية السكان الذين قدر عددهم بـ ٣٧٤, ٣٧٧، ١ مقابل ٢٠٨, ٢٢٥ يهودي، وكان العرب يملكون ٨٦٪ من أراضي فلسطين^(٢).

ففي ٣١/ ٨/ ١٩٤٧م، قدمت اللجنة تقريرها الذي كان يجسد رأي أغلبية اللجنة وسُمي "بمشروع الأكثرية". وهكذا اقترحت اللجنة إنشاء دولتين مستقلتين: ١. دولة عربية ويهودية مع وجود منطقة دولية تتكون من القدس وبيت لحم، على أن تكون الدولة العربية واليهودية والمنطقة الدولية أعضاء في اتحاد اقتصادي، خلال فترة انتقالية تبدأ من ١/ ٩/ ١٩٤٧م، ولمدة عامان، ثم تصبح الدولتان مستقلتين، بينما توضع المنطقة الدولية تحت مسؤولية الأمم المتحدة، على أن تدير بريطانيا هذا الإتحاد. وقد تبنى "مشروع الأكثرية" كل من الدول التالية: ١. الأورغواي ٢. تشيكوسلوفاكيا ٣. جواتيمالا ٤. هولندا ٥. السويد ٢. البيرو ٧. كندا^(٣).

٢. أما مشروع الأقلية فقد أوصى بإقامة دولة فلسطينية بعد فترة انتقالية تنجز خلال ثلاث سنوات، أي قيام دولة ثنائية الجنسية^(٤). على أن تكون مدينة القدس عاصمتها، وفيها بلديتان: عربية وتشمل المدينة المسورة والأجزاء العربية خارج

(١) هيئة الأمم المتحدة، قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين، ص٣و٤
 (٢) الموسوعة الفلسطينية، ج١، مرجع سابق، ص٥٥٥
 (٣) هيئة الأمم المتحدة، قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين، ص٣و٤
 (٤) تهاني هلسة، مرجع سابق، ص٨٧

الأسوار، والأخرى يهودية وتشمل الأجزاء اليهودية خارج الأسوار^(۱). وقد تبنى هذا الرأي كل من: ۱. إيران ۲. الهند ۳. يوغسلافيا^(۲).

ففي الأثناء تمت دراسة تقارير اللجنة من قبل لجان سياسية فرعية في هيئة الأمم المتحدة. وهنا برز دور الولايات المتحدة الأمريكية كطرف رئيسي، الأمر الذي دفع باتجاه التقسيم، وذلك من خلال التصويت الذي تم في الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧م، حيث كانت النتائج في صالح اليهود، بأغلبية ٣٣ صوتاً بما فيها أميركا والإتحاد السوفيتي سابقاً، ومعارضة ١٣ صوتاً بينها الدول العربية، وامتناع ١٠ أصوات منها بريطانيا^(٣).

وهكذا اشتملت الدولة العربية على القدس، الجليل الغربي، ومناطق نابلس، الخليل، غزة، وضمت نحو ٢٠٠, ٧٢٥ من العرب و٠٠٠, ١٠ من اليهود، وكذلك اشتملت على ١٢ ألف كم٢ أي ما نسبته ٨٨, ٤٢٪ من مساحة فلسطين، في حين يملك اليهود في هذه المنطقة ١٠٠ ألف دونم. أما منطقة القدس فقد ضمت ١٠٠ ألف يهودي، و ١٠٥ آلاف عربي^(٤).

أما الدولة اليهودية فقد ضمت الجليل الشرقي، ومرج ابن عامر، والقسم الأكبر من السهول الساحلية، ومنطقة النقب وبئر السبع، وقد ضمت ما بين ٤٦٠-٤٩٧ ألف عربي و ٤٩٨–٣٥٠ ألف يهودي، واشتملت على ٤٠٠ , ١٤ كم٢ ما نسبته ٥٦,٧٤ من مساحة فلسطين^(٥).

قرار تقسيم مدينة القدس رقم ١٨١ لعام ١٩٤٨

كان قرار التقسيم رقم ١٨١ في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م، الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اشتمل في القسم الثالث منه على جزء خاص بالقدس، نص على اعتبار القدس منطقة دولية وكيان منفصل ذات وضع استثنائي، تحت نظام حكم دولي خاص، تقوم على إدارته الأمم المتحدة. ولقد ميز القرار مدينة القدس عن بقية فلسطين، فأصبحت وحدة مستقلة في نطاق نظام دولي^(٢)، على النحو التالي:

- ١. تضم المدينة كما جاء في قرار الجمعية العامة بلدية القدس الحالية (١٩٤٧) بجميع أحيائها القديمة والحديثة، مضافاً إليها القرى المجاورة. بحيث تكون قرية أبو ديس أقصاها في الشرق وبيت لحم أقصاها في الجنوب وعين كارم أقصاها في الغرب وشعفاط أقصاها في الشمال.
- ٢. يتولى مجلس الوصاية وضع دستور للمدينة بغضون خمسة أشهر من الموافقة على المشروع الحالي يتضمن حماية المصالح الروحية والدينية ويدعم روح التعاون بين سكان المدينة.
- ٣. يقوم مجلس الوصاية بتعيين حاكم للقـدس يكون مـــــــولا أمامه، ويكون هـذا الاختيار على أسـاس كفاءتـه الخاصـة دون مراعـاة الجنـسية، علـى أن لا يكـون مواطناً لأي من الدولتين في فلسطين^(١).
- ٣. يكون لحاكم القدس السلطة باتخاذ التدابير الأمنية، وتنظيم شرطة خاصة يجند أفرادها من خارج فلسطين، للمساعدة على استتباب القانون والنظام الداخلي، وبصورة خاصة، لحماية الأماكن المقدسة والمواقع الدينية في المدينة. ويعتمد حاكم القدس على ممثلي الدولتين العربية واليهودية ويكونوا مكلفين بحماية مصالح دراته، إن حالة إلذه إله، إله ناد
- دولتيهما ورعاياهما لدي المدينة.
- ٤. تعاون حاكم القدس مجموعة من الموظفين الإداريين يعتبر أفرادها موظفين دوليين، ويختارون قدر من سكان المدينة ومن سائر فلسطين دون أي تمييز عنصري. ويكون للوحدات البلدية القائمة حالياً استقلال محلي في منطقة المدينة. وتستمر الوحدات البلدية الجديدة في تكوين جزء من البلدية الحالية لمدينة القدس^(٢).
- م. تجرد مدينة القدس من السلاح ويعلن حيادها ويحافظ عليه ولا يسمح بقيام أية تشكيلات أو تدريب، أو نشاط عسكري ضمن حدودها. وتكون السلطة التشريعية والضرائبية بيد مجلس تشريعي منتخب بالاقتراع العام السري، على أساس تمثيل نسبي لسكان مدينة القدس البالغين، دون تمييز من حيث الجنسية.
 ٢. يمنح الدستور لحاكم القدس، الحق في الاعتراض على مشاريع القوانين المتنافية مع الأحكام الذكورة. وينشأ في مدينة القدس نظام قضائي مستقل يشتمل على
 - (۱) هيئة الأمم المتحدة، مرجع سابق، ص١٣
 (۲) المرجع نفسه، ص١٣

- محكمة استئناف يخضع لولايتها سكان المدينة. وتـدخل المدينة ضـمن الاتحـاد الاقتصادي ويقام المقر الرئيسي للمجلس الاقتصادي في منطقة المدينة^(١).
- ٧. تؤمن حرية التجارة وإيجاد تعرفة جمركية بين الدولتين العربية واليهودية، من جهة، وبين مدينة القدس من جهة أخرى، وبعد ذلك فإن فائض الدخل من الجمارك والخدمات الأخرى سوف يقسم بين الدولتين مناصفة على أن يخصص للقدس مسبقاً من خسة غلى عشرة بالمائة من العوائد الناتجة. وتضمن حرية العبور للمقيمين في الدولتين العربية واليهودية ولمواطني المدينة، وذلك بشرط عدم الإخلال باعتبارات الأمن^(٢).
- ٨. تكون العربية والعبرية لغتي المدينة الرسميتين، ولا يحول هذا دون استخدام اللغات الأخرى. ويصبح جميع المقيمين في مدينة القدس مواطنين فيها، على أساس الأمر الواقع ما لم يختاروا جنسية الدولة التي كانوا رعاياها. ويضمن لمواطني المدينة التمتع بحقوق الإنسان والحريات الأساسية.

واليهودية، كل بلغتها. وتؤمن حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة وتصان الأماكن المقدسة، والأبنية، والمواقع الدينية، ولا تجبى أية ضريبة على مكان مقدس أو مبنى أو موقع ديني كان معفي منها وقت إقامة المدينة^(٣). • ١. يبدأ تنفيذ الدستور الذي يضعه مجلس الوصاية في ضوء المبادئ المذكورة آنفاً في معاد أقصاء الأول من تشرين الأول ١٩٤٨م، ويكون سريانه أول الأمر خلال عشر سنوات ما لم يرى مجلس الوصاية وجوب القيام في أقرب وقت بإعادة النظر في هذه الأحكام، ويجب أن يعاد النظر في مجموع النظام من قبل مجلس الوصاية وعند انقضاء المدة، في ضوء التجارب المكتسبة خلال هذه الفترة من العمل به، وعند ثذ يكون للمقيمين في المدينة الحرية في الإعلان بطريق الاستفتاء عن رغباتهم في التعديلات المكن إجراؤها على نظام المدينة. الماضي في فلسطين بالمزايا والحصانات القنصلية التي كانت ممنوحة لهم أثناء الحكم الماضي في فلسطين بالمزايا والحصانات القنصلية التي كانت ممنوحة لم أثناء الحكم

> (۱) هيئة الأمم المتحدة، مرجع سابق، ص١٣ (۲) المرجع نفسه، ص١٣و١٤ (٣) المرجع نفسه، ١٤و١٥

العثماني بموجب الامتيازات أو العرف، مدعوة إلى التنازل عن جميع حقوقهما في إعادة تثبيت المزايا والحصانات المذكورة في الدولتين العربية واليهودية المنوي إنشاؤها، وكذلك في مدينة القدس^(۱).

وكان انتخاب المجلس التشريعي في القدس من أهم نقاط الخلاف بيت العرب واليهود، فقرر مجلس الوصاية تقديم مشروع نظامه إلى الجمعية العامة في ٢١ نيسان ١٩٤٨م، وذلك بعد أن وافق مجلس الوصاية عليه في ١٠ آذار ١٩٤٨م، وفي ٦ أيار ١٩٤٨م، أوصت الجمعية العامة سلطة الانتداب تعيين رجل محايد يقبله العرب واليهود، معاً كمفوض بلدي ليقوم بتنفيذ المهمات التي تقوم بها الآن اللجنة البلدية، وذلك قبل ١٥ أيار ١٩٤٨م.

وتم تعيين Harold Evans الأمريكي الجنسية، إلا أنه عاد إلى بلاده لعدم تعاون أحد معه، وفي ١٤ أيار ١٩٤٨م، تم تعيين الكونت برنادوت وسيطاً دولياً فأعد تقريراً في ٢٧ حزيران، كان قد أوصى فيه بضم منطقة القدس إلى الدولة العربية، على أن تكون لليهود إدارة مركزية فيها^(٢).

(1) هيئة الأمم المتحدة، مرجع سابق، ١٥
 (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣٢٢



القدس فحالما المحاية الهاشمية



الفصل السابع

القدس في الرعاية الهاشمية

القدس في حياة الشريف الحسين بن على ولد الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بـن عـون بـن أبـي نمـي في الأستانة عام ١٨٥٣م، حيث كان جده لوالده يعيش في المنفى، وفي سنة ١٨٥٦م تم إعادة تعيين جده محمد أميراً على مكة مرة ثانية، فعاد ومعه أبنائه وأحفاده ، ومن بينهم الحسين إلى الحجاز، حيث أقاموا فيها إلى أن توفي الجد محمد عام ١٨٥٨م(). عاد الشريف علي والد الحسين إلى الأستانة بينما ظل الحسين في مكة يتلقى علومه الدينية، ثم التحق بوالده في الأستانة، وظل فيها إلى أن توفي والده عام ١٨٧٠م، ليعود إلى مكة ليعيش في كنف عمه الشريف عبدالله بـن محمـد أمـير مكـة، وأخذ يشركه في أمور الحكم^(٢). وبدأت تظهر في ميول الشريف الحسين الأفكار القومية في فترة إمارة عممه عون الرفيق بن محمد الذي شكا أمره للسلطان العثماني، فصدر أمر بنفيه إلى الأستانة عام ١٨٩٣م، وبقي فيها إلى أن عين شريفاً وأميراً على الحجاز بفرمان من السلطان العثماني عبدالحميد الثاني، عام ١٩٠٨م، وذلك بعد وفاة عمه الشريف عبد الإله بـن محمد. فوطد الحسين علاقاته مع شيوخ القبائل وسكان الـبلاد، وذلـك ليـدير شـؤون الحجاز بعدالة وحكمة، ومن هنا برز اسم الشريف الحسين في الأوساط العربية الزعيم الأكثر اهتماما بالطموحات العربية المنشودة في التحرر والاستقلال".

ففي عام ١٩١٣م، اشتد الخلاف بين النواب العرب، وجمعية الاتحاد والترقي التي بادرت بعزل الشريف الحسين، فبعث خمسة ثلاثون نائباً من الأعضاء العرب في مجلس المبعوثان إلى الشريف برسالة تقره على إمارة مكة وبالرئاسة الدينية وتسلم زمام القيادة على جميع البلاد، كونه سليل الدوحة الهاشمية().

> أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج١، القاهرة، ١٩٣٣، ص٩٣ (٢) المرجع نفسه، ص٩٣، (٣) عبدالله بن الحسين، مذكراتي، القدس، مطبعة بيت المقدس، ١٩٤٥، ص١٦–١٨ (٤) أسعد داغر، ثورة العرب، القاهرة، ١٩١٦، ص٧٨و٧٩



أعلن الشريف الهاشمي الحسين الثورة العربية الكبرى يوم السبت ٩ شعبان ١٣٣٤هـ الموافق العاشر من حزيران عام ١٩١٦م، بإطلاق الرصاصة الأولى على قلعة الأتراك في مكة إيذانا بإعلان الثورة، كمنعطف نهضوي في تاريخ العرب الحديث. فكانت الثورة من نتائج اليقظة العربية في ذلك الوقت، وأخرجت جهد العرب من النظريات إلى التطبيق، وعززت الثقة في النفوس على النهوض من جديد، وجاءت راية الثورة لتجسد تراث وتاريخ المسلمين، كما حققت الثورة اعتراف العالم أجمع بها، وأنجزت الاستقلال للعرب من الهيمنة التركية.

فمن النتائج السياسية للثورة العربية الكبرى؛ قيام مملكة الحجاز عام ١٩١٦م، وقيام المملكة السورية عام ١٩١٨م، ومملكة العراق عام ١٩٢١م، وتأسيس إمارة شرقي الأردن عام ١٩٢١م^(٢). كما دعت الثورة إلى نظام حكم حديث متطور، فقد طالبت باستقلال الولايات العربية ووحدتها على أساس فدراليي وهو طرح تقدمي يدل على بعد نظر الشريف الحسين بن علي رحمه الله^(٣).

الإعمار الهاشمي للمقدسات الإسلامية في القدس

عهد الشريف الحسين بن علي وعهد الأمير عبدالله بن الحسين

في سنة ١٩٢٤م تبرع الشريف الحسين بن علي بمبلغ أربعة وعشرين ألف ليرة ذهبية لإعمار المقدسات الإسلامية في الحرم القدسي الشريف، في الوقت الذي كان هو في أمس الحاجة إلى المال. ولكن اهتمامه بهذه المقدسات هي التي دفعته إلى هذا الفعل النبيل. وقد أرسل المبلغ إلى الأمير عبدالله بن الحسين الذي كان أميرا على شرقي الأردن في ذلك الوقت، لكي يقوم بإرسال المبلغ إلى الحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف، والذي كان يشرف على الإعمار، وكان رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى ولجنة إعمار الحرم القدسي الشريف⁽³⁾.

وقد طلب مفتي القدس من سمـو الأمـير عبـدالله أن يـشارك في الاطـلاع علـى حسابات الإعمار، وعلى الأمور التي تتعلق به، وأرسل كتابـا إلى سمـوه بهـذا المعنـى

(١) راجع سليمان الموسى، إمارة شرقي الأردن، مرجع سابق، ص٢٣-٤٠
 (٢) راجع جريدة القبلة، مكة المكرمة، عدد٣، تاريخ ٢٥ شعبان، ١٣٣٤هـ، والعدد٣، بتاريخ ٤ صفر، ١٣٣٥هـ
 (٣) مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، دمشق، منشورات مجلة الفكر العسكري، ١٩٧٨م، ص١٣٥٥ و٢٦
 (٣) مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، دمشق، منشورات مجلة الفكر العسكري، ١٩٧٨م، ص١٣٥ و٢٦٦
 (٩) رائف يوسف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس، دار البيرق للطباعة والنشر، ١٩٩٤م، ص٣٥، في حين كان تبرعه (٤) رائف يوسف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس، دار البيرق للطباعة والنشر، ١٩٩٤م، ص٣٧، في حين كان تبرعه الكريم بخمسة وعشرين ألف ليرة ذهبية، لإعمار القدس والمسجد الأقصى والأماكن المقدسة في فلسطين، أنظر الكريم بخمسة وعشرين ألف ليرة ذهبية، لإعمار القدس والمسجد الأقصى والأماكن المقدسة في فلسطين، أنظر بكر خازر الحجالي، ألفا يوم في قبرص: الحسين بن علي ملكا في المنفى، مطبعة السفير، عمان، ٢٠٢٥، ص٢٠٢م، ص٢٠٢م، ص٢٠٢م، ص٢٠٢م، ص٢٠٢م، ص٢٠٢م، إلغار، أنظر الكريم بخمسة وعشرين ألف ليرة ذهبية، لإعمار القدس والمسجد الأقصى والأماكن المقدسة في المالين، أنظر الكريم بخمسة وعشرين ألف ليرة ذهبية، لإعمار القدس والمسجد الأقصى والأماكن المقدسة في فلسطين، أنظر الكريم بخمان إلها يوم في قبرص: الحسين بن علي ملكا في المنفى، مطبعة السفير، عمان، ٢٠٢٥، ص٢٠٢م، ص٢٠٢م، ص٢٠٢م.



مؤرخا في ٣٠ تموز سنة ١٩٢٤م، نورد نص الكتاب:

صاحب السمو الملكي مولانا الأمير المعظم أيده الله تشرفت بالأمر الكريم المؤرخ في ٢٨ محرم سنة ٣٤٣ه عدد ٧٧٣ فقابلت هذه الثقة التي تفضلتم بها على هذا الداعي المخلص بجزيل الـشكر والثناء والـدعاء إليه تعالى أن يؤيد ملككم الهاشمي بروح منه وان يزيدكم من مكارم الأخلاق النبوية التي بعث جدكم عليه الصلاة والسلام لتتميمهم، وان المجلس الإسلامي الأعلى ولجنة عمارة الحرم الشريف تلقيا ثقتكم بالشكر والثناء وجزيل الدعاء وإنني بالنيابة عنهما أرجو سموكم أن تتفضلوا بمنة أخرى وهي أن تكون عمارة الحرم الشريف كلها تحت سموكم وتحت رعاية جلالة سيدنا أمير المؤمنين أيـده الله. وعلى ذلك فنرجو من سموكم وتحت رعاية جلالة سيدنا أمير المؤمنين أيـده الله. وعلى ذلك فنرجو من سموكم أن تطلعوا على الحسابات وعلى كل شيء بموضوع العمارة وان تتفضلوا سموكم أن تطلعوا على الحسابات وعلى كل شيء بموضوع العمارة وان تنفضلوا منقدم في آخر كل شهر بيانا وافيا في الحساب والنفقات وكل ما تأمرون به فأنا طوع أمركم العالي. والله يرعاكم بعين عنايته ويرفع بكم شأن العرب والإسلام مولاي⁽¹⁾.

وهكذا استمر إعمار، وترميم المسجد الأقصى نحو خمسة سنوات. ووجه مفتي القدس الدعوة لكبار الشخصيات في العالم الإسلامي، لحضور التدشين الذي كان قد أنجز يوم ٣٠/ ٨/ ١٩٢٨م^(٢). ففي عام ١٩٣٥م شكل أمين الحسيني لجنة إسلامية للحفريات في بيت المقدس، وبنى فندق الأوقاف، وكان قد خصص عائداته لدعم مشروع الإعمار. وكان الحسيني قد أسس في ساحة الحرم الشريف متحفاً إسلامياً^(٣). إنعامات ملكية/ ووفاء أهل فلسطين للشريف الحسين عُرف عن الـشريف الهـاشمي الحسين بـن علي مواقفه الحاسمة تجماه المسالة الفلسطينية، فكان موقفه الأول من خلال مراسلاته مع مكمماهون، التي أصر فيهما

(١) كتاب مفتي القدس الشريف الحاج أمين الحسيني إلى الأمير عبدالله بن الحسين/ أمـير شـرقي الأردن المـؤرخ في ٣٠ تموز ١٩٢٤م، رائف نجم، الإعمار الهاشمي، المرجع نفسه ص٧٣و٧٤

(2) C, O733/62/, 1923, Paraphrase Telegram from the acting high Commissioner of Palestine to the secretary of state for the colonies, Dated, Aug, 1928

(٣) صالح الشورة، مرجع سابق، ص١١٠

الشريف على إعطاء فلسطين والقدس خصوصية عربية إسلامية، وعدم استثنائها من أرض الدولة العربية، وله موقف حازم تجاه محاولة توقيع المعاهدة البريطانية الحجازية، لأنها لا تنص صراحة على عروبة أرض فلسطين^(۱) .

الشريف وإنعامات سنية

منح صاحب الجلالة الهاشمية المنقذ الأعظم وسام الاستقلال من الدرجة الأولى كلاً من سماحة مفتي القدس الحاج أمين أفندي الحسيني، ومفتي نـابلس الـشيخ منيب أفندي هاشم. وأنعم أيده الله بألفي روبية سلمت لسماحة مفتي القدس لتوزيعها على فقراء فلسطين^(۲). كما أنعم جلالة الملك الأعظم بوسام النهضة من الدرجة الأولى على عطوفة موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية الفلسطينية^(۳).

وفاة الشريف الحسين والتوصية بدفنه في القدس بدلاً من مكة

ولما مرض الشريف الحسين بن علي، وشعرت العائلة الملكية بدنو أجله، كانت قـد أوصت بدفنه في القدس الشريف بدلاً من مدينة مكة المكرمة لصعوبة تحقيق هذه الرغبة، لذا فان الاتجاه نحو دفنه في حرم المسجد الأقصى أصبح حتمياً، والوثيقة التالية تبين وفـاة الملك في الرابع من حزيران لعام ١٩٣١م، وتوصية العائلة بدفنه في القدس بدلاً من مكة:

- وخلال إقامته في عمان، كان يزوره من حين إلى أخر أبناؤه الملك فيصل والملك علي والأمير زيد، وأفراد آخرون من العائلة.
- ٢. وحين أدرك الجميع أن حالة الملك الحسين خطيرة جداً، قال الملك على للحاج أمين أفندي الحسيني رئيس المجلس الأعلى أن رغبة العائلة أن يدفن الملك الحسين في مكة، ولكن لصعوبة تحقيق هـذه الرغبة فـإن الاتجـاه الآن نحـو دفنـه في حـرم المسجد الأقصى.
- ٣. رحب الحاج الحسيني بهذا الاقتراح، ومع مساء يوم وفياة المليك الحسين أعبدت الحكومة الفلسطينية التسهيلات لدفن الرجل الشريف الذي قاد العرب وأقمنعهم للتحالف مع قوات الحلفاء في الحرب العظمي، وعلمت أن جميع التسهيلات والترتيبات جاهزة لإكمال إجراءات الدفن.
- ٤. في الساعة العاشرة من صباح يوم الرابع من حزيران، تحرك جثمان الملك الحسين بسيارة من عمان. وتشكل الوفد المرافق من أبناء جلالة الملك الحسين، وأقمارب الملك بما فيهم الملك على والأمير زيـد وشـاكر وطـلال، وحـضر أيـضاً المعتمـد البريطاني في عمان وقائد الجيش العربي والشخصيات البارزة، وخلال المسير من عمان إلى القدس توقف الموكب لفترات ليتمكن الناس من تحية الملك الراحل. استقبل الأمير عبـدالله والملـك علـي نيابـة عـني عنـد جـسر اللـنبي روحـي بـك عبدالهادي، والسكرتير المساعد مصحوباً بضابط بوليس بريطاني، وكان قد انـضم للمجموعة وفود من عرب فلسطين وممثلين من القرى والضواحي... ٥. في الساعة الثانية وعشرين دقيقة من بعد الظهر وصل موكب الجنازة إلى القـدس وتوقف عند باب هيرودس، حيث وقف ممثلو الحكومة، وأعبضاء القنبصليات، والذوات، والشخصيات العربية البارزة، وحضر أيضاً رئيس الجمع الكنسي والرئيس التنفيذي للوكالة اليهودية على الرغم من عـدم دعـوتهم للحـضور ولم يحضر القنصل العام للوكالة الايطالي الذي تم حذف اسمه من قائمة المدعوين. ٦. انتظم موكب الجنازة عند باب هيرودس وتقدمته فرقة موسيقى الجيش العربي، وضم الموكب رؤساء بلديات القدس وحيف اوياف اوبلديات أخرى. والهيئات القنصلية وممثلو الجمعيات الإسلامية والمسيحية في القـدس، والطلبـة والكـشافة، وتقدم الموكب وهو مقترباً من المسجد الأقصى عن طريق بـاب دمـشق والمدينـة القديمة ولوحظ أن الشوارع والبنايات على طول الطريق كانت مزدحمة بالناس. مثلني في مراسيم الجنازة سكرتيري الخاص. وقد حـضر المراسـيم رئـيس القـضاة

- وضباط إمارة شرق الأردن ورؤساء الدوائر، وحضر المراسيم أيضاً هيوبرت بونغ مستشار اتلمندوب السامي في العراق. وحيث الجنازة ثلة من حرس الشرف من كتيبة الحرس الملكي فور وصولها إلى باب دمشق. ٧. في الساعة الرابعة بعد الظهر نقل النعش إلى داخل مسجد قبة الصخرة، وفوراً استقبل الأمير عبدالله والملك على ممثلي الحكومة، والقناصل والشخصيات غير الإسلامية التي غادرت الحرم القدسي بعد أن قدمت التعازي.
 في الساعة •٣: ٤ نقل النعش إلى داخل مسجد قبة الصخرة، وفوراً في الساعة •٣: ٤ نقل النعش إلى داخل المسجد الأقصى، والذي بعد أن تمت المراسيم وفي الساعة •٣: ٤ نقل النعش إلى داخل المسجد الأقصى، والذي بعد أن تمت المراسيم وفي الساعة •٣: ٤ نقل النعش إلى داخل المسجد الأقصى، والذي بعد أن تمت المراسيم وفي الساعة •٣: ٤ نقل النعش إلى داخل المسجد الأقصى، والذي معد أن تمت المراسيم وفي الساعة الخامية وصلاة الجنازة حل الجثمان قائد رئيس المجلس الإسلامي الأعلى والشيخ عبدالقادر المظفر وإسعاف أفندي النشاشيي والدكتور خالد الحكيم.
 في الساعة الخامسة كان الجثمان يأخذ مكانه في مكان صغير وجيل وقديم في المسجد الأقصى، والذي يقع داخل الحرم على بعد ياردات من قبر محمد علي على جهته الشمالية، وتم فتح نافذة خاصة في الجدار ليصل مكان الضريح مع المسجد الأقصى.
 ٨. لم يحدث شيء أثناء الجنازة، وعَبَرَ لي الأمير عبدالله والملك علي عن شكرهما وامتنانهما للتحضيرات والإجراءات التي قامت بها الحكومة من أجل جنازة
- والدهما. وتم تنكيس الأعلام على المباني الحكومية وكبذلك فبوق مبياني سيلاح

سيدي المطيع دائماً والخادم المتواضع تشانسلور

المعتمد البريطاني في فلسطين

التعزية وتأكيد العهد والوفاء لنهج الشريف كانت الأسرة الأردنية قد تلقت التعازي من جميع المستويات الرسمية والفعاليات الشعبية والمؤسسات وجموع المواطنين وشـهدت مدينـة القـدس تظـاهرة شـعبية كـبيرة

(١) وثيقة رقم ٣٩ وفاة الشريف الحسين والتوصية بدفنه في القدس بدلاً من مكة

كانت بمثابة تجديد البيعة للشريف الهاشمي الحسين، فجاءت تأكيداً للعهـد والوفـاء لقيادته ونهجه القويم^(۱)

القدس في عهد الملك عبدالله الأول (المؤسس)

كانت المملكة الأردنية الهاشمية ولا زالت أوثق الدول العربية ارتباطاً بفلسطين، بما فيها القدس، ولم يكن سكان شرقي الأردن بعيدين عن فلسطين وما يحدث فيها من تطورات، بالإضافة لما كان يحاك ضدها من المؤامرات لقيام الدولة اليهودية، ولقد ترجم أهل الأردن موقفهم من خلال اعتراضهم وانتقادهم لسياسة بريطانيا وفرنسا في المنطقة، فقد احتجت قبيلة بني صخر إلى ضابط الارتباط البريطاني في السلط على الاتفاق الذي تم بين الانجليز والفرنسيين، والمتضمن تجزئة البلاد العربية، وطالبت بالاستقلال التام للبلاد العربية ورفض الهجرة اليهودية. كما احتج مشايخ الطفيلة على هذا الاتفاق وطالبوا الحلفاء بالوفاء بوعودهم للعرب^(٢).

وأرسل مشايخ شرقي الأردن عريضة إلى الجنرال لويس بولز أعربوا فيها عن استيائهم من فصل فلسطين عن سوريا وجعلها موطناً لليهود، وكان هذا الاحتجاج موقعاً من الشيخ عودة أبو تايه، وشيخ الجازي، وشيخ قبيلة بني حميدة، وشيخ مشايخ بني عطية، وشيخ الطراونة، وغيرهم^(٣).

كان الأمير عبدالله بن الحسين قد تلقى رسالة من هربرت صموئيل يـدعوه فيهـا لزيارة القدس والاجتماع مـع ونـستون تـشرشل. فاصطحب الأمـير معـه إلى مدينـة القدس رشيد طليع وعوني عبد الهادي وكوكبة من الـوطنيين مـن بيـنهم فـؤاد سـليم وغالب الشعلان ومظهر رسلان واحمد مريود وأمين التميمي^(٤).

توجه سمو الأمير إلى القدس الشريف، في يوم ٢٢ آذار ١٩٢١م، وفي مدينة أريحا كان جُل أعيان فلسطين في استقباله يتقـدمهم موسـى الكـاظم الحسيني. ففـي بـاب العمود الذي يطل على القدس من ناحية الشرق، كان هناك حشد آخر من المستقبلين، وأثناء مرور الموكب، وقف الأمير وحيَّ الجموع^(ه).

وفي صباح يوم ٣٠ آذار ١٩٢١م عقد الطرفان اجتماعهما الثالث، بحضور الأمير عبدالله، والوزير تشرشل، حيث يمكن القول أن الاتفاق قام على أن تؤسس في شرقي الأردن حكومة وطنية برئاسة الأمير عبدالله بن الحسين^(١).

كان الأمير عبدالله قد تبنى قضية فلسطين. وعندما أوفدت عصبة الأمم لجنة التحقيق في حوادث الجدار الغربي للمسجد الأقصى (حادثة البراق ١٩٢٩)، كتب سموه للمندوب السامي بتاريخ ٢ تموز ١٩٣٠م يدافع عن وجهة نظر العرب والمسلمين ويندد بما صدر عن اليهود بعد حادثة البراق التي تقضي على كل أمل في إمكانية مجاورة هؤلاء الدخلاء في ذلك الوطن العامر بالعرب منذ قرون^(٢).

وعندما أعلن العرب في فلسطين إضرابهم الطويل احتجاجاً على سياسة مشروع الوطن القومي اليهودي من خلال الثورة الفلسطينية الكبرى لعام ١٩٣٦م. كان الأردنيون في عهد الإمارة، أول من تحرك لنجدة فلسطين في ثورتها، فأضربوا مع ابتداء الإضراب، وجمعوا الإعانيات، وعقدوا المؤتمرات، وأرسيلوا المذكرات والاحتجاجات، وتجسد ذلك في حزيران ١٩٣٦م حيث عقد مؤتمر في قرية أم العمد (جنوب عمان) لشيوخ شرقي الأردن وزعمائها، وقدمت مذكرة لوزارة الخارجية البريطانية، نددت بوسائل العنف التي تلجأ إليها حكومة الانتداب في فلسطين^(٣).

وعندما اشتدت الثورة العربية الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م، كتب سمو الأمير عبدالله للمندوب السامي يقول له، إن العرب في فلسطين يدافعون عن كيانهم المهدد بالزوال يوماً بعد يوم، وهم لا يرمون من وراء ما فعلوا إلا غاية واحدة، وهي الحرص على وطنهم ولفت أنظار بريطانيا إلى ما يشكون منه من تدفق الهجرة اليهودية، وأن وراء هذا القسم من الشعب العربي الفلسطيني العالم العربي كله ثم العالم الإسلامي⁽³⁾.

زيارة سمو الأمير عبدالله الأول إلى المقدس كان قد كتب صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن الحسين في ٨ شـباط عـام ١٩٤٦م رسالة إلى المندوب السامي في القدس حول رغبته في زيارة المـسجد الأقـصى

> (۱) المرجع نفسه، ص١١٥ (۲) منيب الماضي وسليمان الموسى، مرجع سابق، ص٤٥٣ (۳) المرجع نفسه، ص٤٥٥ (٤) المرجع نفسه، ص٤٥٦

وضريح والده (الشريف الحسين بن علي) ومسجد إبراهيم الخليل... والوثيقة التالية رقم ١٦٩–٤٧ تبين طلب هذه الزيارة: وثيقة رقم (١٦٩–٤٧)

عبدالله بن الحسين

عمان في ٧ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ الموافق ٨ شباط ١٩٤٦م

عزيزي صاحب الفخامة

أقدم لكم تحياتي وأشواقي مع الإكرام بكتابي هذا الذي رجوت وكيل المعتمد البريطاني بعمان أن يوصله إلى فخامتكم. ليس لنا هنا من هم إلا الأخذ في أهبة السفر الميمون إن شاء الله، ولقد حضر صاحب السمو الملكي الوصي على عرش العراق لتوديعنا، وكنت أود أن أدعو فخامتكم إلى هنا لتجتمعا وتتعارفا وكانت تلك رغبة سموه أيضاً لو لم يكن قد ضاق عليه الوقت بسبب الوزارة المستقيلة في العراق... إذا سمحتم فخامتكم ولم يكن أي مانع أحب أن أزور المسجد الأقصى وضريح الوالد المرحوم (الملك الحسين بن علي رحمه الله)، ثم مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام قبل

سفري (إلى لندن) فانتظر ما ترونه... أكرر عرض تحياتي وتكريماتي"^(١).

والوثيقة رقم (١٤١-٤٧) رسالة من المعتمد البريطاني في القدس مؤرخة في ١١ شباط ١٩٤٦م (باللغة الانجليزية) إلى سمو الأمير عبـدالله يتحـدث فيهـا عـن ترحيبـه بزيارة سمو الأمير عبدالله إلى القدس والخليل والعمل على إجراء الترتيبـات المناسـبة مع جمال الحسيني مفتي القدس، بخصوص زيارة الأمير^(٢).

الجيش العربي الأردني ومعارك القدس

يعتبر بن غوريون الشخص الذي يدين له اليهود في احتلال فلسطين، فهو الـذي عرف كيف يستغل قـرار الأمـم المتحـدة، وضـعف العـرب، والأطمـاع الاسـتعمارية واليهودية معاً، لانجاز احتلال أرض فلسطين تحت ستار زائف هو اسـتقلال إسـرائيل. لقد أدرك، أنه إذا لم يقرر إعلان الدولة اليهودية، فان ذلك الحلم سيتلاشى. فيقول بن

(١) محمد عدنان البخيت، الوثائق الهاشمية، أوراق عبدالله بن الحسين: العلاقات الأردنية السعودية، ١٩٢٥–١٩٥١م، المجلد العاشر، القسم الأول، ١٩٩٧م، ص١٣٠و١٣١ (٢) المرجع نفسه، ص١٣٢

غوريون واصفاً هذه المرحلة:" إن هذه اللحظة حاسمة في تاريخنا، إذا تقاعسنا فربما كان علينا الانتظار أجيالاً أخرى"⁽¹⁾.

كان بن غوريون يرى أنه على اليهود تحويل الوطن القومي إلى دولة، ومن ثم يدافعون عنها. لقد منح قومه رغبة في القتال؛ لأن هذا يدخلهم في حركة التاريخ وذلك بعد أن أزاحت بريطانيا العبء عن كاهلها وألقت به على هيئة الأمم المتحدة^(٢).

فأعلنت الحكومة البريطانية في السادس والعشرين من أيلول عام ١٩٤٧م عن عزمها على إنهاء انتدابها على فلسطين^(٣). وكانت قد بدأت منذ الأول من آذار عام ١٩٤٨م تعمل على إنهاء الإدارة المدنية العربية ليحل اليهود مكانها، مما جعل اليهود يسيطرون على جزء كبير من فلسطين، وبرزت محاباة بريطانيا لليهود على حساب العرب^(٤).

ففي يوم ١٤ أيار ١٩٤٨م، أنزال العلم البريطاني عن المباني الحكومية، فبادرت القوات اليهودية، وفقاً لخطة هجومية محكمة بالسيطرة على تلك المؤسسات، كمكتب البريد العام، والجنايات العامة، وبنك باركليس، ومركز قيادة الشرطة، ودار الإذاعة، وجميع مراكز الشرطة البريطانية في الحي اليهودي، وباب الخليل، ولكنها لم تنجح في فك الحصار الذي فرضه العرب على الحي اليهودي^(٥).

ففي نفس اليوم الذي أنزل فيه العلم البريطاني عن المؤسسات الحكومية غادر المندوب السامي البريطاني فلسطين، وأعلن بن غوريون (المجلس الوطني اليهودي) قيام دولة إسرائيل، من خلال تشكيل حكومة ائتلافية مؤقتة، بادرت بإصدار أول مرسوم ألغت فيه بنود الكتاب الأبيض الذي صدر في عام ١٩٣٩م، حيث سارعت الولايات المتحدة الأمريكية للاعتراف بالدولة الإسرائيلية⁽¹⁾.

- (١) تهاني هلسة، دفيد بن غوريون، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٨، ص٨٤–٨٥. (٢) سمر بهلوان، القضية الفلسطينية، ط٣، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٥–١٩٩٦م، ص٢٤٤
 - (٣) عارف العرف، النكبة، ج٥، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٥٦م، ص٩٨٢
- (٤) عمر عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العـرب الحـديث والمعاصـر، دار النهـضة للطباعـة والنـشر، بـيروت، ١٩٧٥، ص٧١٢-٧١٧
- ٥) أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٠م ، ص٥٩٤، أميل تومـا، جذور القضية الفلسطينية، دمشق، ١٩٨١، ص٣٧٣
- (٦) صدر الكتاب الأبيض في ١٧/ ٣/١٩ محيث طرحت بريطانيا خطتها السياسية الجديدة، من خلال الكتاب الأبيض في بلاغ رسمي كانت قد أعلنت فيه:" انه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، ، ولكن الهدف الذي ترمي إليه هو إقامة الحكم الذاتي، وهي ترغب في أن ترى قيام دولة فلسطينية مستقلة في النهاية"، كما أن تشكيل دولة مستقلة في فلسطين والتخلي التام عن رقابة الانتداب فيها يطالبان نشوء علاقات ما بين العرب واليهود، من شأنها أن تجعل حكم البلاد صالحاً وفي حيز الإمكان، أما نمو مؤسسات الحكم الذاتي فيجب أن تسير على قاعدة النشوء والارتقاء، أنظر أكرم زعيتر، مرجع سابق، ص١٥٥، أميل توما، مرجع سابق، دمشق، ١٩٨١، ص٣٧٣

وعلى أثر إعلان بن غوريون قيام الدولة اليهودية، دخلت الجيوش العربية في اليوم التالي إلى فلسطين للمحافظة على حقوق سكانها العرب، حيث أذاع الملك عبدالله بن الحسين (المؤسس) بيانا أكد فيه انه قد انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين، وزوال بلفور⁽¹⁾.

لقد رفض العرب قبول التقسيم والوصاية، ولـذلك بأنـه لا وجـود لأي ادعـاء استقلالي للطائفة اليهودية في فلسطين، والشعب العربي يناضل عن عروبة هذه البلاد ولن ينازعه في سيادتها منازع بعد الآن، وانه يعلـن للجميـع أن لأهـل فلـسطين حـق تقرير المصير. يتضح من هذه التطورات أن الخيار العسكري سوف يحدد معالم وطبيعة الوضع والحلول التي ستواجهها قضية فلسطين^(٢).

وهكذا بدأت المعارك الحربية في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م، حيث عبرت القوات العربية الحدود مع فلسطين من جميع جبهات القتال، في حين اجتاز الجيش العربي الأردني الحدود مع فلسطين وتخندق في مدينة أريحا استعداداً للانطلاق في اليوم التالي. علماً أن مجموع القوات العربية التي شاركت في الحرب العربية اليهودية، كمان عددها ٢١, ٥٠٠ مقاتل، موزعة على النحو التالي^(٣):

بلغ تعداده ۵۰۰ , ٤ جندي	الجيش العربي الأردني
۰۰۰, ۱۰ مقاتل ويضم بضع مثات من جنود السعودية.	مصر
۰ ۰ ۰ , ۳ مقاتل.	سوريا
۳,۰۰۰ مقاتل.	العراق
۱۰۰۰ مقاتل.	لبنان
بضع مئات	المملكة العربية السعودية
۲۱٫۵۰۰ مقاتل	المجموع

فعلى جبهة الجيش العربي الأردني كان قد وجد في القدس القديمة قبل وصول قواتهم، حوالي سبعمائة مسلح ولكنهم لم يتمكنوا من تنظيم الدفاع عن المدينة بشكل فاعل، وكان استهلاكهم للذخيرة ضخما مقارنة مع النتائج الـضئيلة الـتي كانـت قـد تحققت على ارض الواقع^(٤).

عارف العارف، مرجع سابق، ج١، ص٣٢١
 المرجع نفسه، ص٣٢١
 المرجع نفسه، ص٣٢١
 منيب الماضي وسليمان الموسى، مرجع سابق، ص٤٧٢
 مادق الشرع، حروبنا مع إسرائيل، ص١١٤

كانت وحدات الجيش العربي الأردني قد انتشرت في ١٨ أيار ١٩٤٨م في مواقع من المدينة، وتم توجيه مائة جندي من جنود المشاة المرابطين في جبل الزيتون بـدخول المدينة القديمة، وفي اليوم نفسه، شن اليهود هجوما على الـشيخ جـراح تحـت خطـة شفيفون حيث قطعوا الطريق بين القدس ورام الله^(۱).

وقد تبين أن اليهود قد اخترقوا البلدة القديمة من جهة باب النبي داوود، واتصلوا بالحي اليهودي داخل الأسوار حيث نفذت قوات البالماخ هذه العملية. والسيطرة على حي المصاروة ومنطقة باب العامود وأسس الجيش العربي خطا دفاعيا عبر البنايات الأخرى الممتدة من باب العمود حتى حي الشيخ جراح^(٢).

كان القتال قد اشتد بين الطرفين في ١٩ أيار من العام نفسه، فكانت قنابل الجيش العربي الأردني تتساقط على القوات اليهودية في حي الشيخ جراح، وجرى القتال بالسلاح الأبيض، ودارت معركة شديدة في مدرسة الشرطة في الطرف الشرقي من المدينة، وقد اشتبك فيها ما يقارب سبعمائة جندي، وتم طرد قوات البالماخ من المدينة واسترجاع الشيخ جراح^(٣).

أصيب الحرم الشريف أثناء القتال ببعض القذائف، وطلقات المورتر والأسلحة الصغيرة، وأصيبت قبة الصخرة في عدة أماكن، وقتل عدة مصلين، أو جرحوا ولم يتسن إنقاذ المدينة القديمة، والأحياء الجديدة المجاورة لها من الشمال، والشرق، إلا بتدخل الجيش العربي الأردني في اللحظة الأخيرة، فقام العرب في جنوب القدس بمساعدة الجيش العربي باحتلال رامات راحيل، وقد تغير الوضع ثلاث مرات، قبل قيام الهاغاناة باحتلال الحي، وقد قاوم اليهود القوات العربية سبعة أيام ثم استسلموا في ٢٨ أيار⁽³⁾. وفي الجهة الشمالية، كان اليهود يسيطرون على مجمع النتردام، حيث حصلت معارك ضارية، لكن في ٢٤ أيار، اضطرت القوات العربية للتخلي عن القتال^(٥)، فظل القتال مستمرا بين قوات الجيش العربي، وبين القوات اليهودية داخل الحي إلى أن سقط الحي في ٢٢ أيار ١٩٤٨م، واستسلم، وقد بلغت خسائر اليهود ثلاثمائية قتيل وثمانين جريحا^(٢).

- (۱) عبدالله التل، مرجع سابق، ص۹۹
 (۲) صادق الشرع، مرجع سابق، ص۹۹
 (٤) صالح الشورة، مرجع سابق، ص۳۲۸
- (٦) صادق الشرع، مرجع سابق، ص١١٥

(3) Glubb, Asoldier, Pp114

(5)Glubb Asoldier, P.144

وكانت القوات الأردنية قد أفرجت نحو ألف وثلاثمائة رجل وامرأة وطفل من المدنيين اليهود، ونقلتهم إلى الخطوط اليهودية في القدس الجديدة وقد استمر ثلاثمائة وأربعين مقاتلا. أما الخسائر العربية فكانت أربعة عشر شهيداً من الجيش العربي الأردني وخمسة وعشرين جريحا، وعشرة شهداء من العرب^(۱).

كان حصار الجيش الأردني على القدس محكما للغاية، فقد تمكن المجاهدون قبل ذلك من السيطرة على رأس العين التي تمد القدس بالماء. وبذلك حرمت جموع اليهود من الماء، فاعتمدوا على الآبار، وعندما سيطر الجيش الأردني على المنطقة، ظل القصف يتواصل على الحي، وكادت المدينة أن تسقط لولا ضغط الولايات المتحدة وبريطانيا في مجلس الأمن لعقد هدنة بين المتحاربين^(٢).

وهكذا استطاعت الجيوش العربية منذ دخولها في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨م، تحقيق نجاحات كبيرة على القوات اليهودية في جولات الأيام الأولى من الحرب ، رغم نقص الاستعدادات العسكرية والتنظيمية في الجانب العربي، إلا أنها جوبهت بقوة النيران اليهودية مما أدى إلى التوقف على بعض الجبهات^(٣).

في حين استمر القتال على الجبهة الشرقية، حيث كمان يخوض الجيشان العربي الأردني والعراقي حرباً شرسة مع جيش العدو الإسرائيلي، الأمر الذي دفع بالمدول الكبرى إلى فرض الهدنة ووقف القتال، ولم يستفد من هذه الهدنة إلا اليهود المذين تم تزويدهم بالأسلحة من الدول الداعمة لهم، فاستأنفوا القتال في العاشر من شهر تموز بهجوم على كافة الجبهات، بهدف تحقيق نتائج حاسمة، الأمر الذي تحقق لهم. ففي ١٥ تموز عام ١٩٤٨م كان مجلس الأمن قد أمر بوقف إطلاق النار في فرض الهدنة للمرة الثانية في التاسع عشر من تموز عام ١٩٤٨م.⁽³⁾.

وقـد دعـا قـرار مجلـس الأمـن جميع الحكومـات، والـسلطات المختـصة إلى الاستمرار في التعاون مع الوسيط الـدولي، بغيـة صـون الـسلم في فلسطين، وفقـاً لقرار مجلس الأمن الصادر في ٢٩ أيار ١٩٤٨م، مع وقف إطلاق النـار الفـوري في مدينة القدس دون قيد، والعمل على تجريد مدينـة القـدس مـن الـسلاح مـن غـير

(١) المرجع نفسه، ص١١٥.

(2) Hudson, The Transformation of Jerusalem: In Asli Editor, Jerusalem In History, P.255

مساس بالنظام السياسي للقدس⁽¹⁾. وهكذا أعلنت الحكومة الإسرائيلية في ٢ آب ١٩٤٨م أن القدس الغربية منطقة إسرائيلية محتلة، وعينت دوف جوزيف حاكما عسكريا للجزء الغربي من المدينة. من هنا بدأت إجراءات القيادة اليهودية الرامية لتهويد مدينة القدس، فاستحدثت فيها المحكمة العليا في إسرائيل في ١٤ أيلول وغيرها من المكاتب الحكومية، التي صبغت المدينة بالصبغة اليهودية^(٢). كما وضعت القدس القديمة تحت الإدارة الأردنية في ٢٦ آب عام ١٩٤٨م، وعين عليها حاكماً عسكريا أردنياً^(٣).

ولم يتوقف القتال في القدس بشكل نهائي، بل استمر حتى نهاية تشرين الثاني لعام ١٩٤٨م، فجاء على شكل مضايقات وتخريب، وقنص مما أدى إلى وقوع إصابات متفرقة، لكن دون تحقيق مكاسب عسكرية على أرض الواقع. كان قد عقد مؤتمر أريحا في الأول من كانون الأول عام ١٩٤٨م، برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل رئيساً للمؤتمر، حيث اتخذ المؤتمر قرارات مهمة تم رفعها إلى الحكومة الأردنية وجامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة، ومن أهم قراراته، مبايعة الملك عبدالله الأول ملكاً على فلسطين، بما في ذلك القدس القديمة⁽³⁾. ففي ١٦ آذار ١٩٤٩م تم إلغاء القانون العسكري في مدينة القدس، فاستبدلت الأردن الإدارة العسكرية في قسمها بإدارة مدنية

وعقد بعد ذلك اتفاقيات الهدنة الدائمة بين الدول العربية واليهود(°).

وهكذا نجد أن الجيش العربي الأردني هو الوحيد من بين الجيوش العربية، الذي احتفظ بالسيطرة على مدينة القدس القديمة واللطرون ورام الله. ففي ١٣/ ١١/ ١٩٤٨م، وقع اتفاق لوقف إطلاق النار بين المملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل، كان قد تحول في ٣ نيسان ١٩٤٩م، إلى هدنة دائمة وبموجبه قسمت مدينة القدس إلى قسمين:

- ۱. الغربي تحتله دولة إسرائيل.
- ٢. الشرقي يسيطر عليه الجيش العربي الأردني، ويفصل بينهما السور الغربي للمدينة القديمة مع جزء من الأرض المهجورة التي أصبحت منطقة مجردة من السلاح^(٢).
 - (۱) راجع ملف وثائق فلسطين، ج۱، ص۹۵۰ وما بعدها
 (۲) صالح الشورة، موجع سابق، ص۳۳۷، نقلا عن 299-228 Dov, The Faithfull City, Pp. 228-299
 (۳) أوراق الملك عبدالله، مرجع، وثيقة رقم ۱۳
 (۶) عارف العارف، مرجع سابق، ج٤، ص٨٩٧، أنظر ملف وثائق فلسطين، ج١، ص٩٦٥
 (٩) عبدالله التل، كارثة فلسطين، ط٢، دار القلم، بيروت، ١٩٥٩م، ص٣٢٢ وما بعدها
 (٦) على محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٩٤٥

وهكذا تم إخلاء القسم اليهودي من القدس القديمة ووضعت المباني على جبل سكوبكس تحت إشراف الأمم المتحدة مع أنها كانت في المنطقة العربية وخسر العرب لصالح إسرائيل كل الأحياء السكنية الحديثة، باستثناء الشيخ جراح، فقد خسروا الطالبية، والقطمون، والمصرارة، والشيخ بدر، والكولونية الألمانية، والحي اليوناني، وغيرها من القرى⁽¹⁾. سيطر اليهود على المؤسسات الغربية في القدس الغربية، وعلى الرواق الخلفي الذي يصل القدس الجديدة بإسرائيل، واحتوى على الطريق الرئيسي للساحل وكان لإسرائيل السكك الحديدية⁽¹⁾.

كما احتوت القدس العربية على المدينة القديمة والأماكن المقدسة فيها، وجبل الزيتون، والأقسام العربية من بوابة دمشق حتى الكاتدرائية وما بعدها، فكان قد طرد من القدس الغربية نحو ٢٠٠, ٢٠ ألف من سكانها العرب وصودرت أراضيهم وممتلكاتهم من قبل إسرائيل، واستقر بعضهم في القدس الشرقية بينما انتقل آخرون إلى المدن الفلسطينية الأخرى في الضفة الغربية أو إلى دمشق وبيروت وعمان وغيرها من العواصم العربية.

وبعد الحرب العربية الإسرائيلية كانت الأراضي في مدينة القـدس قـد توزعـت ملكيتها، والجدول التالي يوضح خارطة التوزيع^(٣):

النسبة	الدوغات	المدينة الجديدة
7.11, 88	****	المساحة العربية في القسم الأردني
7.88,14	17771	مساحة القدس المحتلة من اليهود
7.8,39	٨٥٠	الأراضي المحايدة (منطقة حرام ومناطق الأمم المتحدة)
7.1++	19321	المجموع

أما بالنسبة إلى ملكية الأراضي في الأماكن التي احتلـها اليهـود والبالغـة ١٦٢٦١ دونم فالجدول التالي يوضح توزيع الملكية^(٤):

ملكية العرب المسلمين	7.7934
ملكية اليهود	7.37 • , • 8

7.10,71	ملكية العرب المسيحيين وأخرى
%۲, εν	ملكية الحكومات والبلدية
7.18,09	الطرق والسكك الحديدية

فمن نتائج الحرب العربية اليهودية على مدينة القدس: ١. تأسيس دولة إسرائيل بحدود موسعة، شملت القدس العربية.
٢. ضم الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية للمملكة الأردنية الهاشمية⁽¹⁾.
ففي أعقاب انتهاء الحرب العربية الإسرائيلية عين الملك عبد الله الأول بن
الحسين عدداً من الحكام العسكريين للقطاعات التي عمل فيه الجيش العربي الأردني في في في العربي الأردني في في في أعقاب انتهاء الحرب العربية الإسرائيلية عين الملك عبد الله الأول بن
الحسين عدداً من الحكام العسكريين للقطاعات التي عمل فيه الجيش العربي الأردني في في في في أعقاب انتهاء الحرب العربية الإسرائيلية عين الملك عبد الله الأول بن
الحسين عدداً من الحكام العسكريين للقطاعات التي عمل فيه الجيش العربي الأردني في في في في أعقاب التهاء الحرب العربية الإسرائيلية عين الملك عبد الله الأول بن
في فلسطين، وكانت القدس من بين هذه القطاعات، وقد غين عليها أحمد حلمي، فيما غين إبراهيم هاشم حاكماً عسكرياً عاماً. وتلاه في تشرين الأول ١٩٤٨م عمر مطر، وبقيت الأحكام العسكرية سارية في فلسطين حتى ١٦ آذار ١٩٤٩م حين صدر قانون الإدارة العامة، وبموجبه الغيت وظائف الحكام العسكريين العربي العربي الإدارة العامة، وبعوجبه الغيت وظائف الحكام العسكرين الأردنيين، وتولى أعمال الإدارة العامة، وبموجبه الغيت وظائف الحكام العسكريين الأردنيين، وتولى أعمال الإدارة موظفون مدنيون، وقد عين عمر مطر الحاكم العسكري العام حاكماً إدارياً عاماً، وأصبحت القدس متصرفية⁽¹⁾.

وبتاريخ ١٦ حزيران انتدبت الحكومة الأردنية فلاح المدادحة حاكماً إدارياً عاماً ووالياً للقدس، ثم خلفه في الأول من أيلول راغب النشاشيبي. وبقي الأمر كـذلك حتى منتصف شهر كانون الأول لعـام ١٩٤٩م، حين أنهيت مهمة الحـاكم الإداري العام وربط متصرف القدس وبقية المتـصرفيات الأخـرى (في الـضفة الغربية) بـوزير الداخلية في العاصمة عمان^(٣).

ومع انتهاء عام ١٩٤٩م، أصبحت إدارة المملكة الأردنية الهاشمية لفلسطين كاملة ولم يبقى إلا إعلانها رسمياً. ففي الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩٥٠م، كان قد افتتح الملك عبدالله الأول الجلسة الأولى لمجلس الأمة الأردني، مؤكداً في خطاب العرش على وحدة الضفتين التي كانت قد صنعتها الإرادة الشعبية الواحدة في الضفتين، ورعاها الملك عبدالله الأول بكل أمانة وإخلاص^(٤)، لأن الحكم أمانة –

(١) المرجع نفسه. (٢) منيب الماضي وسليمان الموسى، مرجع سابق، ص٥٣٢ (٣) المرجع نفسه، ص٥٣٥–٥٣٤ (٤) ملحق الجريدة الرسمية، مـذكرات مجلس الأمـة الثـاني، الـدورة الاسـتثنائية الأولى، الجلـسة الافتتاحيـة، تـاريخ ٤/٢٤/ ١٩٥٠، ص٣

هكذا يفهمه الهاشميون- وفي تاريخهم المعاصر وجد المغفور له الملك عبدالله بن الحسين أن من الأمانة أن يحمي الجزء الفلسطيني الذي سلم من العدوان وأنقذه الجيش العربي الأردني من الوقوع في قبضة اليهود في حرب ١٩٤٨م، فكان أن وافق الملك الشيخ على إرادة الفلسطينيين بضم الضفة الغربية وإبعاد الطامعين عن التلاعب بقدرات الشعب الفلسطيني في منطقة القدس^(۱).

وهكذا أصبحت الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية وذلك بموجب قرار مجلس الأمة الأردني، الذي ضم نواباً عن الضفتين الغربية والشرقية بعدد متساو لكل منهما، وتمتع سكان القدس الشرقية بالجنسية الأردنية مثلهم مثل باقي سكان الضفة الغربية. وأصبح للواء القدس ثلاثة نواب في الجلس النيابي الأردني: اثنان مسلمان وواحد مسيحي، وبموجب قانون البلديات الأردني الصادر في 1 أيار ١٩٥٥، أصبحت بلدية القدس هيئة وطنية تدار من قبل مجلس بلدي^(٢).

كان الملك المؤسس قد أعلن يوم الخميس ١٩ غوز ١٩٥١م، أنه ينوي السفر إلى القدس لقضاء ليلته فيها والصلاة في المسجد الأقصى ظهر يوم الجمعة التالي، وكان صاحب الجلالة يجب القدس ويرغب بالتردد عليها ويصلي فيها. لقد زارها يوم استسلم الحي اليهودي للجيش العربي الأردني الباسل، حينما كان القتال على أشده فيها. ومنذ ذلك الحين وجلالته يغتنم كل فرصة ممكنة للذهاب إليها والصلاة في مسجدها الأقصى^(٣).

غادر الملك الراحل عمان على متن إحدى الطائرات بعد ظهر ذلك اليوم. وقضى ليلته في مدينة القدس. وفي صباح اليوم التالي قام بزيارة إلى رام الله ثم نابلس ليتفقد شؤون السكان فيهما. ولما وصل الملك باب المسجد. وخطى بضع خطوات عبر عتبة المسجد وجنوده وراءه، وهناك تقدم شيخ المسجد لكي يقبل يده، وفي تلك اللحظة العصيبة خرج رجل من وراء الباب الكبير يحمل مسدساً ووجد نفسه على بعد خطوة واحدة من الملك المؤسس، ومد ذراعه وأطلق النار على رأس الملك، فارداه شهيداً على أرض المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين في العشرين من تموز عام

(١) الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، مهنتي كملك: أحاديث ملكية، نشرها بالفرنسية فريـدون، ترجمهـا إلى العربيـة، غازي غزيل، مراجعة محمد عزت نصرالله، الناشر، مؤسسة مصري للتوزيع، الأهلية للنشر والتوزيع، ص٧ (٢) علي محافظة وآخرون، مرجع سابق، ص٣٤٩ (٣) منيب الماضي وسليمان الموسى، مرجع سابق، ص٥٥٩

١٩٥١م. وذلك بعد مرور خمسة عشر شهراً على إعلان الوحدة، وبعـد حكم في الأردن دام نحو ثلاثين عاماً استطاع خلاله أن يوطد ويرسخ وجود الأردن واستقلاله^(١).

بعد دفن جثمان المغفور له الملك عبدالله الأول، رفع رئيس الوزراء استقالته لسمو الوصي على العرش عملاً بالتقاليد الدستورية بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٥١م. وقد عهد إلى توفيق أبو الهدى بتأليف وزارة جديدة، حيث أشرفت على الانتخابات النيابية التي جرت يوم ٢٩ آب ١٩٥١م. ودعي مجلس الأمة الثالث للانعقاد في ١٣ أيلول بعد أن عين عبدالله الكليب رئيساً لمجلس النواب، ومثل قضاء القدس في هذا المجلس: كامل عريقات، أنور الخطيب، عبدالله نعواس^(٢). ومثل قضاء القدس في مجلس النواب لعام ١٩٥٤م: أنور نسيبة، كامل عريقات، أنطون عطاالله، ودعي هذا المجلس للاجتماع في ٢١ تشرين الأول من العام نفسه^(٣)

القدس في عهد الملك الحسين بن طلال عاد الأمير طلال إلى عمان في ٦/ ١٢/ ١٩٥٢م، بعد أن نودي به ملكاً على الأردن قبل ثلاثة أشهر. وكان الملك الجديد يتمتع بشعبية كبيرة. دام حكمه سنة واحده، وسن في عهده الدستور الحالي للمملكة في ١/ ١/ ١٩٥٢م. وتنحى الملك طلال عن الحكم في ١١ آب ١٩٥٢م ونودي بابنه وولي عهده الأمير الحسين ملكاً على الأردن، وتألف مجلس وصاية بسبب صغر عمره. وتمكن الملك من متابعة دراسته العسكرية في الكلية الحربية البريطانية ساندهيرست، ولما بلغ سن الرشد أقسم اليمين الدستورية وتسلم سلطاته كملك على الأردن في ٢ أيار ١٩٥٣م^(٤). الدستورية وتسلم سلطاته كملك على الأردن في ٢ أيار ١٩٥٣م^(٤). المريز، وحياة الملك الحسين بن طلال رحمه الله على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين، وحياة الماشميين ككل، تمثل جزءاً من كفاح الإسلام من أجل الحرية. يقول الحسين: "لقد دفن جدي الأكبر في القدس ومات جدي على مرأى مني في القدس أيضاً.. وإنني أنتسب إلى الجيل الرابع من أولئك الذين ناضلوا في سبيل الحرية والاسترداد الكامل لترابنا الوطني.."^(٥)

(١) المرجع نفسه، ص٥٥-٥٥ (٢) المرجع نفسه، ص٥٥-٥٦ (٣) المرجع نفسه ص٢٠٣و٦٠ (٤) علي محافظة، إسماعيـل عبـدالرحمن ، وليـد عبـدالحي، التربيـة الوطنيـة، دار جريـر، الطبعـة الأولى، عمـان، (٤) الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، مهنتي كملك: أحاديث ملكية، مرجع سابق، ص١٣

الإعمار المهاشمي الثاني كان المليك الشاب قد أمر عام ١٩٥٤م، بتشكيل لجنة بموجب قانون خاص لإعمار المقدسات الإسلامية في الحرم القدسي الشريف تحت الرعاية الهاشمية، وعرف القانون بقانون إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة رقم ٣٢ لسنة ١٩٥٤م، والذي ينص على: المادة ١ - يسمى هذا القانون (قانون إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة لسنة ١٩٥٤م) ويعمل من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية. المادة ٢ - يعين مجلس الوزراء لجنة لإعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة من: المشرفة من: أ- قاضي القضاة أو القائم بأعماله رئيساً.

المادة ٣– تتولى اللجنة المشار إليها في المادة السابقة النظر في تعمير وإصلاح المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة والإشراف على جميع المشتريات اللازمة لهذا العمل بالطريقة التي تراها مناسبة وفيها مصلحة للوقف، على أن تتقيد بأحكام نظام اللولذه يقدد الامكان، وأن تطرح للوناة مرة ورواد الان شاء وال تعويد وفرة

- نظام اللوازم بقدر الإمكان، وأن تطرح للمناقصة مواد الإنشاء والتعمير وفق الأسس المنصوص عليها في نظام مقاولات الأشغال العامة، وعلى أن يكون قرار اللجنة خاضعاً لتصديق رئيس الوزراء إذا كانت قيمة المشتريات أو العطاءات تتجاوز خمسمائة دينار.
- المادة٤– ترصد الأحوال المتحققة لهذا الغرض في صندوق الخزينة وتصرف بوجه عام وفقاً للأنظمة المالية.
- المادة٥- جميع مستندات النفقات الخاصة بهذا العمل تصرف باجازة من قبل قاضي القضاة أو القائم باعماله بعد موافقة اللجنة.
- المادة٦- تحتفظ اللجنة بالقيود والوثائق والمستندات اللازمة وتكون خاضعة لتـدقيق ديوان المحاسبة.
- المادة٧- رئيس الوزراء والوزراء المختصون كل فيما يتعلق بأعمال وزارتـه مكلفـون بتنفيذ أحكام هذا القانون.(١)

(١) الحسين بن طلال الموافق ١١/ ١٢/ ١٩٥٤م

المتصاميم والاشراف الفني قبل مباشرة الاعمار الهاشمي الثاني، تم الاتصال بين الملك الحسين وملوك ورؤساء الدول العربية، وارسل جمال عبدالناصر عدداً من المهندسين المصريين إلى القدس ليقوموا بالاشراف على العمل في الموقع، وكان يرأس الفريق المعماري حسين الشافعي ويساعده صلاح الكيلاني وصالح الشواربي^(۱).

كانت قبة المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة في عام ١٩٥٦م من صفائح الرصاص المهترئة بفعل عامل الزمن. فقرر الفريق المعماري المصري تركيب صفائح جديدة من الالمنيوم الفضي للأقصى المبارك، والالمنيوم ذهبي اللون لقبة الصخرة الشرفة. وصفائح من الالمنيوم العادي لسقف الاروقة في مبنى قبة الصخرة المشرفة. وعلى هذا الاساس تم وضع التصاميم، وبدأت أعمال العمران الرئيسة منذ عام ١٩٥٨م وانتهت في سنة ١٩٦٤م^(٢).

واشتمل الإعمار الهاشمي الثاني في عهد الملك الحسين بن طلال رحمـه الله علـى الأعمال العمرانية التالية:

١. إعمار المسجد الأقصى المبارك، وترميم جدرانه الخارجية الحجريـة، وتركيب أعمـدة رخامية لأربعة أروقة في الناحية الشرقية، وتركيب نوافذ من الزجاج الملون والجبس،

والسقوف الخشبية المزخرفة، والكتابات القرآنية المذهبة، وتركيب فسيفساء ذهبية، ورخام ملون على الجدران الداخلة، وترميم القبة الداخلية الخشبية والمزخرفة بالجبس والذهب. وتركيب قبة خارجية من الالمنيوم، وتمديدات إنارة داخلية^(٣). ٢. إعمار مبنى قبة الصخرة، وتركيب قبة خارجية من الالمنيوم ذهبي اللون، وصفائح المنيوم لسقوف الاروقة الثمانية، فوق جمالونات من الالمنيوم وبلاطة خرسانية، وتركيب رخام كرارا للجدران الخارجية الثمانية، ورخام ملون للجدران الداخلية، وترميم القبة الخشبية الداخلية المزخرفة بالجبس والذهب، وعمل تمديدات كهربائية مع الانارة، وترميم البلاط القاشاني الخارجي على رقبة القبة وعلى الجدران الثمانية مع الانارة، وترميم وتنظيف المغارة تحت صخرة الاسراء، وتركيب اعمدة رخامية في الانارة، وترميم وتنظيف المغارة تحت صخرة العراج».

وافتتح الملك الحسين بن طلال مبنى قبة الصخرة في احتفال كبير أقيم في ٦ آب ١٩٦٤م، وحضره مندوبو ملوك الدول الإسلامية ورؤسائها، وبعد انتهاء إعمار قبة الصخرة بوشر في التحضير للمرحلة الثانية ولكن الاحتلال الإسرائيلي للقـدس سنة ١٩٦٧م حال دون الاستمرار في الإعمار^(١).

حريق المسجد الأقصى والإعمار الهاشمي الثالث بدأ الإعمار الهاشمي الثالث في عام ١٩٦٩م على أثر حريق المسجد الأقصى على يد الإسرائيلي دنيس روهان، وكان الحريق المفتعل قد وقع في تمام الساعة السابعة من صباح يوم الحادي والعشرين من آب عام ١٩٦٩م^(٢). وإزاء هذا الحريق كان قد أصدر مجلس الأمن الدولي قراره رقم ٢٧١ في ١٩٦٩مم، دعا فيه دولة إسرائيل إلى الالتزام بالقانون الدولي، وأن تدمير الأماكن الدينية في القدس سوف يعرض الأمن والسلم الدولي للخطر^(٣). وفيما يلي أهم الأجزاء التي أحرقت داخل مبنى المسجد الأقصى المبارك: ١. منبر صلاح الدين^(٤)

- ٣. محراب زكريا المجاور لمسجد عمر
 ٤. مقام الأربعين
 ٥. ثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب شمالاً مع الأعمدة والاقواس والزخرفة والسقف الذي سقط على أرض المسجد
 ٢. عمودان رئيسان مع القوس الحامل للقبة
 ٧. القبة الخشبية الداخلية والزخرفة الجصية الملونة عليها
 ٨. الحراب الرئيس للمسجد
- (١) عزمي أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير، مرجع سابق، ص٢٧٣
 (٢) روحي الخطيب، المؤامرات الإسرائيلية على القدس ما بين ١٩٦٥–١٩٧٥م، أمانة القدس، عمان، ١٩٧٥، ص٣٩
 ٣٩) مركز الإسراء والدراسات والبحوث، القدس والقرارات الدولية الكاملة، ١٩٤٧–١٩٩٧م، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص١٩٢
 (٣) مركز الإسراء والدراسات والبحوث، القدس والقرارات الدولية الكاملة، ١٩٤٧–١٩٩٧م، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، صلاحات والبحوث، القدس والقرارات الدولية الكاملة، ١٩٤٧–١٩٩٧م، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص١٩٢
 (٣) مركز الإسراء والدراسات والبحوث، القدس والقرارات الدولية الكاملة، ١٩٤٧–١٩٩٧م، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص١٩٢
 (٣) مركز الإسراء والدراسات والبحوث، القدس والقرارات الدولية الكاملة، ١٩٤٧–١٩٩٧م، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص١٩٢

- ٩. الجدار الجنوبي والرخام الداخلي كاملاً
 ١٠. خمسون نافذة من الجبس والزجاج الملون
 ١١. السجاد العجمي
- . ١٢. سورة الاسراء التي تبتدئ مـن فـوق المحـراب والـتي كانـت مركبـة بالفسيفـساء المذهب وغيرها من الزخارف والآيات القرآنية في أماكن أخرى^(١).

كانت لجنة الإعمار الهاشمي قد أعادت المسجد الأقصى كما كان عليه قبل الحريق وبموجب أحدث المواصفات العالمية، وحصلت على جائزة الأغاخان العالمية للعمارة. ومن بين المعالم التي شملها الاعمار الهاشمي الثالث للمسجد الأقصى المبارك في عهد الملك الحسين بن طلال لغاية عام ١٩٩٤م، إعادة انشاء الجزء المهدوم وتأسيسه على الصخر الطبيعي على عمق تسعة امتار من منسوب أرضية المسجد، وتلبيس الاعمدة والجدران بالرخام الملون، ترميم القبة الداخلية الخشبية المزخرفة بالجبص المذهب بمساعدة بعض الخبراء من اليونيسكو الذين انجزو ترميم ثلث مساحة القبة، وأكمل الفنيين المحليين ما تبقى^(٢).

تم صناعة خسين نافذة من الخشب والجبس والزجاج الخليلي الملون وتركيب ثلاثة وعشرين متراً طولياً من سورة الاسراء بالفسيفساء المذهبة على الجدار الجنوبي فوق المحراب، وكتابة جميع الآيات القرآنية المذهبة كما كانت قبل الحريق، وترميم رخام المحراب، وإعادة بناء مسجد عمر ومحراب زكريا ومقام الأربعين وزخرفتها، وتبديل عمودين رخاميين من الأعمدة الحاملة للقبة، وتصفيح سقف الأروقة بالخشب والرصاص، وصيانة التمديدات الكهربائية، وتركيب جهاز جديد للانذار والاطفاء بأحدث المواصفات العالمية، وإزالة صفائح الألمنيوم عن القبة الخارجية بسبب تلفها وتركيب صفائح جديدة من الرصاص بسمك ٣ ملم، وذلك من خلال صهر الصفائح الرصاصية العثمانية القديمة^(٣).

وتقدر نفقات المملكة الأردنية الهاشمية على اوقاف القدس والمضفة الغربية خلال الفترة ١٩٥٢ – ١٩٩٤م بما يلي: الموازنة المتكررة للإدارة والرواتب والمصيانة تتراوح من ١,٦٠ مليون دينار إلى ٤,٧٠ مليون دينار سنوياً ولمدة ٤٢ عاماً، مستقاة

من قوانين الموازنة العامة. ومن سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٨٧م تراوح سعر الدينار من ١٩,٠٠ دولار إلى ٢٠,٣ دولار، وبمعدل ٥٠,٣ دولار لمدة ٣٥ سنة. ومن سنة ١٩٨٧ إلى سنة ١٩٩٤م انخفضت قيمة الدينار، وتراوحت من ٢٠,٣ دولار إلى ١,٥٠ دولار، وبعدل ٢,٢٥ دولار، ولمدة ٧ سنوات.

أما قيمة النفقات

نفقات متکررة: – ۳۵ سنة × ۱۵,۳ ملیون دینار × ۹۰,۳۰ دولار = ۳۸۵,۳۸۵ ملیون دولار – ۷ سنوات × ۱۵,۳ ملیون دینار × ۲,۲۵ دولار = ٤٩,٦١٣ ملیون دولار

> نفقات راسمالية: - الإعمار الأردني (١٩٥٦-١٩٦٦) - ٥٠, ١١ مليون دينار × ٤ دولار = ٤٠٠, ٤٦ مليون دولار - إعمار المسجد بعد الحريق (١٩٧٠-١٩٨٥) - ٣ مليون دينار × ٠٠٠, ٣ دولار = ٠٠٠, ٩ مليون دولار

كانت القدس المدينة المقدسة الأولى والعاصمة الثانية للملكة الأردنية الهاشمية بعد عمان، فشعر سكان القدس الشرقية بالأمن والاستقرار طوال الفترة الواقعة ما بين سنتي ١٩٤٩ و١٩٦٧م^(٢). ففي ظل الإدارة الأردنية، قامت شركة وطنية أردنية عام ١٩٥٧م بتزويد القدس بالتيار الكهربائي، حيث ارتفعت كمية الطاقة الكهربائية في القدس الشرقية من ٤ ملايين كيلوواط إلى ٣٠ مليون كيلوواط، وزاد عدد المشتركين من ١٩٦٣ إلى ٢٢٠٩٧ مشترك. وما أن حلت سنة ١٩٦٧م حتى كان في القدس الشرقية ثمانية مستشفيات تحتوي على ٥٥٠ سريراً. وزاد عدد الأطباء من ٢٤ طبيباً سنة ١٩٤٨ إلى ١٩٤٨م. و١٩٦٦م. وبتمويل وإدارة أردنية من ٢٤ في القدس الشرقية ثمانية مستشفيات تحتوي على ٥٩٠ سريراً. وزاد عدد الأطباء من ٢٤ طبيباً سنة ١٩٤٨ إلى ٢٤ طبيباً سنة ١٩٦٦م. وبتمويل وإدارة أردنية زاد عدد المدارس في القدس الشرقية حتى بلغ ٤٤ مدرسة سنة ١٩٦٢م تضم ١٩٧٩٧ تلميذاً.^(٣).

> (١) المرجع نفسه، ص١٦٠ (٢) علي محافظة وآخرون، القدس عبر العصور، مرجع سابق، ٣٥٢ (٣) المرجع نفسه، ص٣٥٢



حرب حزيران ١٩٦٧م وسقوط القدس الشرقية كانت البلاتان بين البياريان تراجعاتها ما الماريان م

كانت العلاقات بين الدول العربية المحيطة بإسرائيل قد بلغت حداً من التوتر الشديد. وعلى توالي الأسابيع كان الموقف يتدهور. حدث أولاً العدوان الإسرائيلي على قرية السموع في نهاية عام ١٩٦٦م، ثم التوتر المفاجئ على خطوط الهدنة السورية، وفي ٧ نيسان ١٩٦٧م دار اشتباك جوي عنيف بين الميراج الإسرائيلية والميج السورية، كان قد أمسى واضحاً، منذ قرابة خسة أعوام، بأن العرب سائرون على خط مستقيم نحو نزاع مسلح مع دولة إسرائيل^(۱).

فطلبت القيادة السورية من جمال عبدالناصر النجدة بموجب اتفاقية الدفاع المشترك بين سوريا ومصر. وصعدت إسرائيل الموقف بتهديد سوريا عسكرياً إذا استمر تسلل العرب داخل أراضيها بناء على أوامر السوريين. فقرر عبدالناصر رفع درجة الاستعداد للقتال ابتداء من ١٤ / ٥ / ١٩٦٧م. وبعد يومين طلب عبدالناصر من الأمين العام للأمم المتحدة، سحب قوات الطوارئ الدولية من مواقعه على الحدود المصرية الإسرائيلية^(٢).

في ١٨ أيار وافق أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة، جلاء قوات الطوارئ الدولية من قطاع غزة دون استشارة لمجلس الأمن. وفي الثالث والعشرين من أيار زار عبدالناصر سيناء وقرر إغلاق مضايق تيران، وبذلك غدا خليج العقبة محاصراً وميناء إيلات الإسرائيلي مشلول الحركة، فاعتبرت إسرائيل ذلك بمثابة إعلان حرب عليها.^(٣). لقد كان عنصر المفاجأة في الخامس من حزيران ١٩٦٧م، هو الذي حقق لإسرائيل انتصارها على سلاح الجو العربي، وفي مدى ثلاث ساعات، ومنذ تلك اللحظة تحددت أبعاد المعركة بين العرب وإسرائيل^(٤).

كانت إسرائيل قد بدأت الحرب على مصر، وتم ضرب قواتها الجوية في مطاراتها العسكرية وتدميرها^(ه). فشارك الأردن في القتال، وخاضت القوات المسلحة الأردنية معارك ضارية مع قوات العدو الإسرائيلي، وهاجمت الطائرات الإسرائيلية مواقع

(١) الحسين، مهنتي كملك، مرجع سابق، ص١٩٥
 (٢) علي محافظة، التربية الوطنية، مرجع سابق، ص٥٧
 (٣) مهنتي كملك، مرجع سابق، ص٩٥
 (٣) مهنتي كملك، مرجع سابق، ص٩٥
 (٤) وزارة الثقافة والأعلام، الوثائق الأردنية ١٩٦٧م، أيار –كانون الأول، الطبعة الأولى، دائرة المطبوعات والنشر،
 (٤) وزارة مائقافة والحجة ١٣٩٢/ ١ شباط ١٩٧٣م، ص١٩٨
 (٩) علي محافظة وآخرون، القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص٣٦



الجيش الأردني، وقضت على سلاح الجو الأردني الذي واجه سلاح الجو الإسرائيلي وحيداً بعد تحطيم سلاح الجو المصري. وأغارت طائرات العدو على عمان والقواعـد الجوية الأردنية^(۱).

وبلغ حجم القوات الإسرائيلية التي حشدتها في حرب حزيران ١٩٦٧م لمواجهة الجيش الأردني في الضفة الغربية، ثمانية ألوية، أربعة منها في القـدس، أي أن نـصف قواتهم في الضفة الغربية كانت في منطقة القـدس، نظـراً لما تمثلـه القـدس في العقيـدة اليهودية، حيث الهيكل، وحائط المبكى من جهة^(٢).

ولأهمية موقع القدس الاستراتيجي، فهي مفتاح الدفاع عن الضفة الغربية، فكسب معركة القدس يعني كسب معركة الضفة الغربية. أما القوات الأردنية في القـدس فكانـت بحجم لواء واحد (يتألف من ثلاث كتائب مشاة) كانت قد عززت بكتيبة رابعة، مع كتيبة مدفعية ميدان، وسرية مدفعية مضادة للدبابات، ومفرزة هندسة^(٣).

وهكذا في الخامس من حزيران شنت إسرائيل عدواناً مبيتاً على الدول العربية واحتلت نتيجة ذلك جزيرة سيناء من مصر، وهضبة الجولان من سوريا، والضفة الغربية بما فيها القدس من المملكة الأردنية الهاشمية. حيث كانت حرب الأيام الستة لعام ويلخص الملك الراحل رحمه الله النتائج المباشرة لهذه الحرب وانعكاساتها على ويلخص الملك الراحل رحمه الله النتائج المباشرة لهذه الحرب وانعكاساتها على الصعيد الداخلي: " لست أنا فحسب، بل إن رجالي وشعي خرجوا جميعاً مهدين من وإطفاء كل الرماد الذي مانيزال حاراً، وإزالة جميع ما تراكم من أنقاض⁽¹⁾. وإطفاء كل الرماد الذي كان ما يزال حاراً، وإزالة جميع ما تراكم من أنقاض⁽¹⁾. الفروف الماثلة... لقد مسقطت القدس في صباح السابع من حزيران، فاحتلمها الإسرائيليون مع قبة الصخرة وسائر الأماكن المقدسة، واحتلوا بيت لحم ونابلس ورام الله والخليل، لقد دافعنا بضراوة عن كل متر مربع من هذه الأرض مضحين بحياة الله والخليل، لقد دافعنا بضراوة عن كل متر مربع من هذه الأرض مضحين بحياة المت والمات والآلاف من الرامان الماتين المائين المائين المائيل الدموع المائيليون مع قبة الصخرة وسائر الأماكن المقدسة، واحتلوا بيت لم ونابلس ورام الله والخليل، فقد دافعنا بضراوة عن كل متر مربع من هذه الأرض مضحين بحياة المائية والمائين المائين المائين المائين المائين المائين المائين المائينية المائية... لقد من قرام المائين المائين المائين المائين من المائية... لقد من قطان الأماكن المقدسة، واحتلوا بيت لم ونابلس ورام المائون والمائين من الرجال⁽⁶⁾.

علي محافظة، التربية الوطنية، مرجع سابق، ص٥٧ و٥٨
 علي محافظة وآخرون، القدس عبر العصور، مرجع سابق، ص٣٦٦
 المرجع نفسه، ص٣٦٦
 مهنتي كملك، مرجع سابق، ص٩٧
 مهنتي كملك، مرجع سابق، ص٩٩



وبعد ثلاثة أيام من المعارك التي كانوا يقاتلون فيها رجلاً مقابل خمسة رجال، اضطروا، وقد نال منهم التعب المرهق، إلى التراجع مرفوعي الرؤوس. ليس لدي ما ألوم قواتي عليه. وأنني لعلى ثقة من أن المراقبين الأجانب قد أعربوا بوضوح عن آرائهم حول الطريقة التي حاربت بها الجيوش العربية، ولاسيما الأردنيين الذين كانوا في نظرهم خير من قاتل منهم"⁽¹⁾. فكانت خسائر الجيش العربي الأردني، في حرب ١٩٦٧ • ٥٠ شهيداً و ٢٠٠٠ بين جريح ومفقود. وفقدت الأردن ١٨٠ دبابة و ٢١ طائرة^(٢).

وفور احتلال إسرائيل لمدينة القدس بدأت حكومتها باتخاذ إجراءات لضم المدينة إليها وتهويدها، وعملت على تغيير وضع المدينة، فقد عينت إدارة عسكرية لها وعملت على تهجير سكانها العرب. وتقدر المصادر الفلسطينية عدد الذين تركوا المدينة في الأيام الأولى بعد احتلالها بـ٢٠–٣٠ ألف نسمة من مجموع ١٠٠ ألف^(٢). في حين يقدر مصدر إسرائيلي عدد المغادرين في الأيام الأولى التي تلت الحرب بـ نسمة يومياً^(٤).

لقد أثارت الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القـدس حفيظة الجمعية العامة للأمم المتحدة، ونص القـرار التـالي يـبين رفـض هيئة الأمـم المتحـدة والمجتمع الدولي الممارسات اليهودية التعسفية تجاه القدس الشريف: مرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٢٥٣ بشأن القدس

نيويورك ٤ تموز ١٩٦٧م. تشعر الجمعية العامة بقلـق شـديد مـن أجـل الموقـف الـسائد في القـدس نتيجـة للإجراءات التي اتخذتها لتغيير وضع المدينة. ١. تعتبر هذه الإجراءات غير مشروعة. ٢. تدعو إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات التي اتخذت والامتناع عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس.

(١) المرجع نفسه، ص٢٠٩ (٢) القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية/ التوجيه المعنوي (٣) عزمي أبو عليان، القدس بـين الاحـتلال والتحريـر عـبر العـصور القديمـة والوسـطى والحديثـة، مؤسـسة بـاكير للدراسات الثقافية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٥٧و٥٥

(4) Meron Benvenisti, Jerusalem, The torn city (Jerusalem, Israypest, 1976, P.100



٣. ترجو السكرتير العام تقديم تقرير إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن حول الموقف وحول تنفيذ هذا القرار في موعد لا يتجاوز أسبوعاً واحداً من تاريخ اتخاذه(١). وفي ٣٠ تموز ١٩٨٠ وضع البرلمان الإسرائيلي القانون الأساسي "القدس عاصمة إسرائيل". فقد نصت المادة الأولى على أن القـدس الكاملـة والموحـدة هـي عاصـمة إسرائيل. ونصت المادة الثانية منه على أن القدس هي مقر رئيس الدولـة والكنيـست والحكومة والمحكمة العليا. ونبصت المادة الرابعية على أن تخبصص الحكومية موارد لتطوير مدينة القدس بما فيها منحة سنوية خاصة لبلدية القدس وذلك بمصادقة اللجنة المالية للكنيست^(٢).

وهكذا بدأت إسرائيل حملة انتهاكات للأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية، في القدس الشرقية، ومنعت المسلمين والمسيحيين من الوصول إلى أماكنهم الدينية. وكانت تهدف من هذه السياسة للكشف عن الآثار المزعومة لهيكل سليمان وذلك من خلال الحفريات في محيط منطقة المقدسات والآثار الإسلامية من السطح على مستوى ساحة الحرم القدسي الشريف ومن الأسفل في الأساسات (٣).

قرار فك الارتباط مع الضفة الغربية

وفي ظل اقتناع الحكومة الأردنية بتمسك الشعب الفلسطيني ممثلاً بمنظمة التحريـر الفلسطينية، بوجوب التمثيل الفلسطيني المستقل، فما كـان منهـا إلا أن أعلنـت في ٢٨ تموز ١٩٨٨م إلغاء خطة التنمية الأردنية للضفة الغربية. وبعد ذلك صدر قرار فك الارتباط القانوني والإداري بين الضفتين().

وفي ٤ آب صدر قرار من مجلس الوزراء الأردني بإحالة جميع الموظفين الأردنـين في الدوائر والمؤسسات في الضفة الغربية على التقاعد، مع المحافظة على كامل حقوقهم التقاعدية وفقاً لقانون التقاعد المدني. وأصدر رئيس الوزراء تعليمات على اعتبار كـل شخص يقيم في الضفة الغربية قبل ٣١ تموز ١٩٨٨م مواطناً فلسطينياً ولـيس أردنياً.

- (١) وزارة الثقافة والأعلام، الوثائق الأردنية ١٩٦٧م، مرجع سابق، ص١١٧، قدمت الباكستان مشروع هـذا القـرار فأقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الطارئة الخاصة بالشرق الأوسط بموافقة ٩٩ دولة وامتناع ٢٠ دولـة عن التصويت، رقم القرار (ES-V) A/RES/2253
- (٢) نواف الزرو، القدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، دار الخواجا، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، ص٣١
- (٣) عبدالله كنعان، الاستيطان اليهودي في مدينة القدس، منشورات اللجنة الملكيـة لـشؤون القـدس، عمـان، الطبعـة الأولى ٢٠٠٣م، ص٢٧
 - (٤) علي محافظة، التربية الوطنية، مرجع سابق، ص٦٧



وقد رحبت منظمة التحرير الفلسطينية بقرار فك الارتبـاط ومـا تـلاه مـن إجـراءات، على اعتبار أن السيادة الأردنية على الـضفة الغربيـة قـد انتقلـت إلى منظمـة التحريـر الفلسطينية وللشعب الفلسطيني^(۱).

القدس في المعاهدة الأردنية الإسرائيلية في ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٤م توصل الأردن وإسرائيل إلى توقيع معاهدة سلام، وقد تناولت المعاهدة في المادة التاسعة تحت عنوان: "الأماكن ذات الأهمية التاريخية والدينية وحوار الأديان"، وقد تضمنت الفقرة الثانية من المادة التاسعة مايلي: أولاً. سيمنح كل طرف للطرف الآخر الوصول للأماكن ذات الأهمية الدينية والتاريخية. ثانياً. نظراً لإعلان واشنطن، الذي تم بموجبه إنهاء حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل في ٢٥ تموز عام ١٩٩٤م، تحترم إسرائيل الدور الحالي الخاص للمملكة الأردنية الهاشمية في الأماكن الإسلامية المقدسة في مدينة القدس، وعند انعقاد مفاوضات

الوضع النهمائي ستعطي دولية إسترائيل أولويية كبري ليدور المملكية الأردنيية

الهاشمية التاريخي في هذه الأماكن. **ثالثاً**. سيقوم الطرفان بالعمل لتعزيز حوار الأديان بين الأديان السماوية الثلاث، وذلـك بهدف العمل باتجاه تفاهم ديني والتزام أخلاقي وحرية العبادة والتسامح والسلام^(٢).

علماً أن الأردن لا يمكنه ترك المسؤولية الدينية على الأماكن المقدسة في مدينة القدس بشكل رسمي لدولة إسرائيل، في حين ستنتقل الولاية الدينية على المقدسات للفلسطينيين، عندما يتفق الطرفان في المفاوضات النهائية على وضع القدس^(٣). وهكذا بقيت المملكة الأردنية الهاشمية مرتبطة بالقدس من خلال البعد الديني وليس السياسي، الأمر الذي تقر دولة إسرائيل للأردن فيه وذلك من خلال دورها الريادي في رعاية المقدسات الإسلامية^(٤).

(١) علي محافظة، المرجع نفسه، ص٦٥-٦٧
 (٢) وزارة الأعلام الأردنية، معركة السلام، ج٢، المعاهدة الأردنية الإسرائيلية وثائقها وأبعادها، منشورات دائرة المطبوعات والنشر، عمان، ١٩٩٤م، ص٩
 (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، ج٢، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعادة الأردنية، معركة السلام، ص٩
 (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعلام الأردنية، معركة السلام، موتمر صحفي لولي العهد الأردني الأمير حسن بن طلال في (٣) وزارة الإعام الما المردنية الدار البيضاء الاقتصادية، ص٢٤
 (٣) فاروق الشناق، الرؤية الأردنية للقدس بين الاستمرارية والتحول، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، ٢٠٠١م، ص٢٨



القدس في عهد الملك عبداللة الثاني وفي السابع من شباط عام ١٩٩٩م توفي الملك الحسين بن طلال. وجرت مراسيم تشييع جثمانه في اليوم التالي بحضور العديد من رؤساء الدول العربية والإسلامية والصديقة إلى مثواه الأخير في المقابر الملكية في العاصمة الأردنية. وارتقى عرش المملكة الملك عبدالله الثاني بن الحسين المعظم في السابع من شباط من العام نفسه⁽¹⁾. وصاحب الجلالة هو الحفيد الثالث والأربعون لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، من ذرية الحسين بن علي، وهو الملك الرابع للملكة الأردنية الهاشمية منذ أن تأسست إمارة شرق الأردن في سنة ١٩٢١م^(٢).

ونال المسجد الأقصى في عهد جلالة الملك عبدالله الثاني اهتماما كبيراً، إذ جسد جلالته بذلك استمرارية هاشمية في رعاية مدينة القدس ومقدساتها لما لها من مكانة ومنزلة في سائر الديانات السماوية، حيث تشرف جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين بوضع اللوحة الزخرفية الأولى على جسم المنبر في الأول من كانون الأول ٢٠٠٢م، ومنذ ذلك التاريخ عملت اللجنة المشرفة على وضع التصاميم الخاصة لإعادة تصميم المنبر. وتصدر العمل في عملية التصميم جلّ الاهتمام، ليعود المنبر على صورته الحقيقية ببالغ الدقة والإتقان، كما أراد له أن يكون جلالة المغفور له بإذن الله الملك الحسين بن طلال

وكان قد ترأس رئيس لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الـصخرة المشرفة لجنة الإشراف على تصميم المنبر التي شكلت بموجب الاتفاقية الموقعة مع جامعة البلقاء التطبيقية وهي الجهة المنفذة للعمل، وأنيط باللجنة مهمة الإشراف العام على المشروع والتأكد من أن جميع خطوات العمل مطابقة للمواصفات والشروط.

وحرصا على تفعيل العمل في هذا المشروع ، شكلت لجنة فنية متخصصة برئاسة نائب رئيس لجنة الإعمار (وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية)، وبدورها قامت جامعة البلقاء التطبيقية باتخاذ الإجراءات اللازمة لزيادة أعداد الفنيين والحرفيين العاملين في مشروع إعادة تصميم المنبر بهدف تقليص المدة اللازمة لإنجازه، وأحضرت

- (۱) على محافظة، المرجع نفسه، ص۸۱
- (٢) حول تأسيس إمارة شرق الأردن، راجع منيب الماضي وسليمان موسى، مرجع سابق، ص١٣٢-١٤٨
- (٣) وجه الملك الحسين بن طلال رسالة ملكّية سامية إلى دولة عبدالسلام المجالي بتّاريخ ١٠ ربيـع أول سـنة ١٤١٤هـ. الموافق ٢٨ آب ١٩٩٣م، يأمره فيها أن تباشر لجنة الإعمار بإعادة صنع المنبر مهما كلف من جهد ومـال، الإعمـار الهاشمي في القدس، ص١٧٢



الجهات المختصة للبدء في أعمال تنفيذ المنبر، واستقدمت للعمل فنيون، حيث تم إعادة نصبه في المسجد الأقصى في مطلع شهر شباط ٢٠٠٧م. وبلغت كلفة المشروع نحو مليوني دينار⁽¹⁾.

رسالة عمان في عهد الملك عبدالله الثانى بيان للناس فعلى الصعيد الحضاري سار جلالة الملك عبدالله الثاني على خطى الراحل الكبير الحسين بن طلال في الوقوف إلى جانب السلام العادل والدائم كسمة تميز بهما الحكم في المملكة الأردنية الهاشمية من خلال إتباع سياسة الوسطية والحوار طريقاً لما يحيق بالامة العربية والإسلامية من أخطار جسيمة، ولاسـيما القـضية الفلسطينية بمـا فيها القدس الشريف.

من هنا، تبنت المملكة الأردنية الهاشمية في السنوات الأولى من حكم المليك الشاب رسالة عمان، فجاءت نهجاً يحرص على إبراز الصورة الحقيقية المشرقة للإسلام بحكم المسؤولية الروحية والتاريخية الموروثية التي تحمليها قيادتها الهاشمية بشرعية موصولة بالمصفى صلى الله عليه وسلم، صاحب الرسالة (٢).

ويتمثل هذا النهج في الجهود الحثيثة التي بذلها جلالة المغفور لـه بـإذن الله تعـالى الحسين بن طلال طيب الله ثراه على مدى خمسة عقـود، وواصـلها، مـن بعـده، بعـزم وتصميم جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين، منذ أن تسلم الراية، عام ١٩٩٩م خدمة للإسلام، وتأكيداً لدوره في بناء الحضارة الإنسانية وتقدمها^(٣).

تجسد رسالة عمان في عهد الملك عبدالله الثاني بيان للناس، في ديار الإسلام، وفي أرجاء العالم، تعتز عمان، بأن يصدر منها في شهر رمضان المبارك ١٤٢٥هـ/ تشرين الثاني، ٢٠٠٤م الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، نصارح فيه الآمة، بما يحيق بها من أخطار، مدركين ما تتعرض له تحديات تهدد هويتها وتفرق كلمتها وتعمل على تشويه دينها والنيل من مقدساتها...(٤)

والإسلام... بشر بمبادئ وقيم سامية تحقق خير الإنسانية قوامها وحدة الجنس البشري، وأن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، والسلام، والعدل، وتحقيق الأمـن

- (١) حول إعادة تصميم منبر صلاح الدين في مطلع شباط ٢٠٠٧م، أنظر بسام البطوش وآخرون، التربية الوطنيـة، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، عمان، ٢٠١٠م، ص٣٦
 - (٢) رسالة عمان، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، رمضان المبارك، ١٤٢٥هـ/ تشرين الثاني، ٢٠٠٤ميلادية
 - (۳) رسالة عمان، المصدر نفسه
 - (٤) رسالة عمان، المصدر نفسه



الشامل والتكافل الاجتماعي، وحسن الجوار... وغيرها من مبادئ تؤلف بمجموعها قواسم مشتركة بين أتباع الديانات؛ ذلك أن أصل الديانات الإلهية واحد، والمسلم يؤمن بجميع الرسل، ولا يفرق بين أحد منهم... مستندين في هذا كله إلى قوله تعالى: " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"⁽¹⁾.

وكرم الإسلام الإنسان دون النظر إلى لونه أو جنسه أو دينه، بقوله تعالى:" ولقـد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفـضلناهم علـى كـثير ممن خلقنا تفضيلا"^(٢). وقد بين الإسلام أن هـدف رسـالته هـو تحقيـق الرحـة والخـير للناس أجعين، قال تعالى:" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"^(٣).

وفي الوقت الذي دعا فيه الإسلام إلى معاملة الآخرين بالمثل، حث على التسامح والعفو اللذين يعبران عن سمو النفس:" وجزاء سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله"^(٤). والدين الإسلامي الحنيف قام على التوازن والاعتدال والتوسط والتيسير، قال تعالى:" وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً"⁽⁰⁾.

وقد أسس الإسلام للعلم والتدبر والتفكير ما مكن من إيجاد تلك الحضارة الإسلامية الراسخة التي كانت حلقة مهمة انتقل بها الغرب إلى أبواب العلم الحديث، والتي شارك في إنجازاتها غير المسلمين باعتبارها حضارة إنسانية شاملة... والأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم، فلا قتـال حيث لا عـدوان وإنمـا المـودة والعـدل والإحسان:" لا ينهاكم الله عن الدين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم مـن ديـاركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يجب المقسطين"⁽¹⁾.

إن هدي هذا الإسلام العظيم الذي نتشرف بالانتساب إليه يدعونا إلى الانخراط والمشاركة في المجتمع الإنساني والإسهام في رقيه وتقدمة متعاونين مع كمل قوى الخير والتعقل ومحيي العدل عند الشعوب..كما نتطلع إلى نهوض علماءنا إلى الإسهام في تفعيل مسيرتنا وتحقيق أولوياتنا بأن يكونوا القدوة والمثل في الدين والخلق والسلوك

- (١) سورة البقرة، آية، ٢٨٥
 (٢) سورة الإسراء، آية ٧٠
 (٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٧
- (٤) سورة الشوري، آية ٤٠
- (٥) سورة البقرة، آية ١٤٣
- (٦) سورة الممتحنة، آية ٨



والخطاب الراشد المستنير... ويبثون بين أفراد الأمة وفي أرجاء العالم الخير والسلام والمحبة، بدقة العلم وبصيرة الحكمة ورشد السياسة في الأمور كلمها، يجمعون لا يفرقون، ويؤلفون القلوب ولا ينفرونها، ويستشرفون آفاق التلبية لمتطلبات القرن الحادي والعشرين والتصدي لتحدياته^(۱).

والله نسأل أن يهيئ لأمتنا الإسلامية سـبل النهـضة والرفـات والتقـدم، ويجنيهـا شرور الغلو والتطرف والانغلاق، ويحفظ حقوقها، ويديم مجدها، ويرسخ عزتهـا، إنـه نعم المولى ونعم النصير. قال تعـالى:" وأن هـذا صـراطي مستقيماً فـاتبعوه بكـم عـن سبيله، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون"^(٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين عن رسالة عمان في عهد جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم

الصادرة في عمان/ المملكة الأردنية الهاشمية رمضان المبارك، ١٤٢٥هـ

> (1) رسالة عمان (۲) سورة الأنعام، آية ۱۵۳

تشرين الثاني، ٢٠٠٤ ميلادي



(فخاتمة

اليبوسيون بطن من بطون الكنعانيين العرب، وقد هاجروا من الجزيرة العربية إلى القدس مع الموجة العربية السّاميّة إلى بلاد الشام التي عرفت باسم الاموريـة-الكنعانية، والتي تعاظم أمرها في أواسط الالف الثالث قبل الميلاد، واليبوسيون بناة القدس الأولون، فقد انشاوها في الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير، وجاءت تسميتهم باليبوسيين نسبة إلى جدهم الأعلى يبوس، وكانت على عهدهم تسمى "يبوس". في حين عرفت القدس باسم "أورسالم" الـذي ظهر لأول مرة في مجموعة الألواح التي عرفت بما يدعى "نصوص اللعنة" التي عثر عليها في مصر في فترة حكم سيزو ستريس الثالث (١٨٧٩–١٨٤٢) ق.م. وكانت تسمية القدس قد شاعت أيضاً باسم "أورشليم"، وهذا الاسم المشتق من التسمية الكنعانية الجنوبية "أورسالم" لما لـه مـن علاقـة بتطـور مفـردات اللغـة الأرامية على اعتبار أن القلم العبري أحد لهجات اللغة الأرامية . وسالم ربما هـو يبوس، أي بمعنى الإله سالم ملك القدس. وظلت أورسالم "القدس" مدينة عربية مستقلة يحكمها اليبوسيون إلى أن فتحها الملك داود عليه السلام حوالي عـام ٩٩٧ قبل الميلاد. وأثبتت الدراسات بقاء مدينة القدس كنعانية-يبوسية، وعدم وجود مـا يسمى المملكة الموحدة لإسرائيل ويهوذا، وعدم تميز القدس كمدينة خارجة عن السياق الكنعاني اليبوسي، كأن تكون عبرية أو يهودية أو غير ذلك. ففي أواخر الحكم اليوناني شيد حكامهم عدد من المدن في فلسطين مثل السامرة وبيسان وغزة، وعلى الأرجح أن مدينة القدس كانت سنة ٦٤ ق.م عاصمة لليهود. ففي عهد Herodus الروماني شهدت القـدس، ازدهـارا كـبيراً إذ وصلت مساحتها إلى ١٨٠ هكتاراً، وبلغ عدد سكانها نحو الثمانين ألفاً، وقـد عثـر فيها على بقايا عمائرية يعتقد بأنها جزء من قصر الملك هيردوس، الذي تـوفي سـنة ٤ ق.م، بينما في عهد هادريان دُمرت القدس القديمة، وأقام مكانها مدينة رومانية



أسماها إيليا كابتولينا، نحو ١٣٠م، الأمر الذي أدى إلى قيام ثورة يهودية على الرومان، أطلق عليها ثورة "بار-كوخبا". فكانت الثورة بمثابة نهاية وجود اليهود في القدس.

وللقدس أهمية كبرى في مراحل تطور الديانة المسيحية، ففي محيط المدينة المباركة ولد السيد المسيح عيسى عليه السلام، وعاش فصول حياته، لذلك يحتل المكان والزمان أهمية دينية في قلوب المسيحيين. ففي القدس كان أول بناء للكنائس على يد هيلانة سنة ٣٢٤م، فشيدت كنيسة القيامة وأخرى على جبل الزيتون و كنيسة المهد.

وبدأ تعظيم بيت المقدس منذ بداية الإسلام، وخاصة بعد نزول آية الاسراء بمكة (قبل الهجرة بسنة)، تشير إلى الإسراء بالنبي عليه السلام من مكة (المسجد الحرام) إلى المسجد الأقصى. قالى تعال: {سُبْحَانَ الَـذِي أَسْرَى بِعَبْـدِهِ لَـيلاً مِـنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأقصى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّـه هُـوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وشهدت خلافة عمر بن الخطاب أشد المراحل حسماً في تقرير مصير القدس، فقد أخذت حشود البيزنطيين تتجمع في اليرموك، ولما التقى الجيشان، كان النصر المبين للمسلمين، فأول عمل قام به الخليفة لدى وصوله القدس هو أن أعطى أهلها العهد التاريخي المعروف بالعهدة العمرية، وتجعل معظم الروايات المبكرة تاريخ فتح القدس سنة ١٦هـ/ ٢٣٧م . ومن أعظم مآثر الأمويين في القدس بناؤهم قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك داخل الحرم القدسي الشريف. وقد مرت القدس بجملة أحداث خلال الحكم العباس، فقد ازدادت أهمية المدينة في عهدهم، وأظهر الخلفاء تقديراً كبيراً للمدينة المقدسة.

وأنشأ الفاطميون مؤسستين مهمتين في القدس هما البمارستان الفاطمي ودار العلم الفاطمية، وأولوا المدينة عناية كبيرة، وخاصة المسجد الأقصى وقبة الـصخرة المشرفة، ولم يكونوا أقل حرصاً ممن سبقهم من الحكمام على تأكيد حرمة بيت المقدس وأهميتها الإسلامية.

ففي عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي عادت القـدس سـنة ١١٨٧م، لنـور الإسلام من جديد بعد أن خيم عليها ظلام الصليبيين الدامس مـدة ثمـان وثمـانين سنة ميلادية. والحـدث الحاسـم في تـاريخ المدينـة يكمـن في نجـاح المماليـك بطـرد



الصليبيين من الأرض المقدسة. ومع أن هـذا لم يتحقـق إلا سـنة ١٢٩١م، وذلـك بسقوط عكا بيد الملك الأشرف خليل بن قلاوون.

وفي العهد العثماني أصبحت القدس متصرفية مستقلة سنة ١٨٧٤م، عندما انفصلت عن ولاية دمشق، وغيرت فترة الحكم المصري في حياة المدينة، حيث أن سياسة محمد علي باشا أفضت إلى الوجود الغربي في أكناف بيت المقدس، وجلبت الإدارة البريطانية معها، مشروع إقامة الوطن اليهودي في فلسطين، لـذلك بـدت متحيزة لهم في القدس على حساب سكانها المحليين. وقد نالت القدس عناية كبيرة من تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية المتمثل في الـدفاع عنها ورعايتها من خلال الإعمار الهاشمي لقبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك.

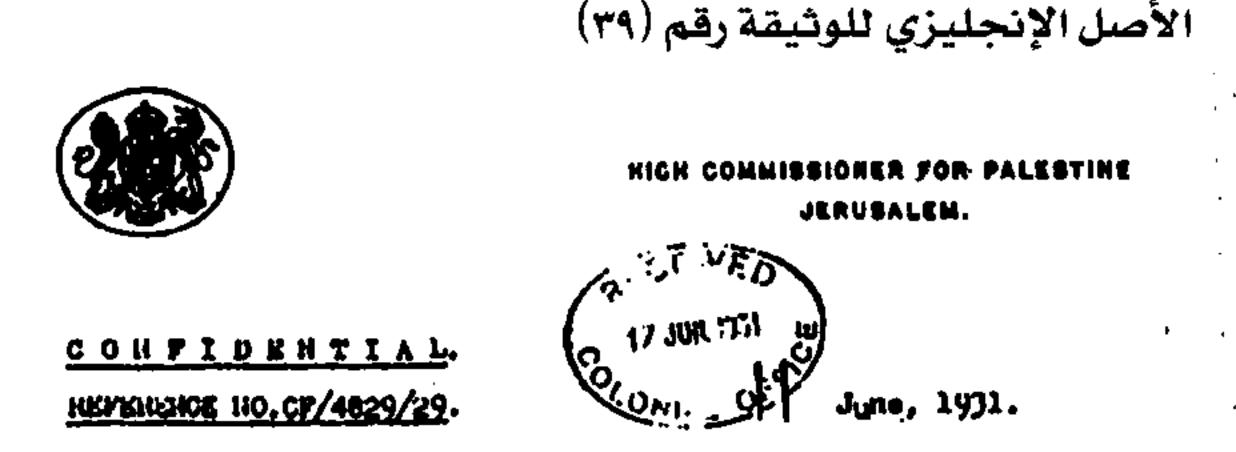


الملاحق



الصخرة المشرفة التي عرج منها النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء في ليلة الإسراء والمعراج





My Lord.

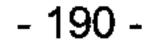
In confirmation of my telegram No.51 of the 4th June, I have the honour to inform Your Lordship that King Hussein died at Amman at 3 a.m. on the 4th June.

During his stay at Amman King Hussein had been visited from time to time by his sons King Falsal, King Aly, the Amir Zoid and other members of his family.

2. As soon as it was known that King Hussein's condition was desperate, King Aly informed Haj Amin EFF. al Husseini, the Prosident of the Supreme Hoslow Council, who was then at Amean, that it had been the wish of the family that King Hussein should be buried at Hecca, but that since the difficulties in the way of realising that wish were insuperable they desired that he should be buried in the Harem esh-Sherif at Jerusalem.

3. Haj Amin Effendi welcoused the suggestion, and, on the eve of King Hussein's death, reported the fact to Government with the request that facilities should be accorded by the Palestine Government for the burial

The Hight Honourable Lord Passfield, P.C., His Majesty's Principal Secretary of State for the Colonies.



تابع وثيقة (٣٩)

of King Hussein with all the honours due to the arab ruler who had persuaded the Arabs to throw in their lot with the Allied Forces during the Great War. I caused Haj Amin Effendi to be informed that -11 proper facilities would be granted for the ceromony.

4. On the 4th June at 10 a.m., the body of King Hussein left Amaun by motor car.

The cortege was formed of the sons and relatives of King Hunsein, including King Aly, the Amir Abdullah, the Amirs Zeid, Shakir and Talal. The Uritish Resident, Amman, the Officer Commanding the Arab Legion and many Arab notables were also present. Along the route from Amman to Jerusalem frequent halts were made to enable delegations of villagers to pay their respects to the dead King.

The Amir Abdullah and King Aly were met at the Allenby Bridge on my behalf by Muhi Bey Abdulhadi, Assistant Secretary, nocompanied by a British Police Officer. The party was there joined by several delegations of Palestinian Arabs, representing different towns and bodies.

5. At 2.20 p.m. the portège reached Jerusalem and stopped at Herod's Gate, where Government representatives, mombers of the Consular Corps, ecclesinstical dignituries, Arab notables awaited it. Representatives of the Chief Rabbinate and of the Executive of the Jewish Agency, although they had not been invited, were also in attendance. The Italian Consul-General, who was also omitted from the list of invitations, was not present.



تابع وثيقة (٣٩)

3

6. At Herod's Gute a procession was formed, headed by the band of the Arab Legion. The procession included the Mayors of Jerusalem, Haifa, Jaffa and other towns, the Consular Body, delegations represanting various Moslem and Christian Societies from many parts of Palestine with their banners, and parties of boy scouts and school boys. The procession approached the Haram esh-Sherif by the Dumascus Gate and the Old City. The streets and buildings along which it passed were crowded with interested spectators.

I was represented in the procession by my Frivate Secretary and Aide-de-Camp. The Acting

Chief Justice, the Chief Secretary, the Officer Commanding, Trans-Jordan Frontier Force and Heads of Departments were in attendance. Major Habert Young, Counsellor of the High Commission for Iraq who happened to be in Jerusalem was also present.

A Guard of Honour was furnished by the Hoyal Warwickshire Regiment and saluted the coffin as it entered the Old City at the Dumuscus Gate.

7. At 4 p.m. the coffin was carried into the Dome of the Nock, and immediately afterwards the Amir Abdallah and King Aly received the Government representatives, Consuls and other non-Moslem notables, who after expressing their sympathy with the Hashimite family left the Harma Area.

At 4.30 p.m. the offin was carried to the Movius of Al Aqsa where, after the usual religious corcmonies, funeral orations were delivered by the President of the Supreme Muslem Council, Sheikha

- 192 -

تابع وثيقة (٣٩)*

Abdul Kader Al Huzaffar, Issaf Eff. Al Nashashibi and Dr. Khalid Al Hakim.

At about 5 p.m. the burial took place in a small and beuutiful old Mosque which abuts on the Huram Area a few yards from the tomb of Mohammad Ali and on its northern side.

A window has been specially opened in the wall of the Haram to connect the tomb with the Haram Area.

8. No untoward incident of any kind occurred during the funeral; and the Amir Abdullah and King Aly expressed to me their deep appreciation of the arrangements made by the Government for the funeral of their father.

Flags were flown at half-mast on Government

buildings and at the Royal Air Force and Militury Stations and on the Consular offices on the day of the funeral.

9. I invited King Aly and Amir Abdullah to dine and to spend the night at Government House. The King and the Amir expressed their gratitude for this invitation which they accepted.

> I have the honour to be, My Lord, Your Lordship's most obedient, humble servant,

J.R. Chancello.

HIGH COMMISSIONER FOR PALESTINE.

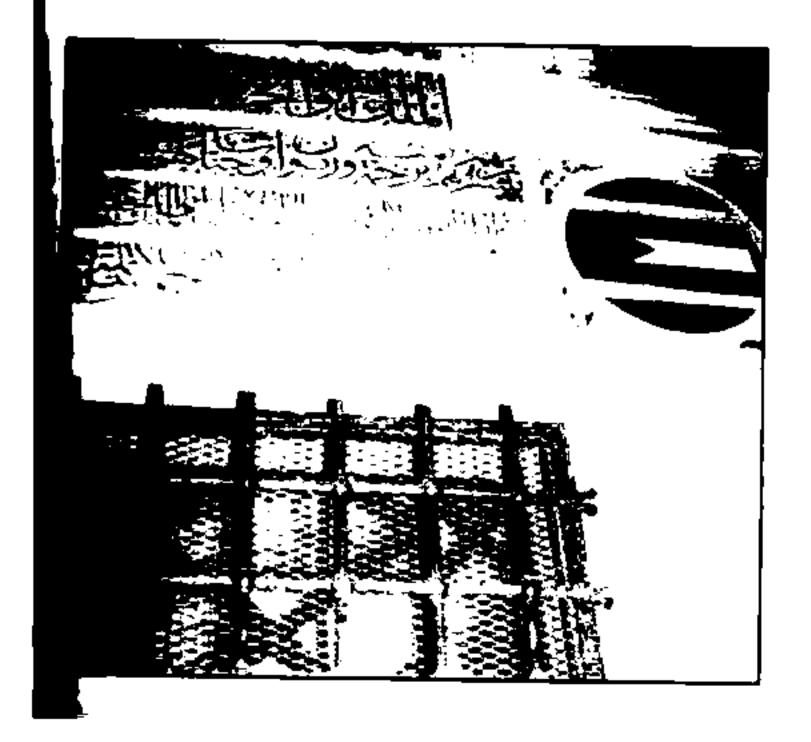
* بكر الجالي، مرجع سابق، ص١٤٩ - ١٥٢.

- 193 -

بسم الله الرحمن الرحيم «يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها مقام نعيم» ضريح ملك العرب العظيم وزعيم النهضة العربية الشريف الهاشمي الملك الحسين إبن علي، توقي في عمان في اليوم الثامن من محرم من سنة الف وثلاثمائة وخمسين

الملك لله الواحد القهار

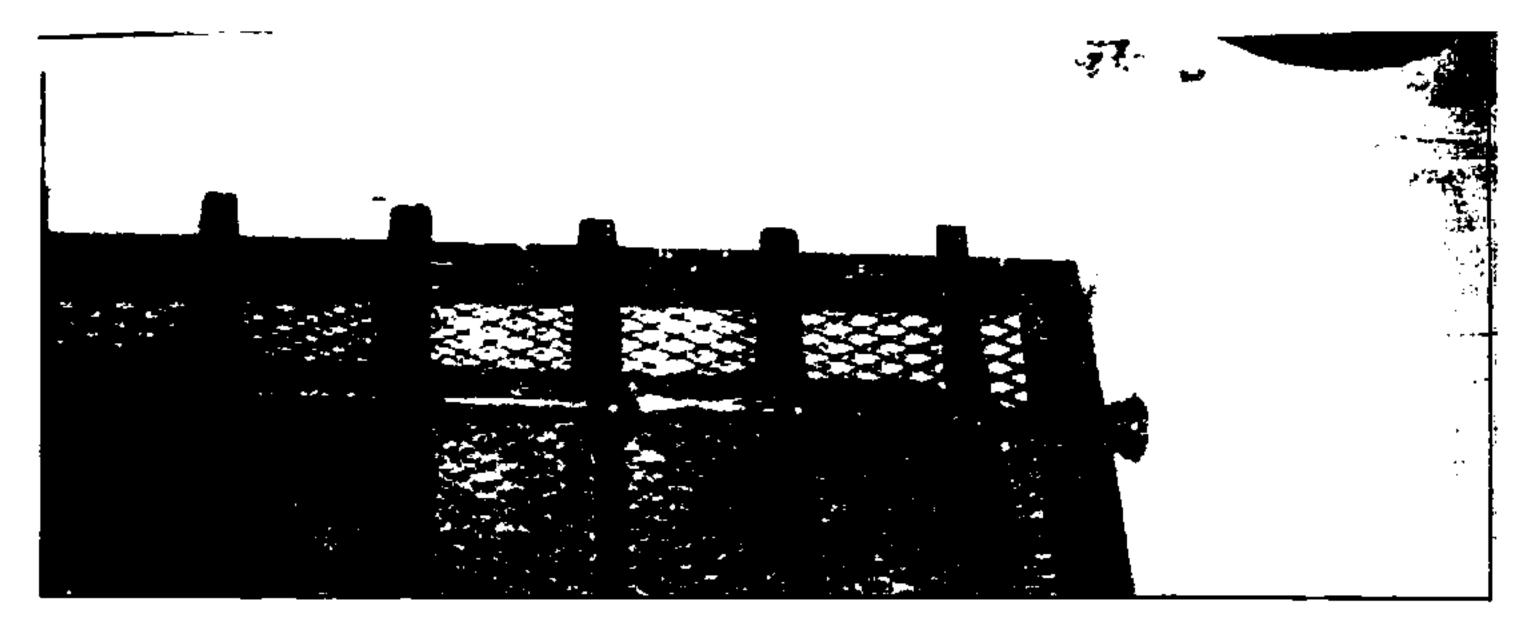
٢٣. النقش المكتوب على واجهة ضريح الشريف الحسين بن علي *

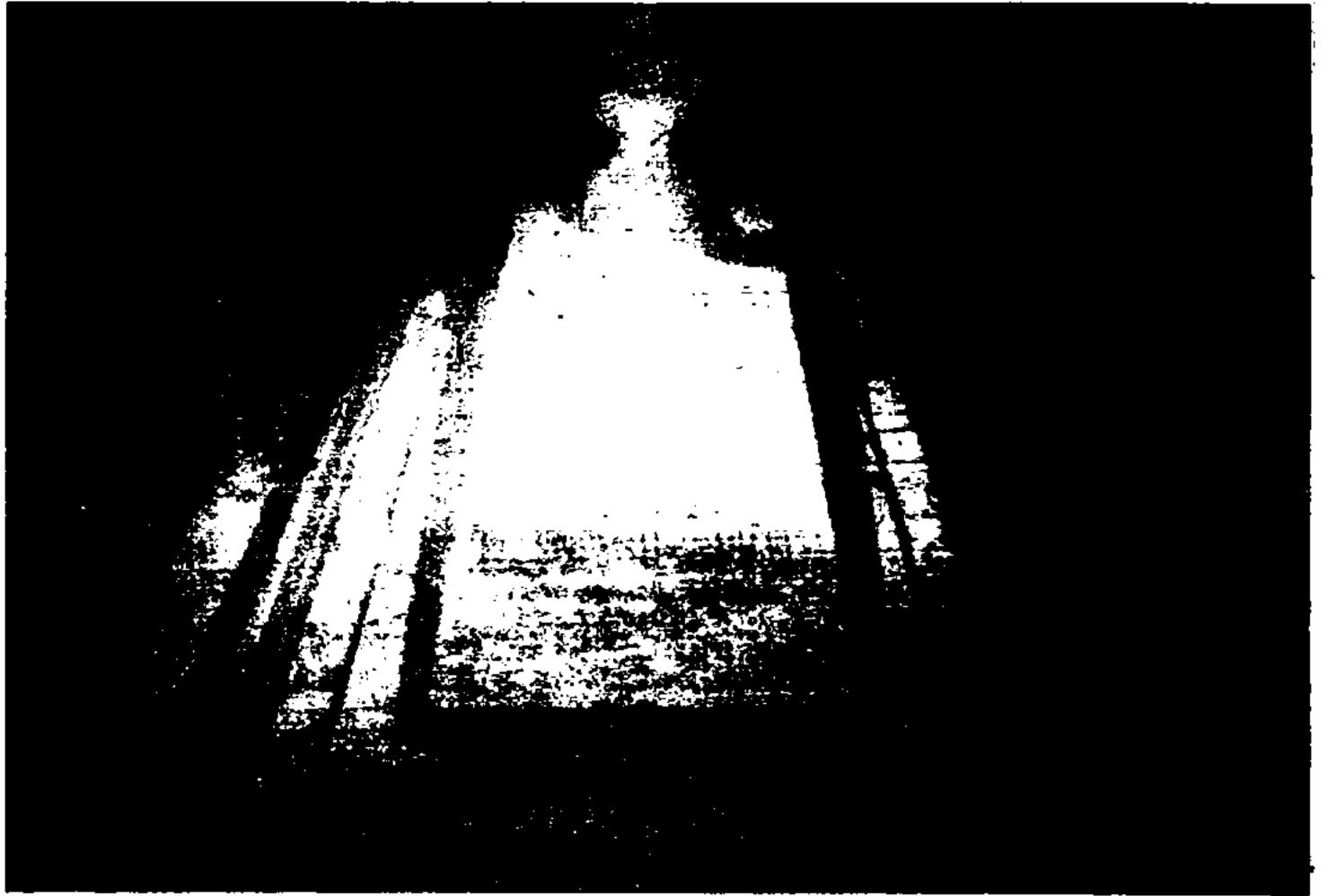


_____ المك_____ توب عسلسى السنسقيش الامسامسي لضرياح الشريف الحسين

* بكر الجالي، مرجع سابق، ص٣١٦.

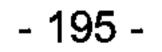






واجهة ضريح الشريف الحسين بن علي في رواق المسجد الاقصى الغربي من الخارج ومن ثم الضريح الداخل

* بكر المجالي، مرجع سابق، ص٣١٣.





* رائف نجم، مرجع سابق، ص ۸۰.



جنازة الشريف الحسين بن علي في عمان/ شارع فيصل وسط المدينة في طريقها إلى القدس ٤ حزيران ١٩٣١*





* بكر المجالي، مرجع سابق، ص٣٠٦.



قائسة للمصاحر للمراجع

- إبراهيم الشريفي، أورشليم وأرض كنعان، مؤسسة الدراسات الدولية، لندن، ١٩٨٥م.
 إبن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى، ج٢، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م،
 أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٢م.
- أحمد طربين، فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ١٩١٧ ١٩٤٨م، الموسوعة الفلسطينية،
 القسم الثاني، بيروت، ١٩٩٠م.
 - أحمد طربين، قضية فلسطين، ١٨٩٧–١٩٤٨، دمشق، ١٩٨٦م.
- أحمد محمد باشميل، حروب الإسلام في الشام، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
 - أحمد هبو، تاريخ الشرق القديم، الطبعة الثانية، صنعاء، ١٩٩٩م،
- إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، عمان، ١٠ ٢٠،
 - أسعد داغر، ثورة العرب، القاهرة، ١٩١٦م.
- = الأصفهاني، عماد الدين الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمـود، الـدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.
- أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة ، الجزء الثناني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م،
- أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بـيروت، ١٩٨٠م.
 أميل توما، جذور القضية الفلسطينية، دمشق، ١٩٨١م.
 - أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.
- أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، الطبعة الثانية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٨م.
 - أميل توما، جذور القضية الفلسطينية، دمشق، ١٩٨١م.
 - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج١، القاهرة، ١٩٣٣م.
 - البخاري، كتاب المغازي، الجزء الخامس.
- برنارد لويس، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، راجعه خليل أحمد خليل، ط١، دار
 الحداثة، دمشق ١٩٨٠م.



- بكر خازر المجالي، ألفا يوم في قبرص: الحسين بن علي ملكا في المنفى، مطبعة السفير، عمان، ٤ • • ٢م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو يوسف الأتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٣٥م.
- تهاني هلسة، دفيد بن غوريون، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٨م.
- جاك كوفان، القرى الأولى في بلاد الشام، ترجمة الياس مرقص، دار الحصاد للنشر، دمشق، ١٩٩٥م.
- جاك كوفان، ديانات العصر الحجري في بلاد الشام، ترجمة الدكتور سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٨م.
 - الجامع في أخبار القرامطة ، ج١، ج٢، ط٣، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ، ١٩٨٧م.
- جريدة القبلة، مكة المكرمة، عدد٣، تاريخ ٢٥ شعبان، ١٣٣٤هـ، والعدد٣١، بتاريخ ٤ صفر، ۱۳۳۵هـ.
- ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قراوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة حيدر آباد الركن ١٩٥٢م.
- حسان حلاق، دراسات في تباريخ الحضارة الإسلامية، دار النهيضة العربية، ط١، بيروت، ۱۹۸۹م.
 - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دون تاريخ،
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسورية، وبـلاد العـرب، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨.
- الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، مهنتي كملك: أحاديث ملكية، نشرها بالفرنسية فريدون، ترجمها إلى العربية، غازي غزيـل، مراجعـة محمـد عـزت نـصرالله، الناشـر، مؤسسة مصري للتوزيع، الأهلية للنشر والتوزيع.
- الحمادي، أبي عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.
 - الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، د.ت
- خاشع المعاضدي وسوادي عبد محمد و دريد عبد القادر نوري، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ط٢، ١٩٨٦م.
 - خالد فلاح العلي، فلسطين والانتداب البريطاني، بيروت، ١٩٨٠
 - خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١م.
- خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ۲۰۰۵م.





- خزعل الماجدي، مثولوجيا الأردن القديم: دراسات في الأساطير الأردنية القديمة، منشورات
 وزارة السياحة والآثار، الطبعة الأولى، عمان، ١٩٩٧م.
 - ابن خلدون، المقدمة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، دون تاريخ.
 - دائرة المعارف البريطانية، الجزء الثاني، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م.
- دونالد ب، لتل، القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك، ضمن القدس في التماريخ لكامل جونالد ب، لتل، القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك، ضمن القدس في التماريخ لكامل جميل العسلي، حرر الطبعة الأجليزية وترجمها كامل العسلي، مطبعة الجامعة الأردنية، عممان، 1997م.
 - ديل ميديكو، اللآلي من النصوص الكنعانية، ترجمة مفيد عرنوق، بيروت، ١٩٨٠م.
- = ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج٤، ترجمة محمد بدران، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م.
- الذهبي، دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، ج٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
 - رائف يوسف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس، دار البيرق للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.
- حمان، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، رمضان المبارك، ١٤٢٥هـ/ تشرين الثاني،
 ٢٠٠٤ميلادية.
- روحي الخطيب، المؤامرات الإسرائيلية على القدس ما بين ١٩٦٥-١٩٧٥م، أمانة القـدس،
 عمان، ١٩٧٥م.
 - زياد الصغير، ثورة فلسطين ١٩٣٦ ١٩٣٩ م وأثرها في لبنان، دار الحوار، سوريا، د.ت
 - زيدان كفافي، دراسات ومقالات في التراث الثقافي الأثري، المطبعة الوطنية، عمان، ٢٠٠٩
 - ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت ١٩٨٧م.
 - ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١، بيروت، ١٩٨٦م.
 - ابن سعد، یحیی، صلة تاريخ أوتيخا، بيروت، ۱۹۰۹م.
- ابن سعد، محمد، طبقات ابن سعد الكبرى، الجزء الثاني، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧م.
- سعيد احمد برجاوي، الحروب المصليبية في المشرق، ط١، دار الأفاق الجديدة، بيروت،
 ١٩٨٤م.
 - سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جزءان، القاهرة، ١٩٧١م.
 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام، المجلد الأول ١٩٧٤م.
 - سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٢م.

- 200 -

- سلطان محیسن، عصور ما قبل التاریخ، منشورات جامعة دمشق، ۱۹۹۰م
- سليمان الموسى، إمارة شرقي الأردن: نشأتها وتطورها في ربع قـرن، ١٩٢١-١٩٤٦م، وزارة الثقافة الأردنية، عمان ٢٠٠٩م.
 - سمر بهلوان، القضية الفلسطينية، ط٣، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٥-١٩٩٦م.
 - سمير جريس، القدس، المخططات الصهيونية، الاحتلال والتهويد، بيروت، ١٩٨١م.
- سهيل زكار وأمينة بيطار، تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد،
 مطبعة جامعة دمشق ١٩٨٩–١٩٩٠م.
- السيد الباز العريني، الشرث الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون، دار النهضة العربية، د،
 ت.
- سير آلن جاردنر، مصر الفرعونية، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة عبدالمنعم أبو بكر،
 الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- سير آلن جاردنر، مصر الفرعونية، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة عبدالمنعم أبو بكر،
 الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- شاكر مصطفى، الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق في العهد الفـاطمي: مقـال مجلـة كليـة
 الاداب والتربية، جامعة الكويت، العددان الثالث والرابع، حزيران عام ١٩٧٣م.
- = أبو شامة، شهاب الدين، أزهار الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢ القاهرة ١٩٥٦–١٩٦٢م.
 - شفيق جاسر، أطماع الصهيونية نحو المياه والاستيطان، بحث لندوة يوم القدس لعام ١٩٩٤
- شفيق جاسر، بحث مقدم لمؤتمر كلية الأداب الأول: القدس في الخطاب المعاصر، ١٢ -٣١/ ٥/ ١٩٩٨م، موسوم بالتغيرات الديموغرافية في القدس منذ تأسيسها وحتى عام ١٩٩٥، جامعة الزرقاء الأهلية.
- شولش الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين، نقله عن الألمانية كامل جميل العسلي، عمان
 ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بـيرون،
 ١٩٧٢م.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بـيرون،
 ١٩٧٢م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٣، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ١٩٦٤م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٣، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ١٩٦٤م.



- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،
 القاهرة، ١٩٢٣م.
 - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، بغداد، ١٩٥١م.
- طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة علي سوداح، بيروت، ١٩٩٥م،
 ص١٤٩
 - ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦م.
- عادل زيتون، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتاب، دمشق،
 ١٩٩١-١٩٩١م.
 - عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس ١٩٦١م.
 - عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، ط١، ١٩٦٩م.
- عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القـدس،
 القدس ١٩٥٥م.
 - عارف العرف، النكبة، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٥٦م.
- عباس عبد الـستار الزهـاوي، القـدس عـشية الغـزو الـصليبي: دراسـة في أحوالهـا الـسياسية والإدارية، رسالة ماجستير.
- عبد القادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨م، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٤م.
 عبد القادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨م، دمشق، ١٩٤٨م.
 - عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، ١٩٧٣م.
 - عبدالحميد زايد، القدس الخالدة، القاهرة، ١٩٧٤م.
 - عبدالحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
 - عبدالله التل، كارثة فلسطين، دار القلم، القاهرة ١٩٥٩م.
 - عبدالله التل، كارثة فلسطين، ط٢، دار القلم، بيروت، ١٩٥٩م.
 - عبدالله بن الحسين، مذكراتي، القدس، مطبعة بيت المقدس، ١٩٤٥م.
- عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي، أثر الـشرق الإسـلامي في الفكـر الأوروبـي خـلال الحـروب الصليبية، الرياض ١٤١٥هـ.
- = عبدالله كنعان، الاستيطان اليهودي في مدينة القدس، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- عبلة المهتدي الزبدة، القـدس تـاريخ وحـضارة، الطبعـة الأولى، دار نعمـة للطباعـة، بـيروت
 ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
 - ابن العديم، كمال الدين عمر، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج١، دمشق ١٩٥٨م.
- عزمي أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة،
 مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.



- عزمي عيد أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
 - عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر، القاهرة ١٩٧٢م.
 - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، تحقيق سكينة الشهابي، المجلس العلمي بدمشق، ١٩٨٤م.
- العسقلاني، احمد بن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة، ج١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر.
- = العسقلاني، احمد بن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج١، تحقيق علي محمـد البجـاوي، دار النهضة، مصر، د.ت.
- علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي الناصر محمد بوجه خاص،
 القاهرة ١٩٤٤م.
- علي محافظة، إسماعيل عبدالرحمن، وليد عبدالحي، التربية الوطنية، دار جرير، الطبعة الأولى،
 عمان، ٢٠٠٦م.
 - علي محافظة، العلاقات الألمانية الفلسطينية ١٨٤٠ ١٩٤٥م، بيروت ١٩٨١م.
- علي محافظة، زيدان كفافي، محمد صالحية، يوسف غوانمة محمد رجائي، ممدوح الروسان
 القدس عبر العصور، تحرير علي محافظة، طبعة تجريبية، اربد، ٢٠٠١م.
 - عليه الجنزوري، الحروب الصليبية، المقدمات السياسية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د.ت.
- عمر عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهيضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.
- فاروق الشناق، الرؤية الأردنية للقدس بين الاستمرارية والتحول، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان، ٢٠٠١م.
- فاروق عمر فوزي و محسن محمد حسين، الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي
 الوسيط، دار الشروق، د. ت.
 - فيليب حتى، ادوارد جرجي، سليمان جبور، تاريخ العرب المطول، بيروت، ١٩٦١م.
- فيليب حتى، تاريخ سوري ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة جورج حـداد وعبـد الكـريم
 رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨م.
 - القدس في الخطاب المعاصر: بحوث المؤتمر الأول لكلية الآداب بجامعة الزرقاء، ١٩٩٨م،
- قرارات الأمم المتحدة، والصراع العربي الصهيوني، مراجعة وتحقيق جورج طعمة، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.
 - القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، مصر، ١٩٥٧م.
 - القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، القدس ١٩٩٥م.
 - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م
 - كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، عمان ١٩٨١م.



- كامل جميل العسلي، من أثارنا في بيت المقدس، عمان ١٩٨٢م.
 ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، توثيق عبدالرحمن اللاذقاني، ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، لبنان الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.
 ابن كثير، ابو الفداء، السيرة النبوية، ج١، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
 الكنجي، محمد بن حسين، كتاب فضائل بيت المقدس، منشور في كتاب، فضائل بيت المقدس، عمد إبراهيم، الكويت، ١٩٨٥م.
 ولكاس غرولنبرغ، فلسطين أولاً، دمشق، ١٩٨٢م
 الوكاس غرولنبرغ، فلسطين أولاً، دمشق، ٢٩٨٦م
 الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة الحلبي، القاهرة، القاهرة، المورة، المورة، المورة، منشور في كتاب، فضائل بيت المقدس، عمد إبراهيم، الكويت، ١٩٨٥.
- مجلة شؤون فلسطينية: الوسائل التعليمية والجامعات والمعاهد العليا في فلسطين، عـدد٢،
 آب١٩٧٣م.
 - مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، النجف ١٩٨٠م.
- محمد احمد الزيود، دول بلاد الشام ومصر في العصر العباسي الثاني، منشورات جامعة دمشق،
 ١٩٩٤م.
 - محمد أديب العامري، دور فلسطين في التاريخ، بيروت، ١٩٧٠م.
 - = محمد الخضري، إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.
- محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، دار المجتمع، الطبعة الخامسة،
 ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
 - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، مصر، ١٩٥٧م.
- محمد بن حسين الكنجي، كتاب فضائل بيت المقدس، منشور في "كتاب فضائل بيت المقدس"
 محمد إبراهيم، الكويت، ١٩٨٥م.
 - محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد، الطبعة الأولى، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٩٩٨م.
- محمد حرب فرزات، محاضرات في تاريخ الـشرق الأدنى القـديم: مـصر القديمة وحـضارتها،
 الطبعة الرابعة، جامعة دمشق، ١٩٩١–١٩٩٢م.
- عمد حرب فرزات، موجز في تاريخ سورية القديم، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٤ ١٩٨٥م.
 - محمد سلامة النحال، فلسطين ارض وتاريخ، دار الجليل، الأردن، عمان، ١٩٨٤م.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الـصغرى، دار النفائس، الطبعة الأولى ،
 ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- محمد عبدالباقي الزرقاني، شرح المواهب اللدنية للقسطاني، الجزء الثاني، دار المعرفة، بيروت.
- محمد عبدالقادر أبو فارس، الصراع مع الصليبيين، دار البشير، طنطنا، الطبعة الأولى،
 ١٩٩٩م.



- محمد عدنان البخيت، الوثائق الهاشمية، أوراق عبدالله بن الحسين: العلاقات الأردنية السعودية، ١٩٢٥-١٩٥١م، المجلد العاشر، القسم الأول، ١٩٩٧م.
 - محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، بيروت ١٩٥٩م.
- محمد علي البار، اباطيل التوراة في العهد القديم، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دار القلم،
 دمشق، ١٩٩٠.
- محمد مؤنس، الحروب المصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب، الطبعة الأولى، عين
 للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م.
 - محمد هاشم غوشة، القدس اليبوسية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- مركز الإسراء والدراسات والبحوث، القدس والقرارات الدولية الكاملة، ١٩٤٧-١٩٩٧م،
 بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- = المشرف المرجي، فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام، منشور في كتاب "فضائل بيت المقدس"، محمد إبراهيم.
 - مصطفى الدباغ، بلادنا في بيت المقدس، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٥م.
 - مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، دمشق، منشورات مجلة الفكر العسكري، ١٩٧٨م.
 معجم البلدان، دار صادق، بيروت، بدون تاريخ.
- المقدسي، المشرف بن المرجي بن إبراهيم، مخطوطة "فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام"، باب ذكر من زار بيت المقدس من الأئمة والصالحين ومن كان فيها من المتعبدين والأبدال، ضمن فضائل بيت المقدس، في مخطوطات عربية قديمة (دراسات تحليلية ونصوص مختارة محققة)، محمود إبراهيم، الناشر وزارة الثقافة الأردنية، مطبعة السفير عمان ٢٠٠٩م.
 المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة
 - الأقاليم، ط٢، ليدن، ١٩٦٧.
- المقدسي، شهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد ، مخطوطة "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، باب ذكر بناء عبدالملك بن مروان قبة الصخرة، ومتى كان ذلك البيان، ضمن فضائل بيت المقدس، في مخطوطات عربية قديمة (دراسات تحليلية ونصوص مختارة محققة)، محمود إبراهيم، الناشر وزارة الثقافة الأردنية، مطبعة السفير، عمان مان ٢٠٠٩م.
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج١، نشر
 الشيال، القاهرة، ١٩٤٨م،
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ج٢، تحقيق محمد زيادة، القاهرة ١٩٧٢م. ج٢، ج٤، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة ١٩٧٢م.
- = المقريزي، تقي الدين احمـد بـن علـي، المـواعظ والاعتبـار في ذكـر الخطـط والآثـار، القـاهرة ١٩٠٨م.



- مدوح حسين، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، دار عمار، عمان، ط١،
 ١٩٩٨م.
- ابن منجب، أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي، ويسمى أيضاً الصيرفي المصري، الإشارة إلى من نال الوزارة، القاهرة، ١٩٢٤،
 - ابن منقذ، أسامة، كتاب الاعتبار أو حياة أسامة، باريس، ١٨٨٩م،
 - منظمة التحرير الفلسطينية، وثائق فلسطين، ١٨٣٩ ١٩٧٨ م.
 - = المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، تاريخ فلسطين، مجلد ١ و ٢ و٣، عمان، ١٩٨٣م.
- = الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، دمشق، هيئة الموسـوعة الفلـسطينية، ١٩٨٤م، الموسـوعة الفلسطينية: القسم الثاني، بيروت ١٩٩٠م.
 - الموسوعة اليهودية، ج١٦، إصدار ١٩٧١م.
- ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب، تاريخ مصر، طبعة هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩مم.
- ميكال يان دي خويه، القرامطة، نشأتهم، دولتهم، وعلاقاتهم بالفاطميين، ط١، ترجمة وتحقيق
 حسني زينة، دار ابو خلدون، بيروت ١٩٧٨م،
- ناصر خسرو، ابو معين القبادياني، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.
 - نجيب الاحمد، تهويد القدس، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، بدون تاريخ.
- = الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، ط٧، دار الشروق، جدة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، ط٧، دار الشروق، جدة، دار التوزيع والنشر الاسلامية،
 القاهرة، ١٩٨٧م.
- نزار الحديثي، خالد جاسم الجنابي، أبوبكر المصديق، دار المشؤون الثقافية العامة، العراق،
 الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- التاريخ القديم وما قبله، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتاب، دمشق، ١٩٩٠ ١٩٩١م.
- = نهاد عباس، العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، دار الحرية، بغداد، العراق، د، ت.
- نواف الزرو، القدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية،
 دار الخواجا، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.
- = النوبختي، الحسن بن موسى وسعد القمي، فرق الشيعة، حققه الدكتور عبد المنعم الحفني، ط١، دار الرشاد ١٩٩٢م.
 - هايل الدهيسات، الحركة الإسماعيلية والقرمطية في اليمن، رسالة ماجستير، ٢٠٠١م.



- هايل الدهيسات، اللغة الأرامية: أهميتها وعلاقتها بالعربية واللغات الأخرى، مجلة أفكار، وزارة الثقافة الأردنية، العدد ٢٦٠، ٢٠١٠م.
 - ابن هشام، أبو محمد بن عبدالملك ، السيرة النبوية، الجزء الرابع.
 - الواقدي، محمد بن عمر، فتوح الشام، دار ابن خلدون، د.ت
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة ١٩٥٧م.
- ابن واضح، أحمد بن أبي يعقبوب بن جعفير بن وهب الكاتب، المعروف، نشر النجف
 ١٣٥٨هـ،
- وزارة الأعلام الأردنية، معركة السلام، ج٢، المعاهدة الأردنية الإسرائيلية وثائقها وأبعادها،
 منشورات دائرة المطبوعات والنشر، عمان، ١٩٩٤م.
- وزارة الثقافة والأعلام، الوثائق الأردنية ١٩٦٧م، أيار-كانون الأول، الطبعة الأولى، دائرة المطبوعات والنشر، عمان، ٢٨ ذو الحجة ١٣٩٢/ ١ شباط ١٩٧٣م.
- عاسين سويد، حروب القـدس في التـاريخ الإسـلامي والعربي، الطبعة الأولى، دار الملتقـى،
 بيروت١٩٩٧م.
- ياسين سويد، حروب القـدس في التـاريخ الإسـلامي والعربي، دار الملتقـى، الطبعـة الأولى،
 ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الرابعة،
 ١٩٨٩م.
 - عاقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق وستنفيلد، ج٤، طبعة طهران، ١٩٦٥م.
- يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٩، ١٩٣٥، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،
 ١٩٨٠ ١٩٨٣م.





- ALTibawi: Jerusalem: It's Place in Islam and Arab History Beirut 1969
- A Mallon, Jerusalem et les documents egyptiens, JPOS, vol VIII, 1928,
- Asghar Ali Engineer, The Bohras, Central Board of Dowoodi Bohra Community, Mumbai-400 055, Revised Edition, 1993, 66-68
- Bernard Lewis, The Origins of Isma'ilism (A study of the historical background of the Fatimid Caliphate) Heffer & Sons LtdCambridge, England, 1940
- Bernard Lewis, The Assassins (A Radical Sect in Islam), Cox &Wyman Ltd, London, 1967.
- Bucker Harun al-Rashid and Charles the Great Massa-Chusettes 1931
- De Lacy O'Leary D D, A Short History of the Fatimid Caliphate, Kegan Paul, Trench, Trubner & Co, Litd New York: E P Dutton & Co London, 1923
- De Vohue le Temple de JerusalemParis 1861
- Farhad Daftary The Isma'ilis: Their History and Doctrines, Cambridge University Press, 1994
- Flavius Josephus, The Anitiquities of the Jews Trans William Whiston Books XI.
- From American vice consul to the secretary of State, Jerusalem 1937 D.S.867.N.01/664
- Journal of the Americantal Oriental Society Vol LXX 1950: The History back ground of the erection of the dome of the rock
- Lane-Poole: Saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem.
- Hayel Al-Dhiesat: Society and Culture Under the Fatimids in Maghreb and Egypt: 909 -1171 A.D, University of Baroda, For the degree of Doctor of Philosophy in History, 2007
- Hudson, The Transformation of Jerusalem: In Asli Editor, Jerusalem In History
- Meron Benvenisti, Jerusalem, The torn city Jerusalem, Israypest, 1976.
- N Sethe, Die Achtung Feindlicher Furstem, Volker und Dingen auf altagyptischen Tongefabscherben des Mittleren Reiches, Berlin, 19266